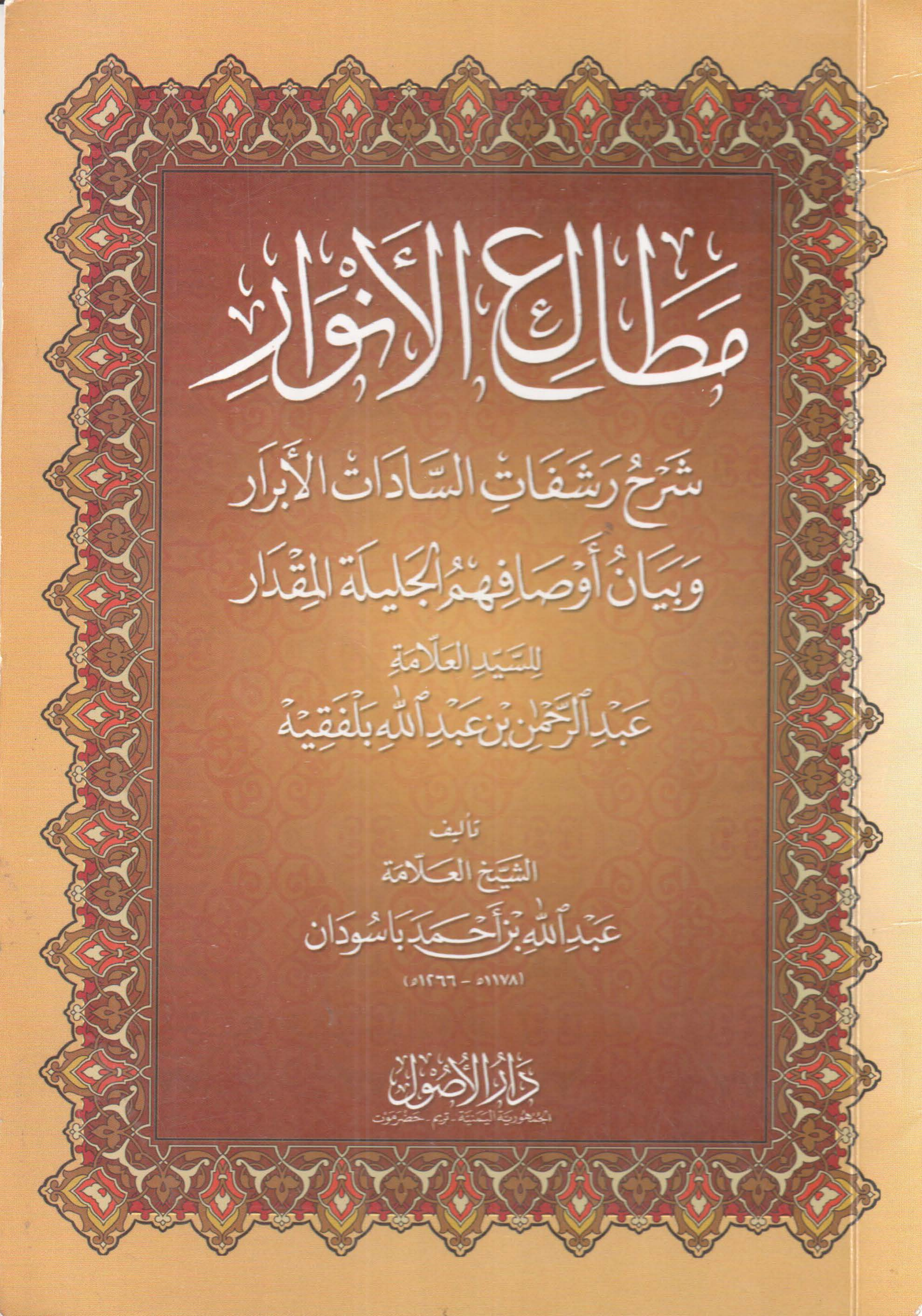

مطالع الأنوار
شرح رشفات السادات الأبرار
وبيان أوصافهم الجليلة المقدار
للسيد العلامة
عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه
تأليف
الشيخ العلامة
عبد الله بن أحمد باسودان
(١١٧٨هـ - ١٢٦٦هـ)
دار الأصول
الجمهورية اليمنية - تريم - حضرموت

مطالع الأنوار

شرح رشفات السادات الأبرار
وبيان أوصافهم الجليلة المقدار

للسيد العلامة
عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه

تأليف
الشيخ العلامة
عبد الله بن أحمد باسودان
(١١٧٨هـ - ١٢٦٦هـ)

دار الأصول
الجمهورية اليمنية - تريم - حضرموت

كلمة الناشر

الحمد لله ساقي أحبابِه لذيذ شراب مناجاته وبرد عفوه ، والصلاة والسلام على من جعله الله في كل حال القدوة والأسوة ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه التابعين له في كل خطوة ، أما بعد :

ومرة ثانية يسر ((**دارالأصول**)) أن تزف لكم عروساً من عرائس تراث الأسلاف ، وخريدة من خرائد دررهم الثمينة ، وهي القصيدة العظيمة ، الرائقة المباني،الجليلة المعاني،المسماة :

((**رَشَفَاتُ أَهْلِ الكَمَال وَنَسَمَاتُ أَهْلِ الوِصَال**))

والتي تعد قطعة أدبية فنية راقية ، ومنظومة علمية شاملة لأهم معالم طريق القوم ، كيف وناظمها الإمام الموصوف في زمنه بعلامة الدنيا ، الحبيب عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه مع شرحها الذي زانت به وزان بها ، وأوضح معانيها وبيَّن خوافيها للشيخ العلامة عبدالله بن أحمد باسودان صاحب التآليف النافعة وسلطان أهل البيت في وقته، والمسمى :

((**مَطَالِعُ الأَنوارِ شَرْحِ رَشَفَاتِ السَّادَاتِ الأَبْرَارِ وَبَيَان أَوْصَافِهِمْ الجَلِيْلَةِ المِقْدَار**))

ويعتبر هذا الشرح بمثابة كتاب جامع لأصول طريق التصوف ، حاوٍ لأهم ما يحتاجه السالك ، وفيه نُقولٌ وتحقيقاتٌ وفوائدُ نفيسة ، وقد أكثر الشارح من الإحالة فيه إلى كتاب الإمام الغزالي ((إحياء علوم الدين)) لمن أراد الزيادة والتوسع في غالب ما يشرحه وهو الكتاب الذي يعول عليه السلف الصالح في معاملتهم مع ربهم في صلاح قلوبهم ، وفيه قال الإمام الحداد :

والحجةُ الحبرُ الذي باهى بِهِ	**أهلَ النبوةِ خيرُ كلِّ مشفعِ**
وبوضعِهِ الإحياءَ فاقَ فيالَهُ	**مِنْ فائقٍ وكمثلِهِ لم يُوضَعِ**

وقد قمنا بضبط أصل المنظومة ومقابلتها مع شرحها على مخطوطتين :

الأولى : بخط عبدالرحمن بن أحمد باكثير ، تاريخ نسخها سنة (١٣٧٨هـ) وهي الأصل إذا قلنا ذلك في التعليق .

واستعنا بالمخطوطة الثانية : التي هي بخط أبي بكر بن عبدالله باسودان تاريخ نسخها سنة (١٢٦٠هـ) في بيان مالم يتضح أو أوهم أو أشكل من الأولى ، وإذا اتفقتا في الإشكال بيَّنَّا أنه هكذا في الأصل .

وقد اقتصرنا في ترجمة الناظم على ما كتبه حفيده السيد أحمد بن زين بلفقيه رحمه الله في مقدمة طبعة سابقه للرشفات ، بالإضافة إلى الترجمة التي قدمها الشارح الشيخ عبدالله باسودان في أول هذا الشرح عن الناظم ، وكذلك وضعنا ترجمة موجزة عن الشارح الشيخ عبدالله باسودان ، وقمنا بعنونة كل رشفة زيادة على ما سماها ناظمها تسهيلاً للوصول إلى موضوع كل منها ، وكذلك زدنا عنوانات أخرى زيادة في الإيضاح ، وكل ذلك جعلناه بين معقوفين [ ].

وقد قال الإمام الحداد مادحاً لهذه المنظومة ((الرشفات)) وناظمها :

لله دَرُّكَ يا وَجِيْهُ وَدَرُّهَا	في سَبْكِ نَظْمٍ عندَ صَوغِكَ دُرَّهَا
شَهدتْ بفهمٍ لامعٍ وتضلُّعٍ	وبَدتْ بعلمٍ جامعٍ في نشرِهَا
تُنْبِي بسِرٍّ سريرةٍ عَلَويةٍ	وبذوقِ معنىً في حقائقِ سِرِّهَا
لا زلتَ تَرْقَى في عُلاكَ على اقْتِفَا	سلفٍ بهم عَمَروا الطَّريقَ وأمْرَهَا

فنسأل الله أن يتقبل منا ذلك كله ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ويعم النفع به جميع المسلمين آمين.

ترجمة ناظم الرشفات

الحبيب العلامة عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه

بقلم السيد أحمد بن زين بن حسن بلفقيه

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

في التاريخ رجال حبتهم الأقدار مواهب سامية ، وصفات نادرة فسجلوا من جليل أعمالهم ومن زاخر علومهم ما شُهِدَ لهم بالعبقرية والتفوق وجعلهم في عداد الأفذاذ الذين قل أن يجود الزمان بأمثالهم ، والذين لا يشع سناء مواهبهم الخارقة إلا في فترات متباعدة من الزمان يختلف مداها بين القرن والقرنين والأكثر أحياناً .

إن مثل أولئك النوادر الموهوبين يعتبرون نعمة يسوقها الله للإنسانية تجود بخيرها الوفير ونفعها الدائم كما يجود الغيث على البقاع الجرداء ، فلا تلبث أن تحيي وتنعش ، ويجنى منها الثمرات الطيبة المباركة التي تقيم حياتهم وتصلح بها أحوالهم والعلم والحكمة هما ينبوع البركة والخير إذ هما الفيض الذي يمحو كل ما ينبته الشر والباطل تلك الصفتان اللتان تترعرع حشائشهما الضارة على مغذيات الجهل وفساد الأنفس والقلوب. كما أن ينابيع العلم والحكمة أيضاً فيض يزكو على بركاته - بعد عملية التطهير - نَبْتُ الخير والحق وزكاء العقول: الصفات التي ترتكزُ عليها الحياة التي بالإنسانية ، ويرضاهَا لها بارئها جل شأنه.

وإذا كان أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام هم المصدر الأول لذلك الفيض والينبوع الأصيل للهدي الخير والإرشاد النيِّر فإن العلماء الحكماء هم ورثتهم ، وحاملوا لوائهم لا شك في ذلك وَلاَ ارتياب ، بهذا تحدث القرآن الكريم ، ونطقت السنة المطهرة.

لهذا ، فإن موروثات العلماء الحكماء جديرة بالعناية والتعهّد لكي تبقى على مر الدهور مُصَانةً ، محفوظة ذخائرها ، ينتفع بها كلُّ جيل، يرتشفُ من معينها العذب ، ويقطف من ثمارهَا اليانعة ، إذ أنه يُبْقي بذلك على كيانه ، ويحفظه من التدهور والفساد، بل ويستطيع أن يجدد مَا اندثر ، ويعمر ما خرب ، ويشيد ويبني ما يضمنُ له التقدمَ والازدهار.

وبمناسبة نشر بعض النموذجات من ذخائر الإمام العلامة نادرة الزمان المشهود له بالتفوق على الأقران: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه العلوي في هذه النبذة التي بين يدي القاري ، نحب أن نكشفَ عن جانب من حياة ذلك الإمام الهادي الحجة ، لعلنا نقدم بذلك للقارئ صورةً يستطيع أن يأخذَ بها فكرةً ، نرجو أن تكون أدنى الصواب عن شخصيته.

لا نغالي إذا قلنا : إن هذه الشخصية تعتبر من الأفذاذ الذين يندرُ أن يجود الزمان بمثلهم ، فقد رزقت هذه الشخصية امتداداً في كثير من المواهب: ذكاء نَافذ ، وبصيرة مشعَّة وذاكرة خارقة حققت له في صباه مالا يتحقق لغيره من الكثيرين في دور الرجولية المكتملة فقد وعى القرآن الكريم في صغره وحفظه عن ظهر قلب ، ثم قرأه من أوله إلى سورة الأعراف بالقراءات العشر جمعاً وإفراداً عَلَى الشيخ عبد الرحمن بن أبي الغيث المدني ، والشيخ إبراهيم بن محمد المصري ، كما حفظ ووعى كتاب الإرشاد لابن المقري في الفقه والملحة وألفية ابن مالك في النحو وأكثر ألفية السيوطي في المعاني والبيان وألفية البرماوي في أصول الفقه وألفية الحديث للعراقي والشاطبية في القراءات والرائية في الرسم ومنظومات أخرى في المنطق والعروض قرأ كل ذلك في أول عمره ، وحققه على الشيخين المذكورَين أعلاه . ونتيجة لذلك فقد تصدر للتدريس والإفتاء وهو في ريعان الشباب قبل أن يتم العشرين ، ومن ثم فلا تدعو للاستغراب والدهشة ما يتحدث به عنه إمام عصره الشيخ الكبير المصنف الجامع بين علوم الشريعة والحقيقة: عبد الله بن علوي الحداد بأنه (علاَّمة الدنيا) وقد تفوه الإمام الحداد بهذا الوصف العظيم كما يُروى عنه عند ما قرأ أجوبةً وفتاوى كتبها الإمام المترجم له على أسئلة أَسْنَدَ إليه الإمام الحداد نفسُه الرَّدَّ عليها وقتما قدمت إليه. كما لا يستغرب أيضاً ما روي عن العلامة المحقق السيد سقاف بن محمد السقاف تلميذ المترجم له من أنه يهتفُ بأعلى صوته عندما يدخل مدينة تريم ويقول أين الناس من عبد الرحمن بن عبدالله بلفقيه هلا يقفوا على بابه كما يوقف على باب الإمام مالك

بالمدينة. وما روي عن العلامة السيد حامد بن عمر باعلوي من قوله: لا نُفَضِّل ابن حجر عَلَى الإمام عبد الرحمن بن عبدالله بلفقيه.

مصدر معارفه

إن العباقرة الموهوبين ليسوا كغيرهم من الأشخاص العاديين فيما يَعُون من المعرفة وَمَا تستوعبه الأذهان من الفوائد الجليلة وفي الدّرسِ وأخذ العبرة من كل ما يحيط بهم في هذه الحياة ، إنهم أفذاذ يتسع أفقهم لما لا يتسع له أفق الكثرة من الأفراد العاديين ، وتنزاح دائرة أخيلتهم وأنظارهم إلى مالا مطمع لنيله ممن ينزل عن رتبتهم فطنةً وذكاءً وفهماً ، ولذا فإنّ مصدرَ نبوغهم الأول هو ما وهبهم الله من العبقرية ، وما خلقه فيهم من الاستعدادات والطاقات التي تؤهلهم لجلائل الأعمال ، ولاستيعاب المعارف . غير أن المرء مهما بلغ من الاستعداد لا بد له من توجيه وإرشاد ،ولا بد له من أمثلة نيّرة يقتبس من نورها ، ويأخذ عنها ، ويستلم الخير من سلوكها ويستمدّ مما وهبها الله من العلوم و الحكمة وهذه الأمثلة هي التي تنعكسُ عليه منها الأشعة التي تتميزُ بها شخصيتُه عن الشخصيات الأخرى التي تستقل بنفسها ، وتعتمد على مواهبها الخاصة من هنا فقد كان سيدنا المترجم له ممن اعتنوا كثيراً بالأخذ عن عددٍ من أعلام الرجال وجهابذتهم الذين جمعوا بين العلم والعمل ، وكانوا خير نموذج لسلوك الرجال الكمّل الحريصين على الاقتداء بسيرة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام وصحابته الأعلام .

وبهذه المناسبة نسردُ من تحدّث عنهم الإمام المترجم له نفسُه من أشياخه في حضرموت وفي غيرها مع تعليقاته - رضي الله عنه- باختصار قال: فقد فاضت علينا الأنوار ، واستفاضت الأسرار في الشريعة والطريقة ، مع المعارف واللطائف في الحقيقة بواسطة شيوخنا العارفين العالمين العاملين المتحققين بحقيقة الدين ، وصفات المتقين في كل علم ومعرفة ويقين ؛ كشيخنا ووالدنا السيد عبد الله بن أحمد بلفقيه ، فإنني بحمد الله قد لزمت مجالسته ، ولازمته في جميع خلواته وجلواته نحواً من عشر سنين ، وأخذت عنه من جميع علوم الدين ومقدماتها ما لم أحصه بالعد ولا أحصره بالتعيين ، وله مؤلفات كثيرة ،

ومجامع شهيرة شهدت له بالفضل المبين ، واستخلفني في حياته للتدريس والفتوى ونشر علوم الدين ..... إلخ .

وأما جدي لأمي الشيخ الإمام الحبر الهمام: محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن الحسين بن الشيخ عبدالله العيدروس فضله مشهور ، وهو بكل علم وتحقيق وتدقيق مذكور، وإليه في حياته مرجع الخاصة والعامة في جميع الأمور ، وعليه لظهوره جميع مطالب الأخيار في بلده تدور ، وقد قرأت عليه كتُباً كثيرة ، واستفدت منه فوائد منيرة ، وخصني بالرعاية والعناية ...إلخ .

وأماخالي[1] ، فهو السيد المفضال الجامع في مجامع الفضل لجميع الخصال الذي أجمع الجميع عليه في كل حال ، وأنه واحد العصر الذي تشد إليه الرحال ويحل كل إشكال ، وقد قرأت عليه جملة كثيرة من الكتب الشهيرة في جميع العلوم ، وانتفعت به نفعاً خاصاً وعامّاً في كل العلوم ... ثم قال رضي الله عنه : فهؤلاء الثلاثة هم أصل نجحي، و مفتاح فتحي ، وفجر صبحي ، نشأت في حجورهم و أنديتهم فحظيت بقربهم ، و بلغت آمالي بهم في جميع المطالب ... الخ .

وأخذت عن صنوي جمال الدّين محمد بن عبدالله بن أحمد ، وكان من خواص المتّقين، وأهل العلم واليقين ، والعلماء العارفين ، وله رسائل مفيدة وأشعار فائقة فريدة .
وأخذت كثيراً من علوم الدِّين مدة سنين عن سيدنا الإمام العارف العليم بالإرشاد في منهج الرشاد ، السيد عبدالله بن علوي بن محمد الحدّاد ، قرأت عليه قراءات كثيرة في كتب شهيرة واستفدت منه فوائد كثيرة ، و لي منه عناية خاصّة ، ومحبة خالصة .

وأما السيد أحمد بن عمر الهندوان العالم الشهير الحقيق بتحقيق علوم الدين في جميع الشأن فقد قرأت عليه عدة كتب ولازمته ، واستفدت منه وانتفعت به الخ...

---

(١) هو السيد عبدالرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن الحسين ابن الشيخ عبد الله العيدروس .

وذكر المترجم له – رضي الله عنه – أخذه عن هؤلاء وعن غيرهم ما هو معهود عن الصوفية من أخذ التلقين ، والإجازة والإلباس .

ومن أهل الحرمين ذَكر اتصاله و أخذه بالمراسلة عن الشيخ ابراهيم بن حسن الكردي المدني ، ومحمد البرزنجي ، والشيخ حسن بن علي العجيمي المكي ، والشيخ أحمد بن محمد النخلي ، والشيخ عبدالله بن سالم البصري .

ومما هو جدير بالذكر أن الإمام المترجم له ، لم يَفُته الاتصال برجال عصره المشهورين بالعلم و المعرفة والصلاح خارج القطر الحضرمي في اليمن والحجاز ، عند ما توجه إلى الحرمين الشريفين لأداء النسكين شأن الرجال النبهاء الحريصين على كسب المعرفة والخير . وكان مخطّطُ رحلته ينبئُ عن اهتمامٍ بالغٍ باغتنام الفرص ، وتصيّد العلم وأخذه من مضانه ، فقد جعل مرحلته الأولى إلى اليمن حيث كانت زبيد في ذلك العهد تزخر بالعلم والعلماء ، فمكث بها ردحاً من الزمن اتصل خلاله بكبار علماء البلاد للأخذ والاستفادة والإفادة ، كالسيد يحيى بن عمر الأهدل مقبول ، والسيد أبي بكر بن علي ، والشيخ الزين المزجاجي ، والشيخ علاء الدين أخيه ، والعلامة ابراهيم الناشري ، وابن جمعان وغيرهم ... أما بالحجاز نفسه فقد اجتمع برجال كثيرين ، منهم الشيخ أحمد النخلي ، والشيخ عبدالله البصري ، والسيد العلامة الجليل ابراهيم بن حمزة الحسيني الدمشقي نقيب الأشراف بالشام ، وغيرهم .

وبعد أن ذكر المترجم له عدداً كبيراً من مشائخه قال : أخذت عنهم في جميع العلوم من فقه الشافعي والحنفي ، والمالكي ، والحنبلي ، والأصلين : أصول الدين ، وأصول الفقه والتفسير ، وعلوم الحديث بأنواعها التي تنيف على سبعين نوعاً ، وغير ذلك من علوم الآلات ، وطرق الصوفية.

إنّا لا نكون مبالغين إذا قلنا أن سيدنا المترجم له فقيه من الطِراز الأول ، وشاعر من الطِّراز الأول ، وعالم بالعربية من الطِّراز الأول ، وفوق ذلك فهو شجاع في قول الحق

والمجاهرة به للسلطات القائمة إلى الحد الذي لاقى فيه أذىً ومحنةً إلى حد السجن... استمِع إليه وهو يقول في قصيدة له منتقداً أوضاع بلاده السياسيّة واستبداد حكّامها وجورهم :

فـوا عجبـاً مِـنْ كَـونِ كـلِّ قبيلـةٍ ... تؤيـدُ حكـمَ الجاهليـةِ والكفـرِ
ومِن كونِ أربابِ القينصِ وزمرةِ الـ ... ـعبيدِ لهم حكمٌ يمشي بلا عذرِ
وأحكـامُ دِيـنِ الله متروكـةٌ بِـلا ... مَـلامٍ علـى مَـنْ زاغَ عنهـا و لا نُكـرِ
وكـلَّ قـويٍ قـامَ في حـقِّ نفسِـهِ ... وصـارتْ علـى المسكينِ في غايـةِ العُسْرِ

* * *

ومـا هـي إلاّ خصلتانِ عليهما ... نظـامُ جميـعِ الأمـرِ في سـائرِ القُطْـرِ
فأولاهمـا : تطبيـقُ حكـمِ شريعـةٍ ... على كلِّ مَن في القُطرِ بالطَّوْعِ والقَهْرِ
وثـانيهما : تقـديرُ مَصروفِ جُنْـدِها ... على قدرِ ما في الأرضِ مِن حاصلٍ يَجْري
وتكميـلُ ذيـنِ الخصـلتينِ بخصـلةٍ ... سياسـةُ أمـرِ النـاسِ باللطفِ واليُسْرِ

وبعد ذلك فهو من أئمة المتقين العارفين بالله السالكين على النهج القويم ولك أن تحكم على علو شأنه في علوم الحقيقية ، وذوقه الرفيع وتمكنه في علوم التصوف الإسلامي ، وتبحره في دقائق هذه العلوم الروحية ، لك أن تحكم على ذلك بعد أن تقرأ فصلاً من منظومته ((**رشفات أهل الكمال**)) التي قُدمتْ بهذه الترجمة إنك ستشهد حقاً ما ينحني له الرأس إعجاباً من ذوق رفيع ، ونظم بديع ، تهتز له النفوس ، ويضرب على أوتار القلوب .

موهبته الشعرية

والشاعرية موهبة لا تكتسب يتميز بها الشاعر الموهوب على الناظم المعتدي على الشعر ثم إن الشاعرية التي هي من صفات العبقرية والنبوغ تكون خاضعة للنوازع والغايات ، والمبادي التي يتحلى بها الشاعر ، فهي بذلك تستخدم لبث الخير ، ونشر المبادي الرفيعة ، والحث على التحلي بالمثل العليا وكل ما يدنو به المرء من الكمال ، ويسمو به إلى الدرجات الرفيعة ، كما أنها قد تكون وسيلة للشر والفتنة ، وكل ما يضر بالأفراد أو الجماعات .

وعلى هذه المقاييس نجد الكثير من الرجال الأخيار الذين وهبوا شاعرية قدموا خدمات كبيرة للبشرية من طريق الشعر . وتأثير الشعر في النفوس يختلف عن تأثير النثر كما هو معلوم ولهذا فقد فضل بعض علماء الدين أن يعرضوا كثيراً من الإرشاد والنصائح وألواناً من الحكمة والموعظة في إطار شعري جذاب يملك السامعين ، ويتغلغل في خبايا نفوسهم ، ويهز مشاعرهم وسيدنا المترجم له ، له دربة عظيمة في صوغ المعلومات ، وعرض الحكم والحث على الخير في قالب شعري بديع . وهاك نموجاً من شعره في الحكم من تائيته الكبرى :

ومن نصب شق النصيب وقدره ... على قدره فانصب تصب كل منيةِ

وما كل من يهوى المعالي ينالها ... ولم يرتكب في نيلها كل شقةِ

فلا بد قبل الوصل من ألم النوى ... ولا بد دون الشهد من شمٍّ لسعةِ

إذا المرء لم يصبر على مرة الدوا ... سيصبر مضطراً على طول علةِ

ومن يك ذا صبر على شر جرعة ... سيحمد عقبى الصبر في كل صحةِ

الا إن أبكار المعالي مهورها ... النفوس وفيها رخص كل كريمةِ

ولا ترتضي في الناس إلا بكفؤها ... فتى همة يعلو على كل رتبةِ

له همة تسمو إلى كل ما سما ... ولا يرتضي بالعود دون الغنيمةِ

وما قصبات السبق إلاَّ لمن غدا ... بكل اجتهاد طالباً كل رفعةِ

نموذجاً من شعره في التصوف وعلم الحقيقة :

يا ليلة منهم على الكثيب ... طابت بلا واش ولا رقيبِ

نالوا المنى في حضرة المجيب ... من نظرة التقريب والايصال

ودير من خمر الهوى كؤوس ... تشفى بها من الردي النفوس

وينجلي عنها الصدى والبؤس ... مزاجها من سلسبيل حالي

شفا لكل علة وإثم ... من كرم الكريم لا من كرم

بـــل مـــن هـــدىً وحكمـــة وعلـــم تزيـــل كـــل الشـــك والإشـــكال
بهـــا حيـــاة الـــروح والجَنـــان بهـــا تـــذاق صـــفوة الإيـــمان
فيعـــرف المنقـــول كالعيـــان ويشـــهد التفصـــيل في الإجمـــال

اقتصادياته

إن مما يلفت النظر ، ويدعو إلى الإعجاب حقاً من صفات المترجم له رضي الله عنه، أنه ابرز من الأعمال الاقتصادية ما يؤكد أنه مفكر اقتصادي بارع ، فهو بالرغم من اشتغاله بالعلم والتعليم والعبادة إلى الحد الذي استغرق جل أوقاته فقد استطاع أن يشق سبيله ليكسب لنفسه ثروة تكون له عوناً على دينه وسبباً موصلاً إلى ما يطمح إليه عظماء الرجال من أعمال صالحة ، ومقاصد حسنة ، فقد عرف أنه ملك مساحات واسعة من الأراضي الصالحة للزراعة والمعمورة بالنخيل والكثير من بقايا هذه الأراضي لا يزال يستغل إلى اليوم من قبل من ورثها من ذريته ، ومن جملة هذه الأراضي منطقة تقع في الجهة الغربية لوادي حضرموت الرئيسي تدعى (الباطنه) وبها مأوى للضيوف لا يزال يقصده إلى اليوم بعض المسافرين الذين يضطرون إلى الراحة في طريقهم إلى مقصدهم كما توجد بها مساحات معمورة بالزراعة الكثير منها مما ملكه المترجم له سابقاً وهو الآن لمن ورثه من ذريته .

والمروى أنه بنى سبعة عشر مسجداً متفرقة في بعض مدن حضرموت وقراها ، ولا يزال بعض هذه المساجد قائماً إلى الآن ، كما توجد من بقايا أملاكه أراض عامرة بالنخيل في المناطق القريبة من مدينة (تريم) وفي تريم نفسها تستغل حتى الآن ، وبعضها وقفه على بعض المساجد التي بناها ، والمسموع عنه أنه يوزع غلات زراعاته كالآتي : ثلث لصرفياته الخاصة ، وثلث في الزراعة نفسها ، وثلث للضيوف في محلات مختلفة ، ومثل هذه الطاقات التي يبرز بها بعض الأشخاص في مجالات متعددة من نواحي الحياة ، قلّ أن تتوفر في شخصيةٍ واحدة إلا إذا رزقت امتدادات في مختلف المواهب القطرية تؤهلها لذلك .

أسلوبه في التأليف

يمتاز المترجم له رضي الله عنه في أساليبه التأليفية بالتركيز ، وسوق المعاني الكبيرة في ألفاظ وجيزة ، فنرى بعض كتبه غاية في الإيجاز ، ولكنها مليئة جداً بالمعاني بحيث تتسع هذه المعاني لشرح تضيق به الصفحات الطوال ، فكتابه ((دوائر الإسلام)) مثلاً يحتوي على وريقات قليلة تعد بالأصابع ولكن فيها من التركيز ما يجعل بعض العلماء المشهورين في العصور التي تلت عصر الإمام المترجم له يقول : ما ألف مثلها في الإسلام فيما أطلعت عليه من الكتب على إيجازها ، وكتابه ((رشفات أهل الكمال)) نظماً الذي بين يدي القارئ حاول بعض العلماء شرحه فاعترف بعجزه مع أنه من العلماء المبرزين ، وقد كتب مجلدين كشرح موجز لهذه الأبيات وهذا العالم هو الشيخ عبدالله باسودان من علماء حضرموت المشهورين .وصرح بعض العلماء الأعلام باعتقاده بأنه لا يستطيع أن يشرح هذه المنظومة بما تستحق إلاَّ رجل كابن عربي في تطلعه في علوم القوم .

ومؤلَّفه ((قاطع الجدال في مسألة الهلال)) يعتبر من أحسن ما كتب في هذه الأصقاع في موضوعه على اختصاره ، وحتى في بعض الفتاويات التي يكتبها يلحظ القارئ متانة اللفظ والإيجاز في صوغ المعاني ، وفي الوقت نفسه فإن كتاباته يشفى بها الغليل ، ويبرد بها ظمأ العطشان ، هذا هو اللون السائد في كتاباته رضي الله عنه ، وقد يفيض أحياناً في بعض ما يكتب إذا اقتضى الأمر .

والمعروف أن مؤلفاته رضي الله عنه كثيرة جداً ، ولكن عدداً منها فقد أولم يبق منه إلا ورقات شأن كثير من المؤلفات التي لم تطبع فالتهمتها أيدي الضياع أو التلف . والذي نعرفه مما بقي من مؤلفاته نحواً من عشرين مؤلفاً نذكر منها ما يأتي :

١. الدرر البهية في المسلسلات النبوي .

٢. ديوان شعر .

٣. رفع الأستار عن مفاتيح الأسرار .

٤. رشفات أهل الكمال ، ونسمات أهل الوصال (نظم) .

٥. شرح دوائر الدين .

٦. شرح العقيدة .

٧. عمدة المحقق في الأصلين .

٨. العقدة في مسائل العهدة .

٩. غنية أهل المدارس .

١٠. غاية المرام فيما يتعلق بأنكحة الأنام .

١١. فتح الخلاق شرح القصيدة المسماة عقد الميثاق والقصيدة من نظمه .

١٢. قاطع الجدال في مسألة الهلال .

١٣. الطوالع واللوامع في رجال جمع الجوامع .

١٤. غاية الإتقان في فضل القرآن .

١٥. مجموع جوابات على أسئلة وردت عليه لا تقل عن خمسمائة صفحة .

ويروى أنه ألف كتاباً يحوي ١٧ علماً وعمره إذ ذاك دون العشرين وهذا بلا ريب مما يندر وقوعه إلا في حالات شاذه نجدها عند المبرزين الذين خرجت عبقريتهم ونبوغهم على المقاييس العادية المألوفة لنبهاء الرجال .

هذه صورة مصغرة نعرضها للقارئ عن حياة المؤلف ليأخذ بها فكرة عامة عن نماذج الرجال الذين آثروا أن يعيشوا خاملين ، وللذين لا يهمهم بحال من الأحوال بعد أن يوثقوا صلتهم بخالقهم أن يعرف عنهم أحد في هذه الدنيا فهم خير صورة للعالم المخلص يصدق عليهم قول الله عز وجل: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ وقوله سبحانه وتعالى : ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ . نفعنا الله بعلومهم وأسرارهم إنه سميع مجيب .

ترجمة الشارح

الشيخ عبدالله بن أحمد باسودان

اسمه : هو العلامة الفقيه الشيخ عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن باسودان . نسبة إلى قرية (غيل أبي سودان) بوادي دوعن .

مولده : ولد سنة (١١٧٨هـ) بموضع قريب من الخريبة ، ونشأ نشأة صالحة ، وجد واجتهد في طلب العلم ، وأخذ عن شيوخ وعلماء بلاده ، ومنهم :

١ . العلامة الحبيب عمر بن عبدالرحمن البار المعروف بصاحب (جلاجل) وعنه جل أخذه ، ولازمه ملازمة تامة .

٢ . الشيخ عبدالله بن أحمد بن فارس باقيس الكندي .

٣ . العلامة الحبيب حامد بن عمر حامد .

٤ . العلامة الحبيب عمر بن سقاف السقاف (ت ١٢٢٤هـ) .

٥ . العلامة الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر (ت ١٢٤٤هـ) .

٦ . العلامة الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١٢٥٧هـ) .

٧ . العلامة الحبيب حسن بن صالح البحر (١٢٥٧هـ) .

٨ . العلامة الحبيب شيخ بن محمد الجفري صاحب (مليبار) .

تلاميذه : وأخذ عنه كثير من العلماء الأجلاء من السادة العلويين وغيرهم ، منهم :

١ . ابنه محمد باسودان .

٢ . الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي .

٣ . الحبيب أحمد بن محمد المحضار (ت ١٣٠٤هـ) .

٤ . الحبيب صالح بن عبدالله العطاس (ت ١٢٧٩هـ) .

٥. الشيخ العلامة أحمد بن عمر باذيب الشبامي ، المتوفى بـ(سنغافورا) سنة (١٢٦٨هـ) أو بعدها .

٦. الحبيب طاهر بن عمر الحداد ، صاحب (قيدون) (ت ١٣١٩هـ) .

٧. الحبيب حسين بن محمد البار (ت ١٣٣٠هـ) صاحب (القرين) .

مؤلفاته :

١. ((مطالع الأنوار شرح رشفات السادات الأبرار وبيان أوصافهم الجليلة المقدار)) وهو كتابنا هذا .

٢. ((فيض الأسرار شرح سلسلة الحبيب عمر بن عبدالرحمن البار)) .

٣. ((حدائق الأرواح في بيان طريق الهدى والصلاح)) .

٤. ((منظومة ضوء المصباح)) وهي مطبوعة .

٥. ((زيتونة الإلقاح)) بشرح ((ضوء المصباح)) وهو مطبوع .

٦. ((تعريف طريق التيقظ والانتباه لما يقع في مسائل الكفاءة من الاشتباه)) .

٧. ((الأنوار اللامعة والتتمات الواسعة)) شرح ((الرسالة الجامعة)) للحبيب أحمد بن زين الحبشي وهو مطبوع .

٨. ((عدة المسافر وعمدة الحاج والزائر)) في مناسك الحج والعمرة والزيارة وهو مطبوع .

٩. ((تنفيس الخاطر شرح خطبة الحبيب طاهر)) .

١٠. ((جواهر الأنفاس في مناقب الحبيب علي بن حسن العطاس)) .

١١. ((ذخيرة المعاد بشرح راتب الإمام الحداد)) وهومطبوع .

١٢. ((ديوان شعر)) .

١٣. ((ثبت الأسانيد)) .

وله غير ذلك من المؤلفات والرسائل الكثيرة والوصايا النافعة القيمة .

أخلاقه : كان رحمه الله تعالى على جانب كبير من الأخلاق السامية الكريمة ، شديد التعلق بآل البيت والمحبة لهم .

وهو أحد العبادلة السبعة الأقران المتعاصرين ، الذين بلغوا المراتب العالية في العلم والعمل ، والفضل والصلاح ، وحصل بهم النفع الكثير ، وهم :

١. صاحب الترجمة رحمه الله تعالى .

٢. الحبيب عبدالله بن حسين بلفقيه المتوفى سنة : (١٢٦٦هـ) .

٣. الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر المتوفى سنة : (١٢٧٢هـ) .

٤. الحبيب عبدالله بن عمر بن يحيى المتوفى سنة : (١٢٦٥هـ) .

٥. الحبيب عبدالله بن علي بن شهاب المتوفى سنة : (١٢٦٤هـ) .

٦. الحبيب عبدالله بن أبي بكر عيديد المتوفى سنة : (١٢٥٥هـ) .

٧. الشيخ عبدالله بن سعد بن سمير المتوفى سنة : (١٢٦٢هـ) .

وفاته : انتقل الشارح إلى رحمة الله في مدينة (الخريبة) بتاريخ (٧) جمادى الأولى سنة : (١٢٦٦هـ) ، ودفن بها .

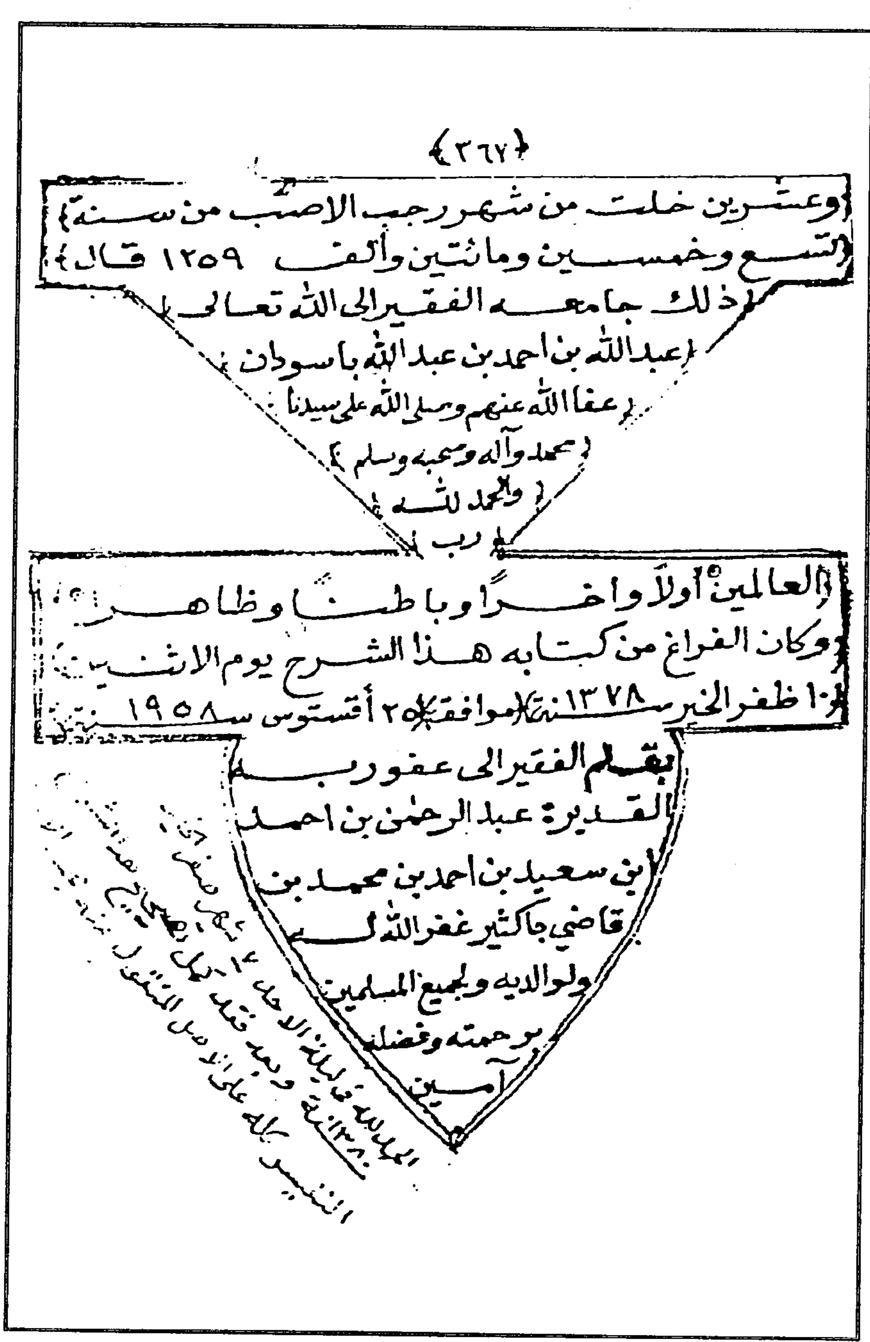
﴿ ٢ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على وجود الوسائط وشمول الروابط وفنون
القيود والضوابط واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له المتعالي عن القرين والمعين والمخالط واشهد ان محمدا عبده
ورسوله الواسطة العظمى في المصاعد والمهابط صلى الله
وسلم عليه وعلى اله وصحبه وكل تابع لهم وعلى نهجهم مرابط
اما بعد فقد سألني السيد الشريف العلامه الفاضل الجامع
للفضائل جمال الاسلام محمد ابن ابراهيم ابن الامام الحبيب
عيدروس بن الشيخ الامام خاتمة الاعلام الذي سارت الركبان
بفضله التام في جميع البلدان وعلى ممر الليالي والايام المحقق
المتفنن المتقن وجيه الدين عبد الرحمن بن الشيخ الامام
الحبيب عبد الله بن احمد بن الفقيه باعلوي نفعنا الله بهم
وباسلافهم ولاحرمنا بركة جمعيتهم على البر والتقوى واتلافهم
والرشف من رحيق سلافهم وذلك بان اشرح بما يسر علي
منظومة جده الحبيب عبد الرحمن المسماة بالرشفات فامتثلت
لاشارته رجاء لدعائه اذ هو احد ورثة هذا الامام وخلفائه
والتمس ايضا بان اقدم على ذلك جملة من ذكر مناقب هذا الامام
وما تفضل الله به عليه من العلوم والاعمال والحال والمقام
واعلم ايها الواقف على ذلك ان ليس لي اطلاع
على ما ظهر من خصوصيات سيدي الحبيب عبد الرحمن فضلا

عن

صورة من الصفحة الأولى للمخطوطة الأولى التي اعتمدنا عليها


﴿٣٦٢﴾
وعشرين خلت من شهر رجب الاصب من سنة
تسع وخمسين ومائتين وألف ١٢٥٩ قال
ذلك جامعه الفقير الى الله تعالى
عبد الله بن احمد بن عبد الله باسودان
عفا الله عنهم وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم
والحمد لله
رب
العالمين أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً
وكان الفراغ من كتابة هذا الشرح يوم الاثنين
١٠ ظفر الخير سنة ١٣٧٨ الموافق ٢٥ أقستوس سنة ١٩٥٨
بقلم الفقير الى عفو ربه
القدير عبد الرحمن بن احمد
بن سعيد بن احمد بن محمد بن
قاضي باكثير غفر الله له
ولوالديه ولجميع المسلمين
برحمته وفضله
آمين

صورة من الصفحة الأخيرة للمخطوطة الأولى التي اعتمدنا عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على وجود الوسائط وشمول الروابط وفنون القيود
والضوابط وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
المتعالي عن القرين والمعين والمخالط وأشهد أن محمدا
عبده ورسوله الواسطة العظمى في المصاعد والمهابط
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وكل تابع لهم وعلى نهجهم
مرابط (أما بعد) فقد سألني السيد الشريف العلامة
الفاضل الجامع للفضائل جمال الإسلام محمد بن إبراهيم
ابن الإمام الحبيب عيدروس بن الشيخ الإمام خاتمة الأعلام
الذين سارت الركبان بفضله التام في جميع البلدان على
ممر الليالي والإمام المحقق المتقن المتفنن وجيه الدين
عبد الرحمن ابن الشيخ الإمام الحبيب عبد الله بن أحمد بن الفقيه باعلوي
نفعنا الله بهم وبأسلافهم ولا حرمنا بركة جمعيتهم على
البر والتقوى وائتلافهم والرشف من رحيق سلافهم
وذلك بأن أشرح بما تيسر على منظومة جده الحبيب عبد الرحمن

صورة من الصفحة الأولى للمخطوطة الثاني التي اعتمدنا عليها

٤٦٢

الى ذلك جامعه الفقير الى الله تعالى عبد الله
بن احمد بن عبد الله باسودان عفى الله عنهم وصلى الله
على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين
اولا واخرا وظاهرا وباطنا وعلى كل حال من الاحوال
وكان الفراغ من نساخة هذا الشرح عشية يوم
السبت وخمس خلت من شهر الحجه الحرام من سنة
ستين ومائتين والف ١٢٦٠ على يد افقر العباد
الى ربه المنان ابي بكر بن عبد الله باسودان عاملهم الله
باللطف والغفران ووالديه وكافة الاحبة والاخوان
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم
والحمد لله رب العالمين

- ملحوظة - ليعلم ان الثلاث الصفحات الاول نقلت من نسخة رقمت
المرحوم السيد حسين بن عبد الرحمن بن سهل بتريم وهي بخط السيد محمد بن عبد الرحمن
بن محمد بن حسين بن عبد الله الحداد قال ناسخها كان الفراغ من نساختها في شهر رمضان
سنة ١٢٩١ وكتبه [illegible]
كفانا الله [illegible]

صورة من الصفحة الأخيرة للمخطوطة الثانية التي اعتمدنا عليها

مطالع الأنوار

شرح رشفات السادات الأبرار وبيان أوصافهم الجليلة المقدار

للسيد العلامة

عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه

تأليف

الشيخ العلامة

عبد الله بن أحمد باسودان

(١١٧٨هـ - ١٢٦٦هـ)

دار الأصول
الجمهورية اليمنية - تريم - حضرموت

[مقدمة الشارح]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على وجود الوسائط ، وشمول الروابط ، وفنون القيود والضوابط ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له المتعالي عن القرين والمعين والمخالط ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الواسطة العظمى في المصاعد والمهابط ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وكل تابع لهم وعلى نهجهم مرابط .

أما بعد : فقد سألني السيد الشريف العلامة الفاضل الجامع للفضائل جمال الإسلام محمد بن إبراهيم ابن الإمام الحبيب عيدروس بن الشيخ الإمام خاتمة إلاعلام الذي سارت الركبان بفضله التام في جميع البلدان وعلى ممر الليالي والأيام المحقق المتفنن المتقن وجيه الدين عبد الرحمن ابن الشيخ الإمام الحبيب عبد الله بن أحمد بن الفقيه باعلوي نفعنا الله بهم وبأسلافهم ولا حرمنا بركة جمعيتهم على البر والتقوى وائتلافهم والرشف من رحيق سلافهم ، وذلك بأن أشرح بما يسر عليَّ منظومة جده الحبيب عبد الرحمن المسماة بـ((الرشفات)) ، فامتثلت لإشارته رجاء لدعائه ، إذ هو أحد ورثة هذا الإمام وخلفائه ، والتمس أيضاً بأن أقدم على ذلك جملة من ذكر مناقب هذا الإمام وما تفضل الله به عليه من العلوم والأعمال والحال والمقام .

واعلم أيها الواقف على ذلك أن ليس لي اطلاع على ما ظهر من خصوصيات سيدي الحبيب عبد الرحمن فضلاً عما بطن من حقائق أعماله وأحواله ، فهو البحر الزاخر القائم في منصات العلوم والأعمال والأحوال في أعظم المظاهر بما وفقه الله له وأعانه عليه من الأعمال الكسبية وما أثمرته له من الأحوال الوهبية التى جلت أن توصف بوصف الواصفين ، وما أنصف العارفين من وقف على ساحل ذلك البحر التيار ولم يذق ويفهم ويطلع إلا على مادلت عليه عباراته من جواهر الأسرار وَالأنوار ، ولهذا لم يكن استمدادنا لهذه الترجمة إلا

من كتابه المسمى ((رفع الأستار عن مفتاح الأسرار)) و بالله أعتضد ومنه أستمد وإليه أستند وله أوحّد وفيه بالتوفيق أستغرق ما أجد ، وسميت هذا المؤلف

((**مطالع الأنوار شرح رشفات السادات الأبرار وبيان أوصافهم الجليلة المقدار**))

وهذا أوان الشروع في المقدمة .

المقدمة

فأقول : اعلم أيها المسترشد الطالب للاطلاع على بعض ما كان عليه هذا الإمام من العلوم والأعمال والأنفاس والأحوال حسبما فهمناه وذقناه من كلامه في مؤلفاته ، وأما ما يتعلق به من الأخبار والآثار فلم نعثر على شيء من ذلك لبعد الدار عن الدار ولكونه رضي الله عنه ونفع به مبالغاً في طلب الخمول والاستتاركما ذلك شأن سلفه وأرباب طريقته كما ذكر ذلك الشيخ عبدالله بن علوي الحداد باعلوي نفع الله به، وهو أنه قال : أنه كان زمن الشيخ عمر المحضار من السادة آل أبي علوي أربعون في مقامه ولم يظهر منهم إلا هو يعني الشيخ عمر ، وذلك لأن أهل البيت الواحد لا يظهر منهم إلا واحد يكون مقصودا لنشر العلوم الظاهرة الشرعية وعلوم الصوفية والائتساء بالسيرة المحمدية . هذا معنى كلامه ، فنقول :

[ترجمة صاحب الرشفات الحبيب عبد الرحمن بلفقيه]

ولد السيد الكريم والحبر العظيم بمدينة تريم كما سيأتي في كلام تحديد ولادته ، وحفظ القرآن ثم توجه إلى تحصيل العلوم الشرعية والأدبية وبرع فيها وامتلأ منها حتى صار يشار إليه بالبنان ويحكم عليه أنه من الأعيان ، وقد أشار إلى هذا المقام والحال وأنه بلغ غايات الكمل من الرجال ، فقال في منظومته المسماة ((مفتاح الأسرار)) :

والحمد لله الحميد بحمده ... من فضله نلنا أجل منالِ

وبعبده ورسوله اتصلت لنا ... أسنى الصِّلات بأكمل الأوصالِ

قال في شرحها : أي أن الله منّ علينا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ببعثة رسوله فأنقذنا به من الضلال وأوضح به لنا طرق الحق والكمال ونلنا به أجل منال في جميع

الصفات والأحوال وجميع المطالب والخصال ، وبعبده ورسوله اتصلت لنا ووصلت إلينا منه أسنى الصلات من العلوم والأعمال والمقامات والأذواق في المواجيد والأحوال بأكمل الأوصال في كل قرب ووصال .

وبـــه بلغنـــا كـــل خـــير فـــائض ... بـــالجود في التفصـــيل والإجمـــالِ

وبآلـــه وبصـــحبه اتضـــحت لنـــا ... ســـبل الرشـــاد ونهـــج كـــل كـــمالِ

إلى أن قال :

فـــاض علينـــا مـــن بحـــار محمـــد ... بمعـــارف ولطـــائف وعـــوالِ

فذكر - رضي الله عنه- في شرح هذا البيت ما تلقاه عنه صلى الله عليه وسلم أهل العموم من شرعه كما هو لائق بحالهم وأفعالهم وأقوالهم . ثم قال في آخره مشيراً إلى مقام الخواص وأرباب الاختصاص وأنه ممن ذاق ذلك وحاز ما هنا لك فقال : فلابد من طريق خاص للخواص يتحقق بها المحقق بالصدق وتحقيق الإخلاص وهي طريق أهل الإخلاص ، فهي السير بالشريعة التى أنزلها الله إليه وتنزيه القلب عما سواه والتعويل في كل حال عليه مع تهذيب الأخلاق والفضائل من جميع الشوائب والرذائل ، وهي طريقة الاتصال إلى القرب إلى الله والحب لله والانقطاع إليه والذهاب فيه فيظهر بها على المخلص أنوار الحقيقة والمعرفة الحقية في كل رقيقة ودقيقة ، فيفيض بذلك على العبد المخلص السالك من بحار سيدنا محمد وعلومه الأنوار وتنزل المعارف واللطائف والأسرار ، ومعانٍ عوال لا تحيط بها الأفكار ولا تسعها العبارة ، فمن عبر عنها وقع في الشطح ووقع عليه الإنكار ، والله يتولى السرائر بحفظه في كل مدار .

[ذكر شيوخ صاحب الرشفات]

ثم قال :

إرث الشيوخ العارفين أولي العلو	م العاملين مطامح الآمالِ
كالوالد الشيخ الإمام وجدِّي الـ	ـحبر الهمام وخالي المفضالِ
فلقد حظيت بقربهم وبلغت	آمالي بهم ، وبهم سبقت رجالي

قال في شرحها : أي أن العلماء ورثة الأنبياء في الميراث الأعم والأخص على حسب القسمة (إنما أنا قاسم والله معطي) فقد فاضت علينا الأنوار واستفاضت الأسرار في الشريعة والطريقة بالمعارف واللطائف في الحقيقة بواسطة شيوخنا العارفين العاملين المتحققين بحقيقة الدين وصفات المتقين في كل معرفة ويقين :

١ - كشيخنا ووالدنا السيد عبد الله بن أحمد بن الفقيه الإمام عبد الرحمن بن محمد باعلوي ، فإني بحمد الله قد لزمت مجالسته ولازمته في جميع خلواته وجلواته نحوا من عشر سنين ، وأخذت عنه في جميع العلوم ومقدماتها مالم أحصه بالعد ولا أحصره بالتعيين ، وله مؤلفات كثيرة ومجاميع شهيرة تشهد له بذلك في كل تبيين ، وخصني بخصائص من الفضل المبين ، وشرفني بالإلباس والتلقين ، وأجازني إجازة خاصة مكتوبة بخطه عامة في جميع العلوم وماتلقاه عن مشايخه العاملين والأئمة العارفين ، ولم يزل عليَّ وبي برا إلى أن توفي في شعبان سنة (١١١٠هـ) عشر ومائة وألف وأنا ابن إحدى وعشرين سنة ، واستخلفني في حياته للتدريس والفتوى ونشر علوم الدين .

قلت : فعلى هذا يكون ولادة الناظم رضي الله عنه ونفع به في حدود عام (١٠٨٩هـ) تسع وثمانين بعد الألف .

ثم قال رضي الله عنه : وقد كان إمام وقته ، وفضله معلوم جامعا لجميع المعارف والعلوم ، في الشريعة والطريقة والحقيقة ورسوم القوم ، مع محبته الخمول ومحو الرسوم وصدق العبودية للحي القيوم ، ونشر الحقيقة في الخصوص عن العموم .

٢- وأما جدي لأمي فهو الشيخ الإمام والحبر الهمام محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن الحسين ابن الشيخ عبد الله العيدروس ففضله مشهور ، وهو بكل علم وتحقيق وتدقيق مذكور ، وإليه في حياته مرجع الخاصة والعامة في جميع الأمور ، وعليه لظهوره جميع مطالب الأخيار في بلده تدور ، وقد قرأنا عليه كتبا كثيرة واستفدت منه فوائد منيرة وخصني بالعناية والرعاية وألبسني خرقة أهل الولاية ، ولقنني الذكر في طريق الهداية ، وأجازني إجازة خاصة بخطه الشريف في جميع ما يجوز له روايته في كل تعليم وتعريف ، ولازمته إلى أن توفي سنة (١١١٢هـ) اثني عشر ومائة وألف .

٣- وأما خالي فهو السيد عبد الرحمن ابن محمد المذكور ، وهو السيد المفضال الجامع في مجامع الفضل لجميع الخصال ، الذي أجمع الجميع عليه في كل حال ، وأنه واحد العصر الذي تشد إليه الرحال ، ويحل كل إشكال ، وقد قرأت عليه جملة كثيرة في الكتب الشهيرة في جميع العلوم ، وانتفعت به نفعا خاصا وعاما في كل معلوم ، وألبسني الخرقة ولقنني الذكر مرارا عديدة ، وكانت له اليد الطولى في طريق القوم ، وله مؤلفات كثيرة ومجامع شهيرة ، تشهد له بصحة المنقول وتحقيق المنطوق والمفهوم ، وقد أجاز لي ما يجوز له روايته وكتب لي ذلك بخطه ، ولازمته إلى أن توفي سنة (١١١٣هـ) ثلاث عشرة ومائة وألف ، فهؤلاء الثلاثة هم أصل نجحي ومفتاح فتحي وفجر صبحي ، وأنا ربيب تربيتهم ونشأت في حجورهم وأنديتهم فحظيت بقربهم وبلغت آمالي بهم في جميع المطالب ، وبهم سبقت لذاتي رجال ساعاتي ، وجزاهم على الله بالرضى والرضوان والحسنى والزيادة بكل حسنى وإحسان . قوله رضي الله عنه : (وبهم سبقت رجالي) فيما يناسب ذلك : ماحكاه لي السيد الأفضل علي بن عمر بن أحمد العيدروس نفع الله بهم أنه قال : رأى والدي الحبيب عبدالله بن علوي الحداد وكأنه يقول له : مَنْ مِنْ السادة آل أبي علوي في مقام القطبية ، فقال له : السيد طاهر بن محمد بن هاشم ، وكان الحبيب عبد الرحمن خاله وشيخه ، فقال له : والحبيب عبد الرحمن ؟ فقال له : مقامه فوق القطب ، وهذه رؤيا منام صادقة ، وقد ذكر الإمام اليافعي أن الأفراد السبعة فوق القطب ، وأن تعلقهم بالعالم العلوي وتعلق القطب

بالعالم السفلي ، وذلك على الخلاف بين أئمة هذا الشأن المذكور الخلاف فيه في فتاوى الصوفية للشيخ عبد الله بن علوي الحداد نفعنا الله به وبهم ، ومما يدل على أن القطب تتعلق ولايته وخلافته بالعالمين ، ما كتب به بعض السادة آل العيدروس إلى الحبيب عبد الرحمن المذكور وهو قوله: (إلى وارث الأرض ومن عليها وكمالات السموات وما إليها) أو ما هذا معناه ، فذلك يدل على إطلاق الخلافة له والوراثة في وقته ، وقد ترجم الحبيب أحمد بن زين الحبشي في ((شرح العينية)) لوالده الحبيب عبد الله بن أحمد فلينظر منه .

[ذكر من استجازهم واتصل بهم]

ثم قال رضي الله عنه :

وبغيرهم من سادة وأئمة ومشايخ كبرى وصلت حبالي

من ساكني الحرمين واليمنين مع شام ومن أهلي وأهل حلالي

ثم شرح هذه الأبيات فلينظر ذلك لأنه من أهم ما تقصد له الترجمة ، فقال رضي الله عنه : أي : وصلت إلينا الأنوار من مواريث الأنبياء والأخيار من الصالحين والعلماء العارفين الأبرار بواسطة أئمة آخرين غير الثلاثة من العلماء الكبار والسادة الأطهار ، فاتصلت حبالي بحبالهم وتواصل وصلي بوصالهم وإيصالهم ، فمنهم من أهلي وأهل بلدي ومنهم من أهل الحرمين وأهل اليمنين ، أي: تهامة والجبال ، ومنهم من أهل الشام .

١ - فقد أخذت عن صنوي جمال الدين محمد بن عبد الله المتقدم ذكره وكان من خواص المتقين وأهل العلم واليقين والعلماء العارفين ، وله رسائل مفيدة وأشعار فائقة فريدة .

٢ - وأخذت كثيرا في علوم الدين في مدة سنين عن سيدنا العارف بالله القائم بالإرشاد في منهج الرشاد السيد عبد الله بن علوي بن محمد الحداد باعلوي ، قرأت عليه قراءة كثيرة في كتب شهيرة واستفدت منه فوائد كثيرة ولي منه عناية خاصه ومحبة خالصة ، وألبسني الخرقة ولقنني الذكر مرارا عديدة ، وكتب لي الإجازة بما يجوز له روايته وحثني

على ملازمة التدريس ونشر العلـم في حياتـه ، ولم أزل أتـردد إليـه ولازمتـه إلى أن تـوفي سـنة ١١٣٢هـ اثنتين وثلاثين ومائة وألف .

٣- وأما السيد أحمد بن عمر الهندوان ، العالم الشهير الحقيق بتحقيق علـوم الـدين في جميع الشان ، فقد قرأت عليه مدة في كتب عدة ولازمته واستفدت منه وانتفعـت بـه في كـل رخاء وشدة ، ولبست منه الخرقة الشريفة مرارا ، وأجاز لي إجازة خاصـة وعامـة لفظـا تجـاه قبر العيدروس ، وصحبته إلى أن توفي سنة (١١٢١هـ) إحدى وعشرين ومائة وألف .

٤- ولبست الخرقة الشريفة من السيد الفاضل العارف بالله علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الحسين العيدروس ، وهو لبس من السيد عبد الله بن علي صاحب الوهط.

٥- ولبست الخرقة أيضاً من السيد الصالح شيخ بن الحسين بـن الشيخ أبي بكـر بـن سالم ، وهو لبسها من أبيه عن جده ، وغير هؤلاء مـن أهـل جهتنـا مـن أهـل أبي علـوي مـن يكثر تعدادهم ويعسر حصرهم في إيرادهم ، أدام الله علينا أمدادهم ونفعنا بهم .

٦- وأما أهل الحرمين فقـد ألبسـني الخرقـة مـراراً كثيرة الشيخ إبـراهيم بـن حسـن الكردي المدني بإرسال ذلك من المدينـة الشريفـة ، وأجـاز لي إجـازة خاصـة وعامـة في حيـاة والدي ، وتوفي سنة احدى ومائة وألف .

٧- وكذلك أجاز لي السيد الشهير محمد بن رسول البرزنجي المـدني رحمـه الله إجـازه عامة في عموم أولاد والدي .

٨- وكذلك الشيخ حسـن بـن عـلي العجيمـي المكـي أجـاز لي إجـازة خاصـة وعامـة وكتب لي بخطه .

٩- وكذلك الشيخ أحمد بـن محمـد الـنخلي أجـاز لي إجـازة عامـة وخاصـة وكتـب لي بخطه وأطال في لفظه .

١٠و١١- ثم قدر الله لي السفر إلى الحج واجتمعت بالشيخ أحمد النخلي والشيخ عبد الله البصري فسمعت منهما حـديث الأوليـة أول سـاعة اجتمعـت بهـما فيهـا ، ومـا زالا مـدة إقامتي بمكة يترددان إليّ كل يوم ، واستفدت منهما فوائد في جميع العلوم ، ولم يـزالا يكتبـان

إليّ بأفضل العلوم وأحسن الإعلام في كل عام ، إلى أن توفيا ببلد الله الحرام . ومن جملة ما كتب به إلي الشيخ عبد الله البصري : (إلى مجمع بحري الشريعة والحقيقة ، وعمدة أهل المعرفة والطريقة) وهذا بخطه بحسن ظنه في كل رقيقة ، وغيرهم من أهل الحرمين ممن يكثر عدهم ويشق سردهم .

١٢ - ومن أهل الشام السيد الشريف العلامة الجليل إبراهيم بن محمد بن حمزة الحسيني الدمشقي نقيب الأشراف بالشام ، وصل إلي مرارا إلى منزلي بالمدينة الشريفة، وطلب مني الإجازة فأجزته وطلبت منه الإجازة فكتب لي إجازة خاصة وعامة بخطه ، وتوسط في الإجازة من الشيخ أبي المواهب محمد بن عبد الباقي الحنبلي الدمشقي نفع الله بهم.

١٣ - وأما اليمنيون فقد اجتمعت بزبيد في سفري إلى الحج بجماعة من علمائها، كالسيد يحيى بن عمر الأهدل مقبول ، والسيد أبي بكر علي ، والشيخ الزين بن محمد باقي المزجاجي ساكن بلد اللحية تحت مدينة زبيد ، والشيخ علاء الدين أخيه ، والعلامة إبراهيم الناشري ، وابن جعمان ، وكلهم طلب مني الإجازة فأجزتهم وأجازوني إجازة عامة لفظا ، ولم أزل مدة إقامتي بزبيد وهم مجتمعون عندي لاقتباس الفوائد والتماس الفرائد ، وبهم اتصلت سلسلتي بالأسانيد اليمنية والسلاسل العالية السنية نفع الله بهم أجمعين وجمعنا بهم في مستقر رحمته وبحبوح جنته يوم الدين .

ثم قال رضي الله عنه :

بالعرض والتحديث والإسماع أو ... بإجازة ووجازة ونوال

في الفقه والأصلين والتفسير مع ... علم الحديث مساند وعوالي

أي: أخذت عن هؤلاء المشايخ العارفين العاملين ورثة سيد المرسلين بأنواع الأخذ من العرض وهو القراءة على الشيخ ، والتحديث بقراءة الشيخ وهو أعلى من العرض ، والإسماع بقراءة غيري وأنا أسمع ، والإجازة الخاصة والعامة ، والوجادة بخطوطهم أو بخط غيرهم منسوبا إليهم مع الإذن لي منهم في نقل ذلك عنهم وروايته

منهم، والمناولة منهم لكتب شهيرة في مواصلات كثيرة ، وذلك في جميع العلوم من فقه الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي والأصلين أصول الدين وأصول الفقه والتفسير وعلوم الحديث بأنواعها التي تنيف على سبعين نوعا ، وغير ذلك من علوم الآلات وطرائق الصوفية ، ولي مع ذلك اتصالات في أمالي وأسانيد عوالي إلى كل عالم فيما أعلم وإلى كل كتاب فيما أظن وأفهم .

[ذكر شيءٍ من أسانيده]

ثم قال نفعنا الله به :

بيني وبين الحافِظِين ثلاثةٌ　　　واثنان بالفقهاء كان وصالي

أي: إن الله سبحانه وتعالى منَّ علينا بالاتصال بالأسانيد العالية الشهيرة فبيني وبين الحافظين بالجمع كالشيخ جلال الدين السيوطي والحافظ عثمان الريمي والحافظ نور الدين علي الهيثمي والحافظ محمد بن عبدالرحمن السخاوي والحافظ عبدالرحمن الديبع اليمني ثلاثة من الوسائط ، فإنني أخذت عن والدي وعن الشيخ إبراهيم الكردي وعن الشيخ حسن العجيمي وعن الشيخ أحمد النخلي وهم أخذوا عن الشيخ أحمد بن محمد القشاشي المدني وعن الشيخ عبد العزيز بن محمد الزمزمي وعن الشيخ محمد بن العجل اليمني بأخذ هؤلاء الثلاثة واتصالهم بالسماع والإجازة من الشيخ محمد بن أحمد الرملي صاحب ((النهاية شرح المنهاج)) والشيخ أحمد بن محمد حجر المكي صاحب ((التحفة)) والشمس الخطيب الشربيني والشيخ بدر الدين المقوي والشيخ عبد الرحمن ابن زياد اليمني صاحب الفتاوى ، وهؤلاء الفقهاء المشاهير اتصلوا بالإجازة والسماع من الحفاظ المتقدم ذكرهم ، وتعداد شيوخهم وطرقهم واتصالاتهم لا يسعه هذا المسطور وهو في الفهارس معلوم ومشهور عند كل من له عناية بعلم الإسناد العلم المنشور .

[ذكر طلبه للعلم]

ثم قال رضي الله عنه :

ورقائق وحقائق بمسالك　　　عربية ومدارك العقالِ

بـــــــتفهم وتعلـــــــم وتعلـــــــق وتخلـــــق لتحقـــــق ونـــــــزالِ

هذا عطف على الفقه وما بعده ، أي : إنني بحمد الله كما اتصلت بالعلوم الظاهرة بما تقدم كذلك أخذت الرقائق وحصلت الحقائق وغيرها من علوم القوم وأهلني الله لذلك وجعل في قلبي قابلية لحفظ العلوم النقلية والإدراكات العقلية في جميع المسالك العربية والفنون الأدبية ، فصار أخذي بتفهم للمعنى وتعلم من الصدور وتعلق بالحقيقة وتخلق بأخلاق أهل الطريقة ليكون التحقيق بالاتصال والمنازلة له بكل نزال في كل طريقة ، فقد حفظت في أول عمري القرآن العظيم وقرأت من أوله إلى سورة الأعراف بالقراءات العشر جمعا وإفرادا على الشيخ عبد الرحمن أبي الغيث المدني والشيخ إبراهيم بن محمد المصري ، وأجازاني بما فيه وجميع ما يجوز لهما وكتبا لي ذلك بخطوطهم .

قلت : والحق أن الإجازة في الأداء لمن تأهل وقرأ جملة صالحة من القرآن يكون الباقي كالمكرر معها كافية والله أعلم . وقد أخذ عن الشيخ أحمد البنا صاحب ((إتحاف فضلاء البشر بقراءة الأربعة عشر)) ، وكتاب ((الإرشاد)) لابن المقرئ في الفقه ، و((الملحة)) و((ألفية ابن مالك)) وأكثر ((ألفية السيوطي)) ونظم ((قواعد الإعراب)) في النحو، وألفية السيوطي في المعاني والبيان ، وألفية البرماوي في أصول الفقه ، وألفية الحديث للعراقي ، و((الشاطبية)) في القراءات ، والرائيه في الرسم ، ومنظومات أخر في المنطق والعروض وغير ذلك ، ثم قرأتها وحققتها على المشايخ المتقدم ذكرهم ، ولم أزل منذ أجلسني والدي في مجلس التدريس سنة (١١٠٩هـ) تسع ومائة وألف إلى الآن وأنا حريص على نفع المسلمين وتفقيه المهتدين وتفهيم المبتدئين وتذكير المستمعين وتدريس علوم الدين وتأسيس القواعد وتأليف الفوائد والنظم والنثر بالحفظ والنشر واتباع سيد المرسلين والاقتداء بورثته الكاملين والحمد لله رب العالمين على ما أعطى من فضله المبين فله المنة ، وبه على الشكر نستعين .

[ذكر اتصاله بطرق التصوف]

ثم قال رضي الله عنه :

والأخـــذ بـــالتلقين والإلبـــاس في ... عهـد بوصـل سلاسـل السلسـالِ
بطرائـــق مشـــهورة نافـــت عـــلى ... العشريـن قـد عرفـت بخـير نـوالِ
والإذن والإرشـاد والتحكـيم والتـــ ... ـــدريس والفتـوى لكـل سـؤالِ

أي: إنني بحمد الله أخذت في الطريقين عن أهلها أهل التسليك والتحقيق منهم لي بأذكار عديدة في آثار وأنوار شهيدة ، ولبست منهم الخرقة الفقرية الفخرية مرارا كثيرة في صحبة أكيدة وقابلية مستفيدة ، وأخذوا علي العهد الخاص والعام في الأمور القديمة والجديدة ، فاتصلت من سلاسل أنوارهم بأكمل الاتصال وتوالى إليَّ وصالهم بكل نوال وشربت من مناهل معرفتهم العذب البارد السلسال ، واتصلت بواسطتهم لي بطريق الصوفية الصفية على الإكمال ، من طرق تزيد على العشرين طريقا منسوبة إلى المشائخ الكبار والمشهورين في الأقطار ، كـ :

١/ العلوية المنسوبة إلى سيدنا الفقيه الشيخ محمد بن علي باعلوي .

٢/ والعمودية المنسوبة إلى الشيخ سعيد بن عيسى العمودي .

٣/ والعبادية المنسوبة إلى الشيخ عبد الله باعباد .

٤/ والقادريه المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني .

٥/ والرفاعية المنسوبة إلى الشيخ أحمد الرفاعي .

٦/ والشاذلية المنسوبة إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي .

٧/ والسهروردية المنسوبة إلى الشيخ عمر بن محمد السهروردي .

٨/ والكازرونية المنسوبة إلى الشيخ إبراهيم بن شهرباد الكازروني .

٩/ والبدوية المنسوبة إلى الشيخ السيد أحمد البدوي .

١٠/ والمَدْيَنية المنسوبة إلى الشيخ أبي مدين .

١١/ والأويسية المنسوبة إلى سيدنا أويس القرني الذي بشّر به النبي صلى الله عليه وسلم .

١٢/ والخضرية المنسوبة إلى الخضر المحكوم بنبوته وولايته وبقائه إلى الآن عند كثيرين .

١٣/ والقشيرية المنسوبة إلى الشيخ عبد الكريم بن هوازن صاحب ((الرسالة)) .

١٤/ والفردوسية الكبرينية المنسوبة إلى الشيخ نجم الدين الكبريني .

١٥/ والشطارية المنسوبة إلى الشيخ عبد الله الشطاري .

١٦/ والجشتية المنسوبة إلى الشيخ أبي إسحاق الجشتي .

١٧/ والطيفورية المنسوبة إلى الشيخ طيفور الشامي .

١٨/ والهمدانية المنسوبة إلى الشيخ علي الهمداني .

١٩/ والنقشبندية المنسوبة إلى الشيخ بهاء الدين نقشبند البخاري.

٢٠/ والخلوتية المنسوبة إلى الشيخ إبراهيم الخلوتي .

٢١/ والعادلية المنسوبة إلى الشيخ بدر الدين العادلي .

٢٢/ والغوثية المنسوبة إلى الشيخ محمد الغوث .

٢٣/ والدسوقية المنسوبة إلى الشيخ إبراهيم الدسوقي .

فهذه نيف وعشرين طريقة اتصلت بحبالها وتعلقت بسلاسلها ، وهي وإن تفرقت رسومها وتنوعت علومها ترجع إلى أصل واحد وتدور على تقريب الطريق إلى الأحد الواحد ، فبعضها راجع إلى بعض في السنة والفرض ، ولا خلاف بين القوم إلا في الهيئات والرسوم ، وليست الطريق منحصرا في تلك الطرائق بل طرق الله على عدد أنفاس الخلائق، فكم فتح الله على عبد في ذكر وكم قربه في تذكير وفكر ، وكم جذبه إليه في جذبة وهيئة فأغنته عن المسالك في كل أمر ، فحق العبد أن لا يزال معرضا عن غير الله متعرضا في كل حين لنفحات الله ، ومن صح اجتهاده وحقق على الحق اعتماده فقد نجح مراده ووضح

رشاده ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (العنكبوت/ ٦٩) إلى آخر ماحققت من العلوم الكسبية والوهبية والرقائق الذوقية .

قلت: وما تحدث به من العطايا وناله من المزايا فلينظره المشتاق إليه والحريص عليه من هذه المنظومة وشرحها وغير ذلك من كتبه ومؤلفاته التي تشوق السالكين وتخطبهم إلى حضرة رب العالمين ، والحاصل أن هذا السيد الكريم والجهبذ العظيم خص بخصوصيات ربانية وعلوم ومعاملات حقانية فترجمته ومناقبه لا يحاط بها إلا بالإجمال ، وأما التفصيل فعزيز المثال ، ولو لم يكن من شرح حاله وتفصيل إجماله إلا ما ذكره بقوله :

[ذكر فضل الله ومنته عليه]

هـذا اجتهـادي ثـم مَـنَّ الله بالفـ ـضل العظـيم وفـوق مـا في بـالي
أعطـى عطايـا لاتحـد ونعمـة ليسـت تُعَـدُّ بكـل حـالٍ حـالِ

أي : إن جميع ما ذكرته من تطلبي العلم وتكسبي بالفهم وتوصلي بالعلماء الأعلام وتوسلي بالأولياء الكرام في العلم والعمل والتقرب إلى الله عز وجل هذا اجتهادي ونصبي وجهدي وتعبي، فلم أزل كلما فرغت أنصب وإلى الله أرغب في نيل كل مطلب ، فلما علم الله صدق جهادي وصحة اعتمادي عليه واستنادي إليه مَنّ الله بالفتح العظيم بكل مطلوب، وأعطاني فوق ما يخطر ببالي من كل مرغوب ، وخصني بعطايا لا تحد ونعم لا تحصى ولا تعد بكل حال حالي ومنال عالي ، فحكيت بالإجمال وسكت عن التفصيل لأني لو فصلت لكذبت ورميت بكل تجهيل ، ولست مباليا بما أصابني في الله ولا ناظرا إلى الخلق في حق الله ولكن صح (لا تحدثوا الناس بما لا يعلمون أتحبون أن يكذّب الله ورسوله) فتركت التفصيل رحمة مني لهم عن التضليل ، وهذه سنة الله فيما سبق وليس لسنة الله من تبديل ، قال الإمام الغزالي في ((فيصل التفرقة)) : واستصغر من لا يُحسَد ويقْذَفْ واستصغر من بالكفر والضلال يعرف ... إلى آخر ما ذكره ، وإلى الله ترجع الأمور وهو العليم بذات الصدور انتهى ما ذكره . وترجم به لنفسه وهو واف بالمراد وزيادة على ما يقصد من تراجم العلماء والعباد نفع الله به وبسلفه ورزقنا محبتهم .

وهذا أوان الشروع في المطلوب وإن كان عويص الإدراك من حيث إنه من عالم الغيوب ، قال رضي الله عنه في أول المنظومة بعد البسملة والحمدلة :

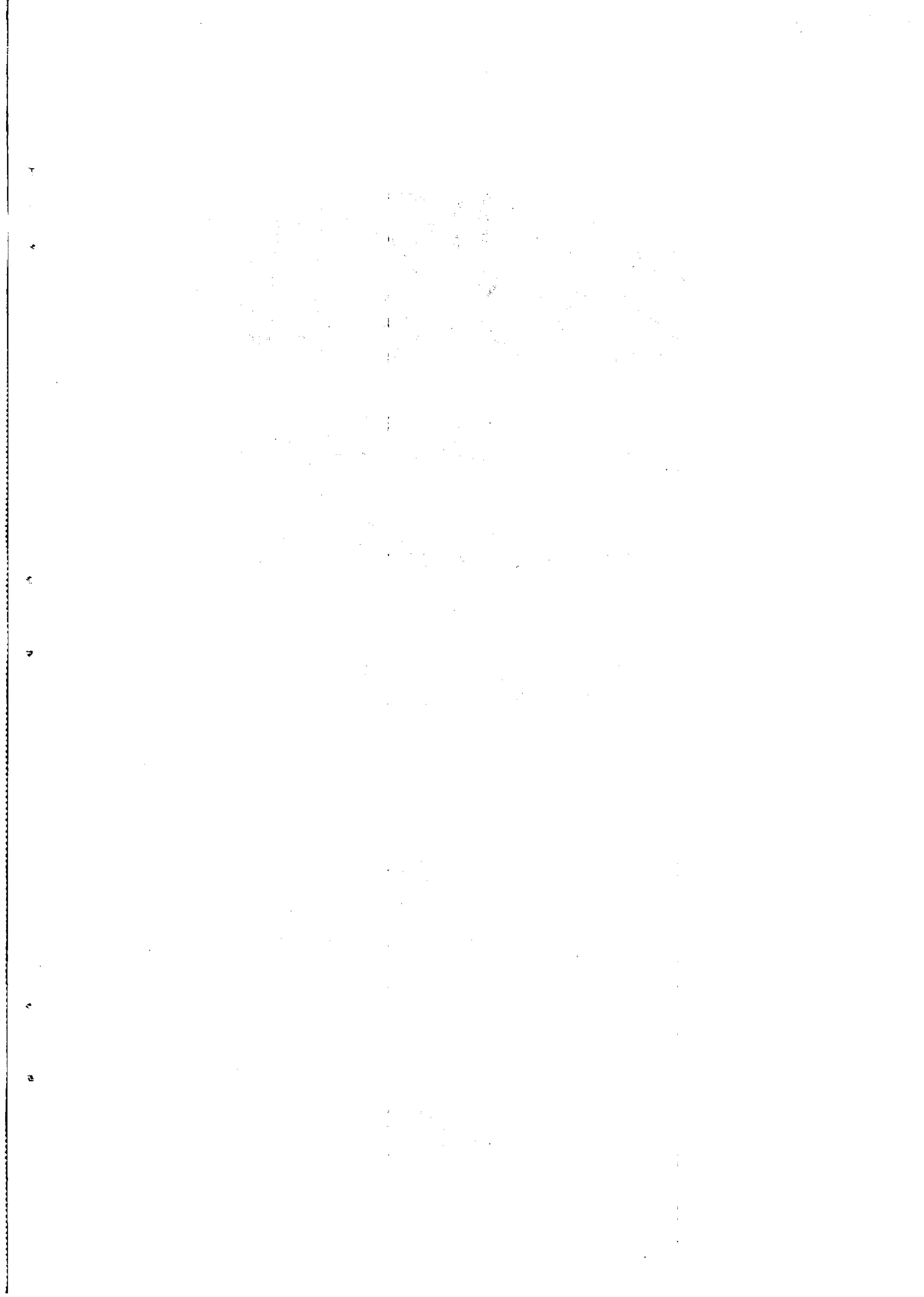
مطالع الأنوار

شرح رشفات السادات الأبرار
وبيان أوصافهم الجليلة المقدار

للسيد العلامة
عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه

تأليف
الشيخ العلامة
عبد الله بن أحمد باسودان
(١١٧٨هـ - ١٢٦٦هـ)

دار الأصول
الجمهورية اليمنية - تريم - حضرموت



[شرح مقدمة الرشفات]

إخوانَنَا بالمسجد الحرامِ   منَّا إليكم أكملُ السلامِ
وحمدُ ربٍّ عمَّ بالإنعامِ   ومنَّ بالتفضيلِ والإفضالِ

قوله رضي الله عنه : (**إخواننا**) المخاطب بذلك الإخوان الذين حصل بينه وبينهم التعارف في عالم الذر بوادي نعمان ، المشار إليه بقوله عليه الصلاة والسلام (الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) .

وقوله (**بالمسجد الحرام**) يحتمل أنه أراد به من اجتمع به منهم في حرم مكة والمدينة ممن أشار إليهم في نظمه السابق في المقدمة .

[ذكر سبب نظم هذه الرشفات]

وما وجدته بخط سيدي الحبيب طاهر بن الحسين بن طاهر علوي نفع الله به ، قال سيدنا الناظم قدس الله روحه :

الحمدلله على إفضاله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ، أما بعد فالباعث على هذا النظم البديع المثال ونسجه في هذا النظام على هذا المنوال ، أنها وردت عليَّ كتب كثيرة من مكة المشرفة من الإخوان في الله تعالى أهل الفضائل والمعالم كلها تنحو إلى طلب الوصية في الطريقة ومنهج التوسل بالتحقيق إلى الحقيقة ، كان هذا النظم الجواب وبه يتم المقصود في هذا الباب لأولي الألباب انتهى . ويحتمل أنه أراد بذلك كل من جمعه حرم المعرفة والمحبة من أضرابه وأمثاله والسائرين على منواله وهو أعم من المعنى الأول وأتم في شمول التسليم الذي معناه مندرج في قوله: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨ ﴾ (يس/٥٨) وذلك في الدنيا والعقبى ، لأنهم العباد المكرمون ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨ ﴾ (الأنبياء ٢٧/٢٨) ويقال لأضدادهم الذي خالفوا المأمور وارتكبوا المحظور : ﴿ وَٱمْتَٰزُوا ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا

ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩ ﴾ (يس/ ٥٩) وإلى هذا المعنى العام يشير إليه ويحققه ما أجاب به سيدنا الشيخ عبد الله بن علوي الحداد في فتاوى الصوفية حين سئل عن تسليم المصلي في قوله: (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) المراد بهم : القائمين بحقوق الله وحقوق العباد ، هذا قول علماء الظاهر ، وأما الحبيب عبد الله المذكور فقال : ينبغي أن يقصد بذلك على من أراده النبي صلى الله عليه وسلم في تسليمه ، وعلى هذا المعنى يحمل قوله نفع الله به : (**منا إليكم أكمل السلام**) أي: أفضله وأتمه وأشمله وأعمه .

وقوله (**إليكم**) بمعنى: عليكم أو على بابها ، أي: إنه واصل منا إليكم على جهة الاكرام والتبجيل لتحصل لنا به الكرامة والتفضيل إذ رد السلام منكم لنا به مزية لأن سببه التعارف والتآلف الكائن في يوم القضية ، قال ابن العربي: إذا قلت : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أو سلمت على أحد فقلت : السلام عليكم فاقصد كل عبد في الأرض والسماء ميت وحي فإنه حينئذ يرد عليك فلا يبقى ملَك مقرب ولا روح مطهرة يبلغه سلامك إلا ويرد عليك وهو دعاء مستجاب فتفلح ومن لا يبلغه سلامك من عباد الله الهائمين في جلال الله المشتغلين به فإن الله ينوب عنهم في الرد عليك وكفى بهذا شرفا حيث يسلم عليك الحق جل وعلا فليته لم يسمع أحد ممن سلمت عليهم حتى ينوب الله عن الكل انتهى . ذكره المناوي في ((الشرح الكبير على الجامع الصغير)) .

وقوله : (**وحمد رب**) أراد به الابتداء بالحمد الذي مورده خاص ومتعلقه عام وقوله (**عم**) أي: شمل (**بالإنعام**) أي: أحسن إلينا بأنواع النعم الظاهرة والباطنة التي أعظمها وأتمها نعمة الإسلام والإيمان مع نعمة الإيجاد والإمداد وما خص به أرباب مراتب الإحسان مما عده وخصه مما بيّنه وفصله وفرعه وأصّله في هذه المنظومه مما يجوز له إفشاؤه وذكره ، وأما ما لا يجوز له من ذلك فقد أشار إلى أنه مما يجب كتمه على من لا يصله فهمه.

وقوله (**ومن بالتفضيل**) على الغير فالأولياء كالأنبياء يفضل بعضهم بعضا، قال تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ (البقرة/ ٢٥٣) وقال تعالى﴿ وَلِكُلٍّ

دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ ﴾ (الأنعام/ ١٣٢) والإفضال إعطاء الفضل ، قال تعالى﴿ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (البقرة/ ١٠٥) ثم قال نفع الله به :

وحقُّ وِدٍّ ثابتٍ قويمِ بوفقِ عهدٍ بالصفا قديمِ

قد تم بين الركن والحطيمِ على الوفا في الحال والمآلِ

قوله : (**وحقِّ ود ثابت**) أي: متمكن (**قويم**) أي: مستقيم لم يداخله هوى ولا ميل ولا غرض من الأغراض الدنيوية (**بوفق عهد بالصفا قديم**) المراد بالصفاء الشيء الخالص من الشوائب المكدرة له أو المراد به : المحل المعروف بمكة ، أو لعل المراد به : جبل نعمان الذي أخذ الله فيه الميثاق على ذرية آدم وهم في ظهره .

وقوله (**قد تم بين الركن والحطيم**) أي: تم الإيمان والتوحيد والشهود بانفراده تعالى بالإيجاد والوجود من يوم الميثاق والعهود قوله تعالى: ﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ ﴾ (الأعراف/ ١٧٢) ثم بعد إخراج الذرية من ذلك العالم إلى عالم الحس ذكر العهد منَ ذكر ونسي منَ نسي فجحد وأنكر ، والركن: ركن الحجر الذي هو يمين الله في الأرض ، والحطيم : هو ما بين الركن والباب ، وقد أكثر الشعراء من التغزلات بتلك المشاهد لأنها معشوقة الأرواح لكثرة نزوعها إليها وتعلقها بها لما أودع الله فيها من الأسرار وحلاها من الأنوار .

وقوله : (**على الوفا**) من المؤمن الموحد (**في الحال**) ، أي: حال الحياة (**والمآل**) أي: بعد الموت ثم قال رضي الله عنه :

فلم نزلْ عنكم به نُسائلْ نشرَ الصبا ونسمةَ الشمائلْ

وما أتتنا منكم الرسائلْ إلا وأحيتْ سرّ بالٍ بالي

قوله : (**فلم نزل عنكم**) أي: عن حالكم به ، أي: ذلك العهد والتعارف (**نسائل نشرَ الصبا ونسمةَ الشمائلْ**) أي: نسأل نشر الصبا الغادية والرائحة من تلقاكم شوقاً إليكم وتعلقاً بكم وبذلك العهد، ونسائل أيضاً نسمة الشمائل لقوة التعلق بجنابكم العالي نسائل تلك الأرواح التي تهب بالغدو والرواح عن الذوات الطيبة المعمورة بالهدى والصلاح

وقوله : (وما أتتنا منكم الرسائل) أي: المكاتيب المرسلة منكم الدَّالة على شوقكم لنا واعتنائكم بنا .

وقوله : (**إلا وأحيت سرّ بال بالي**) أي: قلب الخاطر الدائم فيه تذكاركم بالي ، أي: خَلِق هالك من شدة الوجد والتعلق بكم وبه حياة الجسم التابع للروح والسر.

وقوله : (**وما أتتنا منكم الرسائل**) يشير به إلى ما مر نقله عن سيدي الحبيب طاهر عن الناظم نفع الله به أن السبب في نظم هذه الرشفات وصول مكاتيب من كثير من علماء الحرمين الشريفين يطلبون منه الإجازة والوصية فأجابهم بهذه المنظومة المسماة بالرشفات . ثم قال نفع الله به :

وذكّرت جمعاً خلا في جمعِ ... وحالَ قُرْبٍ مِنْ عُريبِ الجَزْعِ

وحُلْوَ عَيْشٍ بينهم في سَلْعِ ... لهم صفا في صفوة الليالي

قوله : (**وذكرت جمعا**) أي: اجتماعا في المواطن التي اجتمعت فيها الأرواح في عالمها والأشباح كذلك وقوله (**خلا**) أي: مضى في جمع ، أي: الموضع المعروف المسمى بمنى ، أو المراد اجتماعاتي بهم المار ذكرها .

قوله: (**وحال قرب من عريب الجزع**) عريب مصغر عُرْب وهو مكبّر في المعنى والجِزْعُ : وادي قريب الطائف .

قوله: (**وحلو عيش بينهم في سلع**) وسَلْعٌ : واد قرب المدينة عبر فيه بحلو العيش إذ الأرواح في ذلك ترتاح وتنتعش بقرب الحبيب الروح الأعظم أبي الأرواح صلى الله عليه وسلم .

قوله: (**لهم صفا في صفوة الليالي**) أي: الليالي التي تصفو لهم فيها المناجاة والمنادمات مع صفا تلك الأوقات وتنزل عليهم الرحمات عند إقبالهم وتوجهاتهم في تلك المعاملات ، ثم قال مكررا لذلك الحال الذي لا يعدى فيه حضور تلك الأطلال من المنحنى والضال ، فقال رضي الله عنه :

وهاج شوقٌ في الفؤادِ نامي ... لجيرةِ الرُّكنينِ والمقامِ

وفتيــــةِ البطحــــــاء والخيـــــامِ أُهيــلِ ســفحِ المنحنــى والضَّــالِ

قولـه : (**وهـاج شـوق في الفـؤاد نـامي**) هـاج أي: كثـر الهيجـان وهـو شـدة الولـوع والتعطش المذكور في قوله: شوق في الفؤاد ، أي: القلب نامي ، أي: متزايد .

قوله: (**لجيرة الركنين والمقام**) لعله أراد بالركنين ركن الحجر الأسود والركن اليماني ، لأنهما أخص من غيرهما مـن بـاقي البيت وبينهما تجتمع الأرواح ، والمقام المراد بـه مقـام سيدنا إبراهيم المعروف بالمسجد الحرام .

وقوله (**وفتية البطحـاء والخيـام**) يعنـي رجـال الفتـوة والمـروءة وورات مقـام النبـوة والبطحاء موضع بمكة وهو مسيل واديها ، والخيام المراد بها أهلها المخيمين في ذلـك المحل المنتظرين لتنـزل الرحمات من لدن المولى عز وجل فهم أقرب إلى الرجا لذلك من غـيرهـم لما ورد في تلك المواطن من الخصوصيات ومضاعفة الأعـمال وصـفاء الأحـوال ، ولعلـه أراد بالبطحـاء والخيـام مطلـق وقـوفهم وانتظـارهم لـلإذن بالـدخول في حـرم المعرفـة التـي كـل الوسائط والأسباب وسائل إليها .

قوله: (**أهيل سفح المنحنى والضال**) سفح أي: جانب المنحنى محل بمكة ، والضال شجر معروف ، وفي ((القاموس)) : أنه نوع من السدر يتغزل به الشعراء مـن العـرب لكونـه من الأشجار النافعة ورقها وثمرتها وعودها وبها الاستظلال ، ومن ذلك قول سيدنا الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد نفعنا الله به :

ومهـما سرت لي نسـمةٌ مـن ربـوعهم يخالطهـا عَـرْفُ البَشَـامات والرَّنْـدِ
وريـــحُ الخُزامـــى والأَراكِ يُهـــيّج لي شُــجُوناً تَــدعْني لا أُعيـدُ ولا أُبْـدِي

ثم قال نفع الله به :

أَكْـــرِمْ بهـــم في أكـــرمِ الأوصـــافِ وألطـــفِ الأخـــلاقِ والأكنـــافِ
قـــد شَرَّفـــوا مناقـــبَ الأشرافِ وقـــد حَلَـــوا في أكمـــلَ الأحـــوالِ

قوله : (**أكرم بهم في أكرم الأوصاف**) أي: ما أكرمهم في تلك الأوصاف العلية التي مقدمهم فيها مشرفهم خاتم الأنبياء ومقدم جيش الأصفياء صلى الله عليه وسلم .

قوله: (**وألطف الأخلاق والأكناف**) أي: أرقها ، والأكناف جمع كنف ، وفسر بأنه جانب الظل وذلك لكون الناس يأوون إلى ظلالهم ويستترون به من حر الأذى وقد وصف صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور في خواص أمته بقوله : (الموطئون أكنافا) .

قوله: (**قد شرفوا مناقب الأشراف**) أي: لكونهم أحباء الله وصفوته من خلقه لما شرَّفهم شرَّفوا غيرهم وكانوا أهل مناقب كريمة ومراتب عظيمة .

قوله: (**وقد حلوا في أكمل الأحوال**) حَلَوا إما بتخفيف اللام ، أي: حلت أخلاقهم ولطفت ، أو بتشديدها حَلَوا بمعنى سكنوا في أكمل الأحوال ، أي: أعلاها والأحوال الواردة أنوارها والعائدة أسرارها ويحتمل أنه بالخاء بمعنى انفردوا وخصوا بذلك في أكمل الأحوال .وقال رضي الله عنه :

هُمْ نزلُوا سرَّ سويدا قلبي وغرسوا حقَّ الهوى في لبي

فملكوا خالصَه مِن حُبي وأنعموا بأعظمِ الآمالِ

قوله : (**هم نزلوا سر سويدا قلبي**) المراد بالسويداء داخل القلب .

قوله: (**وغرسوا حق الهوى في لبي**) غرسوا أي: أثبتوا شجرة المحبة المستحقة لحق الهوى في لبي ، أي: واجب الهوى وهو الميل الروحاني في لبي ، أي: باطن عقلي ، وقال ابن الكمال : اللب العقل المنور بنور القدس الصافي عن قشور الأوهام والتخيلات ، ذكره المناوي وقال أيضاً: اللب عند الصوفية ما صين من العلوم عن القلوب المعلقة بالكون. انتهى .

قوله: (**فملكوا خالصه من حبي**) أي: ملكوا خالصه أي: أنفسه وأشرفه من حبي فلم يبق لغيرهم فيه متسع ولا لسواهم به مستمتع .

قوله: (**وأنعموا بأعظم الآمال**) أي: منوا بأعظم أي: أكبر الآمال ، أي: المطالب التي مر ذكرها والشكر على نعمتها في شرح منظومته المسماه ((مفتاح الأسرار)) . ثم قال رضي الله عنه :

فما أُحيلا ما مضى من عُمْرِي في حبهم وما انقضى من دَهْري

في قــــربهم مــــا فيــــه أمــــر مُــــرِّي   بكــــلِّ حــــالٍ بــــالحبور حــــالي

قوله : (**فما أحيلا ما مضى من عمري**) أحيلا : مصغر أحلا تلطفا وتنـزلا ما مضى : مر من عمري ، أي: زمن شهودي لهم ومجالستي معهم .

قوله: (**في حبهم وما انقضى من دهري**) أي: مستغرقا حبهم جميع مدة عمري وما انقضى من دهري ، الدهر له اعتبارات والمراد هنا مدة العمر .

قوله: (**في قربهم ما فيه أمر مري**) أي: في أوقات سِلوي بهم وتمتعي بمجاورتهم ما فيه أمر من الأمور التي تعرض وتشوش الأحوال مري من المرورة وهي ما يلذع اللسان منها ضد الحلاوة وذلك لطيب الوقت مع أولئك الأحباب وتيسر الأسباب وذلك غاية مطلبي ونهاية مأربي .

قوله: (**بكل حال بالحبور حالي**) أي: بل كل حال من الأحوال بالحبور ، أي: الفرح الدائم بذكرهم الناشئ عن حبهم حالي من الحلاوة ، والمراد بها اللذة في محبتهم والقرب منهم والانتساب إليهم ، ثم قال نفع الله به :

وحبــــذا وصــــفٌ صــــفا في فصــــلِ   في رشــــفاتِ شُربهــــم في الفضــــلِ

ونســــماتِ قُــــربهم والوصــــلِ   عــــنهم بــــما أرويــــهِ مــــن أقــــوالِ

قوله : (**وحبذا وصف صفا في فصل**) أي : نعم وصف لهم صفا ، أي: خلص عن الشوائب التي تشين عناصرهم الطيبة العطرة أو تغير في وجوه محاسنهم النضرة.

قوله: (**في رشفات شربهم في الفضل**) أي: وصف محاسنهم وما أعطوا من المشارب الذوقية الفهمية والعلمية في رشفات جمع رشفة وهي من رشف ، أي: أخذ الماء وشربه مع المص واللعب مع الاستقصاء والأخذ للبعض كما أفهمت ذلك عبارة ((القاموس)) ، شربهم أي: شراب الحب في الفضل أي: أن ذلك الشراب معنوي في وصف فضائلهم وما خصوا به .

قوله: (**ونسمات قربهم والوصل**) نسمات جمع نسمة من النسيم وهي الرياح المخبرة بوصلهم وهي المبشرة الملقحة لسحائب أمطار نيلهم ، وإلى ذلك يشير قول سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد باعلوي نفع الله به:

هبت نسيمات الوصال ... من جانب القدس العلي

واستغرقت أنوارها ... جوانب القلب الخلي

عما سوى معبوده ... الواحد الحق الولي

وكوشفت أسراره ... وحل في برج الوصول

قوله : (**بما أرويه من أقوال**) أي: المخبرة عنهم وأبين ذلك مما سنح من أقوالي ، أي: منظومتي في هذه القصيده .

فائدة : وجدت بخط سيدي الحبيب الإمام طاهر بن الحبيب الحسين بن طاهر باعلوي نفع الله به وهو مانقله عن سيدي الشيخ الإمام الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله المذكور نفع الله به مما يحسن إثباته في هذا الموضع وهو أنه قال : الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وتابعيهم وحزبه ، وبعد :

فإن الشعر من حيث وزنه وتحقيقه ومراعاة خفي زحافه ودقيقه ملاحظ فيه مناسبة الأصوات والأغاني وما يؤول إلى نحو الموسيقى لتلك المباني ، وقد لا يعول على ذلك من أراد حصر الألفاظ وضبط المعاني ، إذ المقصود تحصيل المقتضى البياني وتسهيل الملفوظ اللساني ، فلذلك لم يُراع في أنواع العلوم الكثيرة خصوصا أهل الأراجيز في الفنون الشهيرة هذا التدقيق في الأوزان والموازنة في منظوماتهم لأن قصدهم التحقيق في مجموعاتهم وتبليغ معلوماتهم وبالله التوفيق والهداية إلى سواء الطريق انتهى .ثم قال رضي الله عنه :

فليستمعْ مَنْ كان ذا أشواقِ ... إلى صفاتِ القومِ والأخلاقِ

فليتبعْ فالحقُّ ساقٍ باقِ ... قد عمَّ كلَّ الخلقِ بالنوالِ

قوله : (**فليستمع**) أي: يصغي (**من كان ذا أشواق**) أي: ذا شوق وتوقان إلى معرفة ما كانوا عليه من الأحوال والمقامات الحسان والشوق هو من الأحوال السنية في المحبة ولا يكون المحب إلا مشتاقا أبدا .

قوله :(**إلى صفات القوم والأخلاق**) الصفات والأخلاق تطلق على الحسية والمعنوية التي تشرح صدور أرباب أهل الأخلاق الإيمانية وصفات القوم الصوفية وأخلاقهم وأحوالهم ومقاماتهم كثيرة منتشرة ، فأما الأحوال فمنها المحبة والأنس والحياء والاتصال والقبض والبسط والفناء والبقاء ، وأما المقامات فهي التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والشكر والخوف والرجاء والتوكل والرضى ، وأما الأخلاق فهي التواضع والمداراة واحتمال الأذى من الخلْق والإيثار والمواساة والتجاوز والعفو والبشر وطلاقة الوجه والسهولة ولين الجانب وترك التكلف وترك الادخار والإنفاق من غير إقتار والقناعة وترك المراء والمجادلة والغضب بغير حق والتودد والتآلف والمرافقة مع الإخوان وشكر المحسن على الإحسان والدعاء له وبذل الجاه للإخوان والمسلمين ، وجميع ما ذكر مذكور ومشروح في كتبهم .

قوله : (**فليتبع فالحق ساق باق**) أي: فليتطلب ويتعرض للنفحات الإلهية والجذبات الربانية فالحق سبحانه وتعالى ساقٍ لشراب أذواقها باقٍ في اتحادها واختلافها في كل وقت وأوان لاتختص بزمن دون زمان ولا بإنسان دون إنسان كما حصل ذلك لكثير من ذوي الولاية والعرفان كالإمام إبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض وشاه الكرماني وغيرهم ممن يتعذر حصرهم .

قوله: (**قد عم كل الخلق بالنوال**) عم : شمل كل الخلق من الأولين والآخرين بالنوال ، أي: العطا ، وقال المناوي في ((توقيفه)) : النوال ما ينيله الحق أهل القرب من خلع الرضى انتهى ، وهو مراد الناظم نفع الله به .

ثم قال رضي الله عنه :

الرشفة الأولى :

[في وصف شراب القوم وكيفية نَيْلِه]

رَشْفَةٌ فِي ذِكْرِ شَرَابِهِم وَنَسْمَةٌ مِنْ نَشْرِ أَطْيَابِهِم

مر تعريف الرشفة لغة ، وقال المناوي : الارتشاف الاستقصاء في الشرب انتهى ، ويقال : الرشفة للشراب والنسمة من الأرواح لنشر الأطياب ، ثم قال رضي الله عنه :

يا ليلةً منهم على الكثيبِ طابت بلا واشٍ ولا رقيبِ

نالوا المنى مِن حضرةِ الحبيبِ مِن نظرةِ التقريبِ والإيصالِ

قوله : (**يا ليلة**) أي: ما أعظمها وأطيبها وأنعمها وأعذبها لاحتوائها على المسامرات والمخاطبات والمنادمات والمطايبات (**منهم**) ، أي: كان اللقاء منهم فيها (**على الكثيب**) وهو المحل المرتفع من الرمل ، كانت العرب تتغزل به في أشعارها وتتذكربه لآثارها ، لأن كثبان الرمل كانت محلات مسامرهم في دياجي دياجرهم .

قوله: (**طابت**) لهم لمنادماتهم ومجاوراتهم (**بلا واش ولا رقيب**) أي: بلا ناقل لأخبارهم المسرورة ولا رقيب على أسرارهم المستورة التي لم يحسن إفشاوها لسواهم ولا ذكرها لمن عداهم ، كما قال الشاعر :

من أطلعوه على سرٍّ فباح به لم يطلعوه على الأسرار ما عاشا

وقد أطال النقل الناظم نفع الله به في هذا المبحث في كتابه ((كشف الحق عن الحقيقة)) قال فيه : قال بعض العارفين : من أذاع سرَّ الله في هذا الزمان فقد أضاع نفسه ودينه وأدنى عقوبته الحرمان والافتتان انتهى .

قوله: (**نالوا المنى**) أي: نالوا الآمال والمطالب التي هم بصددها ومترجى حصولها ومددها (**في حضرة الحبيب**) أي: محبوبهم الذي أنفقوا في طلبه النفائس والأنفاس من الأموال والحواس فطوبى لهم وحسن مآب فقد أنالهم ما أملوه من جميع المطالب والمحاب.

قوله: (**من نظرة التقريب**) أي: القرب والدنو من حضرته تعالى .

وقوله : (**والإيصال**) من الوصول ، وهو أن لا يشهد العبد غير خالقه ولا يتصل بسره خاطر بغير صانعه ، والمراد بالقرب والدنو قرب الرحمة منه تعالى والشرف والعزة من بين طوائف عباده الذين أوجدهم لمراده ، قال رضي الله عنه :

ودِيـرَ مـن خمـرِ الهـوى كـؤوسُ تُشـفى بهـا مِـن الـرَّدى النفـوسُ

ويـنجلي عنهـا الصَّـدا والبـؤسُ مزاجهـا مـن سلسـبيل الحـال

قوله : (**ودير من خمر الهوى كؤوس**) أي: وديرت في تلك الحضرة من خمر الهوى ، أي: المحبة كؤوس ، جمع كأس ، أي: سقاهم ذلك الساقي الباقي من محبته ما أخذ عنهم حواسهم فتولهوا به وفارقوا بذلك أجناسهم .

قوله: (**تشفى بها من الردى**) أي: من النقص والهلاك الذي يخامر أنفس غيرهم وهو حب الدنيا الذي يستغرق جميع أنفاس من اشتغل بها ولم يزهد فيها (**النفوس**) أي: نفوس القوم الذين ربت هممهم عن سفساف الأمور ومالوا إلى معاليها فَجَرّوا غيرهم ممن لم يرغب في الآخرة ولم يعرض عن الدنيا ويزهد فيها وذلك لاستغراق نفوسهم بسكر المحبة المعبر عنها بالخمر .

قوله: (**وينجلي عنها**) أي: عن النفوس (**الصدا**) أي: ما يقع من الران والكثافات التي تصدأ بها مرآتها فتحوم حولها الشياطين فتنسيها الغاية المقصودة في بدايتها ونهايتها والبؤس والحزن على ما فاتها من مطالبها الدينية ومقاصدها الأخروية .

قوله: (**مزاجها من سلسبيل الحال**) أي: أن تلك المشارب ممزوجة من سلسبيل الحال الوارد عليهم من جناب الحق الذي لذته كالسلسبيل الموعود به من شراب الجنة فصاحبه لا يزال يشرب من ذلك السلسبيل وتدور الكاسات عليه مع أولئك الجيل ، ثم بين هذا الشراب المحمود الواصل من تيار بحر الكرم والجود فقال رضي الله عنه :

شِـفا لكـلِّ علَّـةٍ وإثـمِ مِـن كـرمِ الكـريمِ لا مِـن كَـرْمِ

بـل مِـن هـدى وحكمـةٍ وعِلـمِ يُزيـلُ كـلَّ الشَّـكِ والإشـكالِ

قوله : (**شفا لكل علة وإثم**) أي: من علل القلوب الموجبة للذنوب المؤثمة لصاحبها والحاكمة بالبعد على مقارفها ومقاربها .

قوله: (**من كرم الكريم لا من كرم**) أي: من الكرم الجاري الفائض من الباري لا من الكرم الذي هو شراب الفساق الذي ينبت النفاق ، وإلى ذلك يشير قول ابن الفارض نفع الله به :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يُخلق الكرْمُ

ثم وصفها بأوصاف النور المشرق على صفحات الوجود ، فقال :

لها البدر كأس وهي شمس يديرها هلال وكم يبدو إذا مزجت نجمُ[1]

وهذا ألذ وأهنا وأعز وأمرا لأنه منسوب إلى ما هو أشرف وهو معرفة الله تعالى قال تعالى ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الإنسان/ ٢١) ... الآية ، لا يختص بالآخرة إذ ذاك وارد في حقيقة الشرب وهذا يكنى به شراب المحبة والمعرفة ، ومن ذلك ما يحصل لأهل الذكر الذي يورث لهم الاستغراق والسكر لأن لذته من أعظم اللذات .

قوله: (**بل من هدى وحكمة وعلم**) أي: أن الشراب الموصوف عند أولئك القوم المحسنين في بحار المحبة والمعرفة بالسباحة والعلوم كان شراب هدى ، أي: اهتداء ودراية بها يقرب به إلى رب العالمين الذين قيل في وصفهم : حسنات الأبرار سيئات المقربين .

قوله : (**وحكمة**) أي : الحكمة التي يؤتيها الله محبيه والمتوجهين قال : ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (البقرة/ ٢٦٩) ، وهي تكون من منبعها القلوب و الأسرار فتتلقاها الألسن والأفواه فيكون عدة للتذكير والأذكار .

قوله: (**وعلم**) أي: يكون مسبباً لإفاضة العلوم الغيبية الجارية محض التفضلات الوهبية .

---

(١) في هامش الأصل : وفي نسخة : وهل يبدو مع ذلك النجم .

قوله: (**يزيل كل الشك والإشكال**) أي: أن ذلك الشراب الدائر بكؤوس الرضى والمحبة يزيل الشكوك والأوهام الساترة للقلوب عن مطالعة الغيوب وتزيل الإشكالات التي تقع لغير أهل علم اليقين وعينه وحقه وحق اليقين أعلى مراتب الإيمان ، فهو من أحوال ومقامات أهل هذا الشان الذائقين لها، كما قال الشيخ ابن بنت الميلق الشاذلي في منظومته في السلوك :

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ... ومن دراه غدا بالروح يشريه

ولو تعرض أرواحا وجاد بها ... في كل طرفة عين لا يساويه

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

بها حياةُ الروحِ والجَنانِ ... بها تُذاقُ صفوةُ الإيمانِ

فيَعرفُ المنقولَ كالعيانِ ... ويَشهد التفصيل في الإجمال

قوله : (**بها حياة الروح والجنان**) أي: أن بتلك الرشفة وروح تلك النسمة المعبر عنها بخمر الحقيقة حياة الروح ، أي: الذي هو الأصل والجسم تابع له وبصفاه ، أي: الروح عن كدورات الأغيار وظلم الأكدار حياة القلب المذكور في قوله: الجنان إذ صلاح كل إنسان بصلاحه وفساده بفساده وهو موضع نظر الرب وكان هذا الروح ومحله ومنزلته في أعلى عليين حتى نزل إلى أسفل سافلين وإليه الإشارة بقول الشيخ الأستاذ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد باعلوي نفع الله به في بعض مناظمه :

يا أيها الروح هل ترضى مجاورة ... على الدوام لهذا المظلم الكدر

فأين كنت ولا جسم تساكنه ... ألست في حضرات القدس فاذكر

تأوي مع الملأ الأعلى وتكرع من ... حياض أنس كما تجني من الثمر

حتى جُعلتَ بأمر الله في قفص ... مخلوق غرض التغيير والكدر[1]

...إلى آخرها .

---

(١) هكذا في الأصل والذي في ديوان الإمام الحداد أن عجز الشطر الأول هو : ليبتليك فكن من خير مختبر ، وأن صدر الشطر الثاني هو : يا أيها الجوهر المحصور في صدف .

قوله: (**بها تذاق صفوة الإيمان**) أي: بذوق هذه الشربة تذاق صفوة الإيمان ، قال صلى الله عليه وسلم (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولا) .

قال الشيخ عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به : واعلموا معاشر الإخوان أنه من رضي بالله ربا لزمه أن يرضى بتدبيره واختياره وبمرِّ قضائه ، وأن يقنع بما قسمه له من الرزق وأن يدوم على طاعته ويحافظ على فرائضه ويجتنب محارمه ويكون صابرا عند بلائه شاكرا لنعمائه محبا للقائه راضيا به وكيلا وكفيلا مخلصا له في عبادته ومعتمدا عليه في غيبته وشهادته لا يفزع في المهمات إلا إليه ولا يعول في قضاء الحاجات إلا عليه سبحانه وتعالى ومن رضي بالإسلام دينا عظم حرماته وشعائره ولم يزل مجتهدا فيما يؤكده ويزيده ثابتاً واستقامة من العلوم والأعمال ويكون به مغتبطا ومن سلبه خائفا ولأهله محترما ولمن كفر به مبغضا ومعاديا ، ومن رضي بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا كان به مقتديا وبهديه مهتديا ولشرعه متبعا وبسنته متمسكا ولحقه معظما ومن الصلاة والسلام عليه مكثرا ولأهل بيته وأصحابه محبا وعليهم مترضيا ومترحما وعلى أمته مشفقا ولهم ناصحا ، فينبغي لك أيها المؤمن أن تطالب نفسك بتحقيق هذه المعاني التي ذكرناها في معنى قولك : رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ، وكلِّف نفسك الاتصاف بها ولا تقنع منها بمجرد القول فإنه قليل الجدوى ، وإن كان لا يخلو عن منفعة ، وكذلك فافعل في جميع ما تقوله من الأذكار والأدعية ونحوها طالب نفسك بحقائقها والاتصاف بمعانيها انتهى .ثم مثل بعد ذلك لأنواع بأمثلة ، فقال : معنى التسبيح : التنزيه عن النقص والتقديس ، ومعنى الحمد لله : نفي النقص وإثبات الكمال .. إلى آخر ما ذكره ، فلينظر من الكتاب المسمى «النصائح» له .

قوله: (**فيعرف المنقول كالعيان ويشهد التفصيلَ في الإجمال**) أي : إن الإنسان الكامل الذي بلغ أعلى مراتب اليقين يشهد كل منقول من الكتاب والسنة وغيرهما مما ينقل عن أئمة العلماء الأمناء والأولياء كالعيان ، أي: المنظور له بعين البصر والبصيرة ويكون بذلك أيضاً يشهد التفصيل في الإجمال لمعرفته في حقائق المقامات والأحوال ، ولهذا لما سأل

النبي صلى الله عليه وسلم حارثة رضي الله عنه عن إيمانه فقال : إنه يرى الجنة والنار نصب عينيه ... الحديث ، فقال صلى الله عليه وسلم : عرفت فالزم . ثم قال رضي الله عنه :

تفـــتحُ عـــينَ القلـــبِ بـــاليقينِ ... وتشرحُ الصـــدرَ بمعنـــى الـــدِّينِ

فيســـتقر العبـــد في التمكـــين ... ولا يـــزال الجـــد في إقبـــال

قوله : (**تفتح عين القلب باليقين**) أي: أن ذوق هذه الرشفة وشم تلك النسمة المكنى بها عن المحبة التي هي نتيجة المعرفة تفتح عين القلب التي هي عين البصيرة باليقين الذي هو أعلى مراتب الإيمان والدين ، وقد ذكر ابن العماد في ((كشف الأسرار)) أن للقلب أذنين يسمع بها كما أن في الرأس أذنين وللقلب عينين كما أن للبدن عينين ، قاله الراغب انتهى .

وقوله : (**وتشرح الصدر بمعنى الدين**) أي: أن هذه المحبة والمعرفة وشرابها تشرح الصدر بمعنى الدين وهو امتثال أوامره واجتناب مناهيه مع انفساح وميل روحاني وطمأنينة به حتى يؤدي أعماله على الكمال مع الفرح والسرور بمعاملة الأمر المأمور لفعلٍ[1].

قوله: (**فيستقر العبد في التمكين**) أي: يكون من بلغ هذا المقام ثابت التمكين لا تجاذبه الشكوك والظنون في إيمانه بما بعد المنون من أمور الآخرة التي يجب الإيمان بها والتصديق بمقتضاها .

قوله: (**ولا يزال الجد في إقبال**) أي: أن هذا العبد لما كمل إيمانه وتم يقينه لا يزال في الطلب والإقبال على الله تعالى في مد الأوقات والأنفاس غائب القلب والسر وإن كان حاضر الجسم مع الناس . ثم قال رضي الله عنه :

يخلُـــصُ منهـــا الجـــوهرُ الإنســـاني ... مِـــن ظلـــماتِ الطبـــعِ والأكـــوانِ

وشرِّ كيـــدِ الـــنفسِ والشـــيطانِ ... وظلمـــةِ الأوهـــامِ والخيـــالِ

---

(١) هكذا في الأصل .

قوله : (**يخلص منها الجوهر الإنساني**) أي: أن الإنسان الكامل إذ بلغ هذا المقام وتحقق به من بين الأنام خَلُصَ من ظلمة الطبع وكثافته والحجب التي تصده عن الله ومراداته إذ للنفس سبعون حجابا من الظلمة إذا انكشف منها حجاب كان بدله ما يقابله من النور ، كما قال نفع الله به : (**من ظلمات الطبع والأكوان**) إذ هو غائب عن الأكوان بمكونها فلم يبق له ميل ولا هوى في غير مرضاة المولى ولا التفات له ولا نظر إلى ما بعد منها ولا إلى ما دنا بل هو مبهوت غائب عن عالم الناسوت حاضر وشاهد لعالم الملكوت ، والجوهر ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضع ، أي: كالروح .

قوله: (**وشر كيد النفس والشيطان**) الموصوفين بالعداوة المغمورين من رؤية الحق بالعمى والغشاوة ، لكن لهما مكائد ومصائد دقيقة الاختلال وسيعة المجال ، لا يسلم منها إلا من عصمه الله من شرها ، فلكل إنسان شيطان حتى رسول الله صلى عليه وسلم فإنه لما سئل : ألك شيطان ؟ قال : نعم غير أنه أسلم . قال المتكلمون على هذا الحديث : إما أسلمُ أنا منه أو أسلمَ حقيقة .

قوله: (**وظلمة الأوهام والخيال**) والوهم : قوة جسمانية للإنسان محل آخر التجويف الأوسط من الدماغ ومن شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات ، والخيال قوة تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة بحيث يشاهدها الحس المشترك كلما التفت إليه فهو خزانة للحس المشترك ، ومحله البطن الأول من الدماغ ، ذكره المناوي في ((توقيفه)) أي: أن هذا الإنسان يخلص أيضاً من ظلمة الأوهام والشكوك والخيالات التي تختلج في الصدور والقلوب وتصد عن القيام بها للرب على المربوب لأنه لما عرف نفسه بالنقص عرف ربه بالكمال فثبت إيمانه ويقينه في جميع الأحوال وخالص الأعمال.

ثم قال رضي الله عنه :

يخرجُ مِن كلِّ عنا وبونِ ... وغيمِ كلِّ حادثٍ ودونِ

إلى علومِ عالَمٍ مصونِ ... عن خُلْفِ تحقيقٍ أو اختلالِ

قوله : (**يخرج من كل عنا وبون**) أي: أن هذا العبد لما تخلص عن الرذائل واتصف بالفضائل خرج من كل عناء ، أي: أنه خرج عن عناء الكلفة وتيسر له ما يطلبه ويقصده من معاملة المولى عز وجل على الوجه الأكمل ، وخرج أيضاً عن البون وهو البعد عن الله تعالى واختص بالقرب منه لرفع الحجب وصفاء السر .

قوله : (**وغيم كل حادث ودون**) أي: وخرج عن الغيم الساتر للقلب عن معرفة الرب وعن كل حادث من الأخيار وذوي البصائر والابصار.

قوله : (**إلى علوم عالم مصون**) أي: أن هذا العارف لما غاب عن الأكوان شاهد عوالم الغيوب المصونة عن غير أهلها حتى أنه يبلغ إلى شهود العوالم العلوية من العرش والكرسي وغيرهما وذلك لصفاء محبته وكمال معرفته كما قال الأستاذ الشيخ عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه :

فما أُرَجِّي اليوم كشف كربه	إلا ان صفا لي مشرب المحبة
ونلت من ربي رضى وقربه	يكون فيها قطع كل الاسباب
على بساط العلم والعباده	والغيب عندي صار كالشهاده
هذا لعمري منتهى السعاده	سبحان ربي من رجاه ما خاب

قوله : (**عن خلف تحقيق أو اختلال**) أي: هذا العالم المشهود لهؤلاء خواص المعبود مصون عن خلف في وجوده أو اختلال في شهوده بل هو عندهم من التعينات الحقية والمرئيات الصدقية ، ثم قال رضي الله عنه :

يذوقُ فيه لذةَ الفتوَّهْ	**من ثمر غرسِ الوحي والنبوَّهْ**
يصير مرآة هدى مجلوَّهْ	**بها يرى ما جل عن مقالِ**

قوله : (**يذوق فيه لذة الفتوه**) أي: أن هذا العارف لما وصل إلى عالم الغيب والشهادة ذاق فيه لذة الفتوة التي تورث الحسنى وزيادة ، والفتوة من الاتصاف بالإيثار والإيثار حتى بالنفس ، كما وصف الله بها الأنصار في قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر/ ٩) .

قوله: (**من ثمر غرس الوحي والنبوه**) أي: لكونه تحقق بمعارف القرآن وروعي بلطائف الرحمة من الرحمن صار يجني من معاني غرس الوحي والنبوة ، وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : (من استظهر القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه إلا أنه لا يوحى إليه) وإنما يذوق ثمر غرس الوحي والنبوة بالإلهام الرباني فيذوق لتلك المعاني، فالإلهام للأولياء كالوحي للأنبياء .

قوله: (**يصير مرآة هدى مجلوه**) أي: أنه لما صفا سره وكمل نوره صار كالمرآة المجلوة عن الصدأ فتنتقش فيه صورة العالَم العلوي ويغيب عن العالَم السفلي لأن وجهة قلبه تنحصر بمشاهدة العالَم العلوي ويصير أيضاً وارثا للرحماء بينهم والأشداء على الأعداء ، القائل منهم المسمى باب مدينة العلم (لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا) فيهتدي ويصل إلى المطالب الدينية والسيرة المحمدية .

قوله: (**بها يرى ما جل عن مقال**) أي: بهذه المرآة المصقولة والصفة الغير المعلولة يرى ما جلَّ عن مقال وجل ، أي: عظم عن مقال القائلين والخائضين فيه بلا علم ولا وصول إليه فلا يفشونه ولا يعبرون عنه إلا أهله ، وإن أهل الدرجات في هذه المرآة الصقيلة يتفاوتون في الفضيلة ، فأعلاهم في ذلك من كان تنام عينه وقلبه لا ينام عليه الصلاة والسلام ، وله ورثة كاملون في هذا المقام ، ومنهم هذا الإمام رزقنا الله محبتهم ومجاورتهم في دار السلام .

ثم قال رضي الله عنه :

فبامتزاجِ سِرِّها في القلبِ ... ورَقْمِ معناها بعينِ اللَّبِّ

يكرعُ مِن شُربِ حُميا القرْبِ ... ويَرتوي مِن منهلِ الكمالِ

قوله (**فبامتزاج سرها في القلب**) أي: امتزاج سر هذه المحبة والمعرفة في القلب المصقول الصائر كالمرآة ، فلذا قال (**ورقم معناها بعين اللب**) ، أي : أن رقم معناها أي: انتقش في عين القلب الذي لم يصدأ بالرين وأمن من السلب لكونه عارفا موحدا ، وتعالى

الله أن يسلب نعمة أنعم بها على عبد قد اختاره واصطفاه ، فإنه تعالى لا يزال يوالي عليه النعم من محض الجود والكرم لا سيما الإمدادات السرية والمعارف اللطيفة .

قوله: (**يكرع من شرب حميا القرب**) أي: أنه بإنعام الله عليه لا يزال يكرع من حياض هذه المعرفة ويزداد من شرب حميا القرب بحيث إنه لا يعد سكران بحميا هذه المحبة وولهان في عظمة تلك المعرفة .

قوله: (**ويرتوي من منهل الكمال**) أي: يطلب الري من هذا المنهل الذي هو كناية عن المحبة ، لأنه كل ما ارتوى زاد عطشا ، إذ هذه المعرفة طلبها لا يتناهى لا في الدنيا ولا في الآخرة وطالبها لا يضاهى في الدرجة والمنزلة الباطنة والظاهرة ، وهو مع ذلك لا يزال في لذة ونشوة بتلقيه عن حضرة النبوة التي تمتد منها جميع أهل الحضرات وتشرق أنوارها على كافة أرباب الولايات إذ لا مدد لأحد منهم إلا منها ولا تلقي إلا عنها ، كما قال السيد البكري نفع الله به بقوله:

ما أرسل الرحمن أو يرسل ... من رحمة تصعد أو تنزلُ
في ملكوت الله أو ملكه ... من كل ما يختص أو يشملُ
إلا وطه المصطفى عبده ... رسوله مختاره المرسلُ
واسطة فيها وأصل لها ... يعلم هذا كل من يعقلُ

قال رضي الله عنه ونفع به :

إنْ ظهرتْ بحقِها آياتُهْ ... اتصفتْ بمقتضاها ذاتُهْ
واتصفتْ بوفقِها صفاتُهْ ... في القصدِ والأفعالِ والأقوالِ

قوله : (**إن ظهرت بحقها آياته**) أي: انكشف بحقها ، أي: بهذه المعرفة والصقال الحاصل لفؤاده ، آياته ، أي: خوارق عاداته ، أي: الكرامات التي فاق بها على أبناء جنسه والمعاملات التي حصل بها الصقال لمرآة نفسه .

قوله: (**اتصفت بمقتضاها ذاته**) أي: صارت حيث إنها شكلت علومها بالأعمال وأعمالها بالعلوم فقصر عن ذوقها وفهمها ذوي الألباب والعلوم كما قيل :

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمرُ
فكأنما خمرو لا قدح وكأنما قدح ولا خمرُ

قوله : (**واتصفت بوفقها صفاته**) أي: فاتصفت بحقيقتها صفاته التي هي أثر من آثارها وجذوة من أنوارها فصار من هذه الجهة كامل الوجهة فبدا في مظهره إمام به يقتدى وعلم به يهتدى .

قوله: (**في القصد والأفعال والأقوال**) أي: لما ارتقى إلى الحال الذي به يهتدى ويقتدى في القصد ، أي: المقاصد والنيات والأقوال التي يمليها ومن عالم الغيب يلقيها والأفعال ، أي: الحركات المسربلة بتلك النيات الصادقة الخالصة عن الأكاذيب والمماذقة ، ثم قال رضي الله عنه :

فالعبدُ بالقلبِ مدارُ أمرِهْ فحيث صارَ سرُّها في سِرِّهْ
سارَ الهدى في حُلوِهِ ومُرِّهْ في الذاتِ والأوصافِ والأفعالِ

قوله : (**فالعبد بالقلب مدار أمره**) أي: أن هذا العبد المخصوص بالجذبه الربانية اللائحة له في ليلة سعده بنظرهم ، وهي المشار إليها بقوله فيما مر (يا ليلة منهم على الكثيب...) إلى آخره ، بالقلب الذي صلاحه وفلاحه باستقامته إذ هو الملك الذي إذا صلح صلحت رعاياه وارتفعت مزاياه وكمن سره وخصوصيته في خباياه ، ولهذا قال: فالعبد بالقلب مدار أمره أي: فهو القطب الذي تدور عليه مصالح العبد في دنياه وأخراه .

قوله: (**فحيث صار سرها في سره**) أي: سر تلك العناية والجذبة العالية الهدى والذوق في الرتبة في سره ، أي: سويداء قلبه انشرح بها صدره وتم بها أمره .

قوله: (**سار الهدى في حلوه ومره**) أي: أن الهدى يخامره ويسري في حلوه ، أي: حال بسطه وحال رضاه ، ومره حال قبضه وحال غضبه ، فلا يرضى إلا بإتيان مايرضاه الله منه ومن غيره ولا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله وغضبه ورضاه لله وفي الله حسب ماأمر الله.

قوله: (**في الذات والأوصاف والأحوال**) أي: أنه صار في ذاته عبدا محضا لله ليس له اختيار بل يجري في جميع أحواله مع الأقدار فذاته وأوصافه وأحواله بالله ولله وفي الله حتى إذا

رؤي قيل : شيء لله ، أي: هذا شيء خالص لله ليس لغيره فيه متسع ولا في قلبه سواه مجال ولا مطمع ، قال رضي الله عنه :

فالقلبُ إنْ لم يصفُ بالتهذيبِ ويرتوي من مائها العَذِيبِ

خِيفَ عليه القلبُ في التقليبِ في قبضٍ أو بسطٍ إلى إضلالِ

قوله : (**فالقلب إن لم يصف بالتهذيب**) أي: أن القلب الذي به خاصية الإنسان وشرفه وعلوه حتى أنه قد يلتحق بصفا قلبه إلى أفق الملائكة عليهم السلام فهو إن لم يصف بالتهذيب الذي هو مجاهدة النفس ومخالفتها ومنعها عن شهواتها و مستلذاتها وقمعها عن طلب العلو والرفعة والاستعلاء على أبناء الجنس .

قوله: (**ويرتوي من مائها العذيب**) أي: يمتلئ بالري من تلك الشربة التي ماؤها الصافي العذب وهو شراب المحبة التي يحيا به القلب ويكون سببا في رضا الرب لأنه محل نظره ، فإذا لم تحصل له الرعاية ولم يوالَ بهذه الهداية (**خيف عليه القلب**) أي: الانقلاب (**في التقليب**) أي: في تقلباته وتطوراته فيكون معرضا عن توجهه إلى الحق ومعرضا للفساد والهلاك فيأتيه الموت وهو (**في قبض**) إذا منع من الشهوات (**أو بسط**) إذا تيسرت له الشهوات واللذات بغير ذكر الله ومع شهود ما سواه فتخاف عليه الميل (**إلى إضلال**) نفسه فيكون غافلا ويأتيه الموت وهو على هذا الحال، فتخاف عليه الميل إلى إضلال السوء والعياذ بالله ، وقد مثل الإمام الغزالي لمن هذا حاله بأنه لا يزال مستغرقا بحب الدنيا ومشتغلا بجمعها وصارفا إلى التزين باللباس والفراش وتزيين البيت بالزخارف والملاهي فينقله الشيطان في هذه الحال من شيء حتى يأتيه الموت وهو في غفلة فيخاف عليه ما مر من خاتمة السوء والعياذ بالله ، ثم قال رضي الله عنه :

ومَنْ يكنْ بكلِّ عِلمٍ عالِمْ ولم يذقْها فهو ساهٍ نائمْ

فخف عليه ما يخاف الهائمْ عند كفاح الموتِ والأهوالِ

قوله : (**ومن يكن بكل علم**) المراد هنا علوم الشريعة والطريقه (**عالم**) أي: متبحر فيها متسع المجال في معانيها .

قوله: (**ولم يذقها**) أي: ولم يذق شراب المعرفة والمحبة التي حقيقتها الوصول إلى القربة (**فهو ساه نائم**) أو خال عنها وغير ذائق لمشارب القوم في علوم الكشف والحقيقة التي هي مقصودهم الأعظم ومرادهم الأهم فهو كالنائم غائب الإحساس عن معرفتها وذوقها إذ النائم كالميت .

قوله: (**فخف عليه ما يخاف الهائم**) أي: الضال في مفازة كثيرة الأهوال والسباع فإنه معرض للهلاك لا محالة إما بالجوع والعطش أو بإتلاف السباع له ، و هذا الغافل عن الله تعالى يخاف عليه عند كفاح الموت وأهواله وأفجاعه أن يسهو ويضل عن التوحيد ويموت على غير الإسلام ، لأن حكمه في جهله كحكم الكفار والعصاة المرتكبين الكبائر ، كما قال نفع الله به (**عند كفاح الموت والأهوال**) إلا من تداركه الله برحمته وتاب وتدارك ما فرط وندم على ما غفل وخلط. قال الإمام الغزالي في هذا المعنى في الكلام على علم المكاشفة الذي هو غاية العلوم قال بعض العارفين: من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة ، وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله انتهى.

ثم قال رضي الله عنه مشيراً إلى أن الجذبة الربانية التي هي سبب السلوك والحب والقرب ليس لها سبب من الأسباب التي تنسب إلى العبد ، وإنما هي جذبة ربانية قبل الكسب أو بعد الكسب ، فقال في تفصيلها :

ونيلُها مِن منحِ فيضٍ وهبي   أو فتحِ فضلٍ بعدَ جِدٍ كسبي

لا من روايات الورى والكتبِ   ولا بقيلِ علمِها والقالِ

قوله : (**ونيلها من منح فيض وهبي**) أي: وذوقها وإدراكها من منح ، أي : عطاء فائض وهو الكثير الحاصل بطريق الوهب ، وهو الذي ليس له سبب متقدم بل هو بمحض الجود والكرم .

قوله: (**أو فتح فضل بعد جد كسبي**) أي: وقد يكون هذا الوهب بعد الجد والاجتهاد الكسبي ، وقد قال العلماء في هذا الشأن رضي الله عنهم : أن الكسب لا بد من أن يكون له جذب لأن الكسب والوهب يجريان من خزائن الفضل ليس للعبد فيهما إلا

مجرد الاختيار ويسمى بالكسب لأنهم اختلفوا في أن الجذب قبل الكسب أفضل أو الكسب قبل الجذب أفضل فرجح الأول والله أعلم .

قوله: (**لا من روايات الورى والكتب**) أي: أن هذه الجذبة التي هي سر من أسرار الله وفتح وتقريب من محبته ومعرفته لا تحصل ولا تقع من روايات الورى ، أي: الخلق وهم علماء الظاهر وما حفظوه وصنفوه في كتبهم ، وقد وقفت على رسالة معزوة إلى الإمام الغزالي رضي الله عنه وحاصلها أنه سأله بعض مريديه في أن يصف له هذه الجذبة الربانية والمنحة الإلهية ، فأجاب عليه قدس الله روحه بما معناه : سؤالك ياولدي عن ما ذكر كسؤال رجل عنين سأل آخر عن ذوق لذة النكاح والوطء وذلك أمر لا يوصف بالمقال ولا يعرفه إلا من وصل وذاقه .

وقوله (**ولا بقيل علمها والقال**) أي: أن ذلك لا يوصف بالقيل والقال ولا بالتلقي من أفواه الرجال ، بل طريقه الجذب والسلوك المؤذن بالوصل والاتصال ، ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

طوبى لمن طاب لها استعدادُهْ	**وانحلَّ مِن رقِّ السِّوى فؤادُهْ**
فذاقَ منها بَلَّةً ببالِ	**فحلَّ في عينِ الحِجا رشادُهْ**

قوله : (**طوبى لمن طاب لها استعداده**) طوبى ، يقال : إنها الجنة أو شجرة فيها وهي في الأصل فعلى من الطيب ، لمن طاب ، أي: حلي وصفا وتيسر لها ، أي: لهذه الجذبة استعداده، أي: بصفاء القلب وطهارته عن رذائل الأخلاق أوكان له ذلك بالاستحقاق بسابق فضل إلهي وعناية ربانية سواء أتقدم له كسب أم لا ، كما مر تفصيل ذلك .

قوله: (**وانحل من رق السوى فؤاده**) أي: انطلق من رق السوى ، أي: عبودية الغير أي: سوى الله تعالى ، أي: غير الله المسمى بالأحداث والأغيار فؤاده، أي: قلبه وذلك هو الحر حقيقة لأن من أحب شيئا فهو عبده وكان في رقه ، كما قال عليه الصلاة والسلام : (تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش) والمعنى : أن هذا الموصوف بما ذكر هو الحر عما سوى الله والعبد المحض لله ،

فتوسل أيها الأخ لا سيما في مظنة الإجابة وساعات الخلوة أن يمن الله عليك بهذه الجذبة لتخرج من رق نفسه وغيرك فتصير قلبا وربا لا نفسا وهوى ، كما قال ذلك سيدنا الشيخ عبد الله الحداد في حال شيخه الشيخ الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس : أنه قلب ورب لا نفس وهوى .

قوله: (**فحل في عين الحجا رشاده**) حل، أي: أقام في عين الحجا ، أي: العقل الذي به شرف الإنسان وفضله على سائر الحيوان ، والناس فيه متفاوتون في المراتب والمكانات ، وأكملهم عقلا هو الذي أول ماخلق الله نوره وهو سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم قال العلماء العارفون بالله : إنه لما أسري به صلى الله عليه وسلم ومعه سيدنا جبريل عليه السلام فلما بلغا سدرة المنتهى قال جبريل عليه السلام : وما منا إلا له مقام معلوم ، ورقى صلى الله عليه وسلم ماحكى الله عنه في قوله: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ (النجم/ ٩) قالوا : كان جبريل عليه السلام حينئذ روحا والنبي صلى الله عليه وسلم عقلا .

قوله: (**فذاق منها بلة ببال**) أي: أن هذا العبد المجذوب ذاق من هذه الشربة بلة ، أي: شيء يسير ببال ، أي: سر قلب ، وفي ((الإحياء)) أو غيره : أن بعض العارفين بالله سأل الله المحبة والمعرفة بواسطة بعض الأنبياء عليهم السلام فتوله وغاب عن إحساسه وبقي في حالة لا يميز معها شيئا فسأل الله تعالى ذلك النبي أن يخفف عنه فأوحى الله إليه : أني إنما أعطيته جزءاً من ذرة من المحبة هو ونحو ألف سألوا ذلك فقسمت تلك الذرة من المحبة والمعرفة . هذا معنى الحكاية وإلى غير ذلك يشير قول سيدي الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد باعلوي نفع الله به في أثناء القصيدة التي مر النقل عنها وهو قوله:

يــــالله بـــــذرة مـــــن محبـــــة الله	أفنـى بهـا عـن كـل مـا سـوى الله
ولا أرى مــــن بعــــدها ســـوى الله	الواحــد المعبــود رب الاربـــاب

فقوله (أفنى بها عن كل ما سوى الله) المراد بهذا الفناء : الغيبة عما سوى الله ، وقد حرر هذه المسألة في ((فتاوى الصوفية)) ، وذكر ما معناه : أن أولياء الله وأحباءه يطلبون

ويستروحون بحالة الفناء ، وهي حالة غريبة يغيبون عن ما سوى الله تعالى لأن فيها لذة وراحة والله ينقلهم عنها لطفا بهم لئلا تضمحل أجسامهم وتتلاشى عظامهم ، قال : وقد حكي أن بعض مشايخ العراق وردت حالة الفناء عليه فبقي مدة واقفا على قدميه لا يأكل ولا يشرب ولا ينام بل شاخصا ببصره إلى السماء ، قال : وحكي عن بعض مشائخ مصر أنه توضأ واضطجع وقال لابنه : لا توقظني حتى استيقظ بنفسي فمكث كذلك سبعة عشر سنة ، ثم قام وصلى بلا وضوء . فهذه أحوال أرباب الفناء ومقام البقاء أرفع لأنه مقام الدعوة والوراثة له صلى الله عليه وسلم في النفع للخاص والعام ثم قال رضي الله عنه :

فَبَلَّةٌ مِن كأسِها المختومِ تملأْ رياضَ القلبِ بالعلومِ

وتحفظُ الفهمَ عنِ الوهومِ وتطلقُ العقلَ عن العقالِ

قوله : (**فبلة من كأسها المختوم**) أي: اليسير من شراب خمر المحبة المعبر عنه بالبلة يكون عليهم من ظاهر التأثير ، فلذا قال نفع الله به (**تملأ رياض القلب بالعلوم**) ووصف كأسها بالمختوم كما حكاه الله تعالى في قوله : ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ (المطففين/ ٢٦) أي: أن تنافس العارفين بالله في طلب الجذبة الربانية التي طريقها المعرفة به تعالى التي هي جنتهم في الدنيا كمعرفته والنظر إليه في جنة لقائه في الدار الآخرة فلا فرق بين اللذتين إلا أن تلك باقية لا تفنى وهذه قد تدوم وتستمر وقد ترتحل فتنقطع ، كما ذكر الصوفية أن الأحوال التي ترد تكون في حال دون حال ، وأما المقامات فتثبت ولا ترتحل .

ولهذا سئل الشيخ عبد الله بن علوي الحداد عن تغزلات الأولياء في أشعارهم وقصائدهم ووصفهم وذكرهم الخدود والقدود والشعور والخصور ، فأجاب رضي الله عنه: لا يعنون بذلك معشوقات كما نقل عن عشاق العرب وما يتغزلون به في معشوقاتهم ، بل يعنون بذلك أحوالا ترد عليهم وتغيب عنهم فيشتاقون إليها ويكون بسببها التغزل وشدة الشوق، وبذلك يستعيرون عبارات شتى كاللوائح واللوامع والبواده والبوادي وغير ذلك .

قولـه: (**تمـلأ ريـاض القلـب بـالعلوم**) أي: إن هـذه الجـذبات واللطـائف والرقـائق والحقائق تملأ رياض القلب بالعلوم ، شبه أن للقلب الـذي هـو موضـع نظر الـرب رياضـا كرياض الجنة يتنعم بها صاحبه ويلتذ بتلك العلوم والمعارف التي لا يحدها وصف واصـف ولا يعلمها ويحيط بحقيقتها إلا المتفضل بها جل وعلا .

قوله: (**وتحفظ الفهم عن الوهوم**) أي: أن تلك المعارف والحقائق تحفظ الفهم ، أي: الذوق لها عن الوهوم والشكوك الواردة عن النفس والشيطان وأعوانه .

قوله: (**وتطلق العقل عن العقال**) أي: أن عقل هـذا العـارف ينطلـق عـن قيـود عـن الأوهام ويسيح في فسيح معرفة الملك العلام وفي العوالم الملكوتية ولا يبقى في عقال العقـل المقيد بعلم المحسوسات والنظر إلى الخيالات فلا تحجبه عين الأغيار بشروقه بنور الأنـوار الذي مثله بقوله تعـالى ﴿ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ ﴾ (النـور/ ٣٥) الآيـة ، والله أعلم بحقائق الأمور.

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

الرشفة الثانية :

[في بيان أحوال القوم]

رَشْفَةٌ مِنْ حَالِي أَحْوَالِهِمْ وَ نَسْمَةٌ مِنْ قُرْبِ وِصَالِهِمْ

عبر نفع الله به بحالي الأحوال ثم أتبعه بقرب الوصال لأن الارتشاف سببه ذلك الوصال والإسعاد وشرحه بقوله رضي الله عنه :

أكـــرِمْ بـــأقوامٍ لهـــا اســـتجابوا وطـــابَ معناهـــا لهـــم إذ طـــابوا

ذاقـــوا حميـــا كأسِـــها فغـــابوا عـــن الـــورى في حضرةِ الوصـــالِ

قوله : (**أكرم بأقوام لها استجابوا**) أي: ما أكرمهم لأنهم لما دعوا إلى الحضرة بهذه الجذبة استجابوا سريعا وأقبلوا عليهم جميعا .

قوله: (**وطاب معناها لهم إذ طابوا**) طاب ، أي: حلي وصفا معناها ، أي: الذوق لها والفهم لمعانيها التي هي من كلمات الله التي لو كانت البحار مدادها لنفدت قبل نفادها وحصولها لهم إذ طابوا ، أي: طابت عناصرهم وأنفسهم الزكية عن الأخلاق الردية .

قوله: (**ذاقوا حميا كأسها فغابوا**) صار لهم الذوق بحميا شراب تلك الرشفة ، والحميا من أسماء الخمر ، والمراد هنا خمر الحقيقة كما مر ، فلما سكروا بها غابوا عن الأكوان بالمكون .

قوله: (**عن الورى في حضرة الوصال**) أي: غابوا عن الورى ، أي: الخلق في الحضرة التي تهيم بها الملائكة الكروبيون وغيرهم ممن له هذا الشهود فغاب به عن الوجود.

ثم قال رضي الله عنه مبينا حال أولئك الرجال الفائزين بالقرب والوصال :

خلـــوا لهـــا كـــل هـــوى وخَلَّـــهْ وأَخْلصـــوا كـــلَّ ولا وخُلَّـــهْ

واتخـــذوا وجـــهَ الحبيـــب قِبْلَـــهْ وأَقبلـــوا بأَصـــدق الإقبـــال

قوله (**خلوا لها كل هوى وخله**) أي: تركوا وسلموا لتلك الجذبة كل هوى ، أي: ميلا إلى غير مقصودهم ، وخَلة بفتح الخاء ، أي: خصلة تعوقهم عن معبودهم ، ولذا قال : (**وأخلصوا كل ولا وخله**) أي: موالاة لحبيبهم وخُلة بضم الخاء ، أي: مودة فصارت معاملاتهم لا يشاركه فيها الغير .

قوله: (**واتخذوا وجه الحبيب قبله**) أي: اتخذوا وجه الحبيب ، أي: ذاته إذ المراد كل ما جاء في القرآن من الوجه وهو الذات قبلة يتوجهون إليه في مقاصدهم وأنحائهم غائبون عما سواه .

قوله: (**وأقبلوا بأصدق الإقبال**) أي: أقبلوا عليه تعالى وتوجهوا إليه بصدق الإقبال وعزيمة الارتحال حتى أكرمهم بذلك الوصال.

ثم قال رضي الله عنه :

فَرُّوا على تجريد معنى الصدقِ وأفردوا القصدَ لوجه الحقِّ

فوصلوا عند انقطاع الخلقِ واتصلوا بأفضل الأفضالِ

قوله (**فروا على تجريد معنى الصدق**) فروا من الفرار المأمور به في قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ (الذاريات/ ٥٠) أي: الجأوا إليه فارين من الأغيار التي تشغلكم عن مجاورته تعالى في دار القرار ، أي: متجردين آخذين بمعنى الصدق الذي هو أعلى مقامات الأولياء وأشرفها وأرقها وألطفها .

قوله: (**وأفردوا القصد لوجه الحق**) المليك الذي لا يقبل الشريك (**فوصلوا عند انقطاع**) أي: وصلوا بهذا التوجه التام عند انقطاع الخواص منهم والعوام الذين لم يصلوا إلى مراتبهم ولا تحلوا بمناقبهم .

قوله : (**واتصلوا بأفضل الأفضال**) أي: اتصلوا بالحال والمقام الأفضل الذي خصهم به وجاد عليهم في إفضاله وزادهم من جزيل عطائه ونواله.ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

وسافروا بأقومِ استقامهْ طووا مقاماتٍ بلا إقامهْ

إلى بقـــاعِ الفـــيضِ والكرامـــةْ ومســـتوى التنـــزيل والإنـــزالِ

قوله : (**وسافروا بأقوم استقامه**) المراد بالسفر هنا : السلوك على الطريق الخاصة المعروفة عند الصوفية بشروطها وآدابها المرعية وسيما هذا السفر والسير بالاستقامة ، وهي مشروحة في مؤلفاتهم كـ((الإحياء)) و((العوارف)) و((الرسالة)) ، وهي وإن تعددت طرائقها فالمقصد واحد لمن غاص في معنى حقائقها .

قوله: (**طووا مقامات بلا إقامة**) أي: طووا بهذا السير والسلوك إلى ملك الملوك مقامات وهي التي أولها التوبة وآخرها مقام الصدق مع الله تعالى بلا إقامة ، أي: بلا انقطاع عن السير بل إنهم كلما حلوا ارتحلوا وما حملوا تحملوا ، ولا ينتهي هذا السير لأن معرفة الله تعالى لا تتناهى لا في الدنيا ولا في الآخرة.

قوله: (**إلى بقاع الفيض والكرامة**) أي: ساحات الفيض ، أي: الجود والإحسان الذي لا يصفه وصف واصف ولا تبلغه معرفة عارف ، والكرامة التي أورثتها الاستقامة المراد بها ما يكرم به العارف المستقيم من تنزلات الأنوار و فيوضات الأسرار وغير ذلك من طاعة الخلق له وتمثلهم بين يديه وما يحصل له من الجاه عند الخلق والمحبة وذلك ثمرة الاستقامة ، فأما من حصل له ذلك ، أي: إقبال الخلق ووقوع الكرامات وخوارق العادات من غير استقامة فذلك مكر واستدراج كما حقق ذلك أرباب هذا المنهاج .

قوله: (**ومستوى التنزيل والإنزال**) أي: أنه يصل هذا العارف بالاستقامة إلى مواضع التنزيل الذي هو الإلهام لأنه للولي كالوحي للنبي والإنزال ، أي: في حضرة القرب التي هي غاية طلب المحبين ونهاية مقاصد العارفين ، ثم قال رضي الله عنه :

ونـــزهوا عـــما ســـوى المحبـــوبِ نـــواظرَ الألبـــابِ والقلـــوبِ
فـــامتلأتْ مِـــن بـــاهرِ الغيـــوبِ وأشرقـــتْ مـــن بهجـــة الجَـــمالِ

قوله (**ونزهوا عما سوى المحبوب**) أي: ونزهوا نواظرهم وبصائرهم عما سوى محبوبهم وغاية مطلوبهم كما قال (**نواظر الألباب**) أي: العقول (**والقلوب**) التي صفوها وصقلوها فتأهلت لتلقي الأنوار والمعارف ، وإلى ذلك أشار بقوله : (**فامتلأت من باهر**

الغيوب) التي تبهر العقول والألباب ، إذ هي من عالم الملكوت الممتلئ بأشعة أنوار الجبروت فحق له أن يبهر الألباب ويسكر الأحباب .

قوله: (**وأشرقت من بهجة الجمال**) أي: أشرقت تلك الأنوار من بهجة جمال الحق تعالى الذي من شأنه إفاضة الرحمات وإناطة الكرامات ، ثم قال رضي الله عنه :

صَفَوا عنِ الأكدارِ في الأذواقِ   واتصفوا بأكرمِ الأخلاقِ

ثم اصطُفُوا للوصلِ والتلاقِ   في حضرة التقديس والإجلالِ

قوله : (**صفوا عن الأكدار في الأذواق**) أي: صفت علومهم وسرائرهم عن الأكدار في الأذواق ، أي: عن كل ما يكدر الذوق من النظر إلى الأغيار في محبة ما في هذه الدار إلا ما استثناه المصطفى المختار في قوله عليه الصلاة والسلام : (حبب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وجعلت قرة عيني في الصلاة) .

قوله: (**واتصفوا بأكرم الأخلاق**) أي: أن هؤلاء القوم المجذوبين إلى حضرة رب العالمين اتصفوا بأكرم الأخلاق النبوية المقسومة لهم من قبل خلق النسمة الآدمية .

قوله: (**ثم اصطفوا للوصل والتلاق**) أي: خصوا بالوصل من هذه الجذبة من عالم الأشباح إلى عالم الأرواح الذي هو الأصل والمقصود وفيه عين الجمع والقرب من المعبود .

قوله: (**في حضرة التقديس والإجلال**) التي هي المقصود الأعظم لخواص البشر ولهذه الأمة وسائر الأمم ، وإلى هذا الحال التي صار لها الإقبال من حضرة الجلال والجمال الإشارة إلى جذبتها وعنوان سعادتها بما نقلته في كتابي المسمى «حدائق الأرواح» وهو فائدة طويلة الذيل كثيرة النيل ينعطف معناها على ما مضى من الشرح وعلى ما سيأتي بحسب الفتح وهو ما نصه :

[الجذبة الأولى في طريق الوصول إلى الله]

اعلم أيدك الله وألهمك وهداك وفهمك أن لداء الغواية دواء هو الدراية ، ولهذه الدراية هداية ، وللهداية بداية ونهاية ، فأول بدايتها شرح الصدر لسلوك طريق هذا الأمر ، قال تعالى ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ (الزمر/ ٢٢) وقال صلى الله

عليه وسلم (إن النور إذا دخل القلب انشرح له وانفسح ، قيل : يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها ؟ قال : نعم ، التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله) وأول هذا النور جذبة ربانية تجذب العبد الموفق لسلوك طريق خاص بتوفيق إلهي ومزيد عناية واختصاص من حضرة الإلهام يلتزم معها الوقوف عند الأمر والنهي والعمل بالأحكام وشرائع الإسلام ، ثم ينتهي إلى ثمرة وغاية وباطن ومعرفة تكل عن كشفها الأفهام وتقصر عن تعريفها عقول أولي الألباب والأحكام .قال الحجة الغزالي قدس الله روحه في ((منهاج العابدين)) :

أول ما ينتبه ويتحرك لسلوك طريقها يكون بخطرة سماوية من الله تعالى وتوفيق خاص ، فإذا خطر بقلب العبد أول كل شيء : أني أجدني منعما عليَّ بضروب من النعم كالحياة والقدرة والعقل والنطق وسائر المعاني الشريفة واللذات وما ينصرف عني من ضروب المضار والآفات ، وأن لهذه منعما يطالبني شكره وخدمته وإن غفلت عن ذلك فيزيل عني نعمته ويذيقني بأسه ونقمته ، وقد بعث إليَّ رسولا أيده بالمعجزات الخارقة للعادات الخارجة عن مقدور البشر أخبرني بأن لي رباً جل ذكره قادرا عالما حيا متكلما يأمر وينهى قادرا على أن يعاقب إن عصيته ويثيب أن أطعته عالما بأسراري وما يختلج في أفكاري وقد وعد وأوعد وأمر بالتزام قوانين الشرع ، فيقع في قلبه أنه ممكن إذ لا استحالة لذلك في العقل بأول البديهة فيخاف على نفسه عنده فيفزع ، فهذا خاطر الفزع الذي ينبه العبد ويلزمه الحجة ويقطع عنه المعذرة ويزعجه إلى النظر و الاستدلال فيهتاج العبد عند ذلك ويقلق فلا يقرُّ له قرار .

وينظر في طريق الخلاص وحصول الأمان له مما وقع في قلبه فلم يجد فيه سبيلا سوى النظر بعقله في الدلائل والاستدلال بالصنعة على الصانع ليحصل له العلم واليقين بما هو الغيب ، ويعلم أن له ربا كلَّفه وأمره ونهاه ، فهذه أول عقبة استقبلته في طريق العبادة وهي عقبة العلم والمعرفة ليكون من الأمر على بصيرة فيأخذ في قطعها من غير بد بحسن النظر في الدلائل ووفور التأصل والتعلم والسؤال من العلماء الذين هم أدلاء الطريق وسراج الأمة

وقادة الأئمة والاستفادة منهم واستهداء الدعاء منهم للتوفيق والإعانة ، إلى أن يقطعها بتوفيق الله سبحانه وتعالى فيحصل له العلم واليقين بالغيب ، وهو أن له إلهاً واحداً لاشريك له فهو الذي خلقه وأنعم عليه بكل هذه النعم وأنه كلَّفه بشكره وأمره بخدمته وطاعته بظاهره وباطنه ، وحذره الكفر وضروب المعاصي وحكم له بالثواب الخالد إن أطاعه وبالعقاب الخالد إن عصاه وتولى عنه ، فعند ذلك تنبهه هذه المعرفة واليقين بالغيب على التشمير للخدمة والإقبال على العبادة لهذا السيد المنعم الذي طلبه فوجده وعرفه بعد ما جهله ولكنه لا يدري كيف يعبده وماذا يلزمه من خدمته بظاهره وباطنه .

فبعد حصول هذه المعرفة بالله تعالى تعلم ما يلزم من الفرائض الشرعية باطناً وظاهراً ، فلما استكمل العلم والمعرفة بالفرائض انبعث ليأخذ في العبادة ويشتغل بها فنظر فإذا هو صاحب جنايات وذنوب ، هذا حال الأكثر من الناس ، فيقول : كيف أقبل على العبادة وأنا مصر على المعصية متلطخ بها ، فيجب أولاً أن أتوب ليغفر لي ذنوبي ويخلصني من أسرها وأتطهر من أقذارها فأصلح للخدمة وبساط القربة ، فتستقبله هاهنا عقبة التوبة. انتهى .

وفي ما قدمناه أولا من حال الجذبة الربانية قال الشيخ محمد الخطيب السليماني رحمه الله في كتابه ((روضة التعريف في الحب الشريف)): ومحرك الجذبة لا يعلل وهي توقد مصباح الهمة في ديجور الغفلة المدلهمة وترفع جميع القواطع المؤلمة الملمة وتولي الوجه شطر المقصود وتوقع بصر البصيرة على نجم الشهود إلا أن صاحب الجذبة إذا وقعت المعرفة كان حقا عليه الاجتهاد فيما ينقل الخطا ويضاعف العطايا ، إذ ورد : (أعني على نفسك بكثرة السجود) وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أفلا أكون عبداً شكوراً) وهناك تتضاعف المعارج وتطوى المراحل ، والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ممن استأثر بهم الجذب وواصلتهم العناية وكثير من الأولياء ، قال أبو الفرج لما سبق الاجتباء لأقوام في القدم جذبوا بعد الزلق في هوية الهوى إلى نحو النجاة : يا عمر كيف حالك ؟ ، قال : كنت مشغولا بِهُبَل فسمعت هاتفا ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (الذاريات/ ٥٠) فعرجت على المنادي فإذا أنا في دار الخيزران . يافضيل من أنت؟ قال: أخذت في قطع الطريق ؛ فأخذت في قطع الطريق

. يا عتبة الغلام من أنت ؟ قال: كنت عبد الهوى فقصدت مجلس عبدالواحد فصرت عبد الواحد . يا شلي من أنت ؟ قال: كنت ابن الرشيد فعرض لي أمر رشيد فإذا عزمي قد أخذ الممر ومر . يا ابن أدهم من أنت ؟ قال: أخذني حبه من منظرة ناظورة البساتين . يارابعة من أنت ؟ قالت : كنت أعزف الدف بالطبل فاسمع عني :

بـــــالله يـــــاريح الصـــــبا مــــري عـــلى تلـــك الربـــا

وبلغـــــــي رســـــالتي بنصـــــها أهـــــل قبـــــا

وأجربـــــا وهـــــل تـــــرى فانيــــــا وأحـــــــدبا

انتهى . هذا كله مما يدل على ما مر وما سيأتي في هذه الرشفات وما قررناه من ورود الجذبات نعته وفي هذا الكتاب أعني كتابنا ((حدائق الأرواح)) وفي الكتاب الآخر المسمى بـ((الذخائر)) بهذا المعنى نصوص وإشارات وبشائر لو قصدنا نقلها لخرج بنا الحال إلى الطول الممل فقبضنا عنان القلم عن النقل اكتفاء بالعل عن النهل، ثم قال رضي الله عنه:

لما خَلَوا عن كل لُبْسٍ نفسي ثم تحلوا كل معنى قُدْسي

حَلُّوا بروضات الرضى والأنسِ عند مليكٍ في مقام عالي

قوله : (**لما خلوا عن كل لبس نفسي**) أي: لما خلوا ، أي: انخلعوا عن كل لبس يحتمل أنه بضم اللام ، أي: خلعوا اللباس الذي هو لباس الشك والعدول عن موارد أرباب الأذواق والنفحات ولبسوا لباس التقوى الذي أعلاه مقام المراقبة والخوف مع ملاحظة مقام الرجاء ، ويحتمل أن اللَبس بفتح اللام : الالتباس في الأمور وعدم تمييز حسنها وقبيحها مما هو مقام القاصر الذي لم يراع بعنايات أرباب هذه الجذبات ، ونسبته اللبس إلى النفس لكون لحظة الرعونات البشرية والأكدار الطبيعية ممن لم يصطفه الله بتطهيرها عن كل ما يلم بها ويكدرها .

قوله: (**تحلوا كل معنى قدسي**) ثم إنهم لما نزهوا النفوس وقدسوها وطهروها عن الرذائل حلوها بالمكارم ومعنى التقديس التنزيه عن الأوصاف الردية والأخلاق المذمومة.

قوله: (**حلوا بروضات الرضى والأنس**) أي: نزلوا وسكنوا في روضات جمع روضة وهي الجامعة لأنواع النعيم ، والرضى والأنس مقامان من أعلى مقاماتهم وخصوصياتهم ، وبيان مقام الرضى والأنس مشروح في كتاب المحبة والأنس والرضى من جملة كتاب ((إحياء علوم الدين)) ففيه العجب العجاب ، فلينظر فيه من هو مشتاق إلى ما خص به أولئك الأحباب ، المخطوبون إلى حضرة رب الأرباب بواسطة خاتم الأنبياء وسيد الأحباب صلى الله عليه وسلم وعلى آله والأصحاب .

قوله: (**عند مليك في مقام عال**) أي: عند مليك مقتدر في مقام هو مقام النظر إلى وجهه الكريم وهو فرق مقام الأنس والرضى كما بينت ذلك السنة في مقام قوله تعالى: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (التوبة/ ٧٢) فأهل البدعة منعوا جواز الرؤية لوجهه الكريم وأما أهل السنة قائلون بثبوتها وأنها في الدنيا جائزة له صلى الله عليه وسلم ولغيره بالرؤيا الصادقة ، وأما في الآخرة فهي عندهم جائزة الوقوع واعتقادها واجب عيانا بلا إحاطة بل بما يليق بتقديسه جل وعلا ، وهذا المبحث مذكور محرر في محاله من كتب العقائد والله أعلم ثم قال رضي الله عنه :

بانتْ لهم مِن نورِهِ الأنوارُ ... وانفتحتْ من سره الأسرارُ

واتضحتْ سبلُ الهدى فساروا ... فيه به فوقَ ذُرى المعالي

قوله : (**بانت لهم من نوره الأنوار**) أي: ظهرت لهم من نوره ، أي: نور الحق الحاصل به الجذبة بهذه الشربة ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (النور/ ٣٥) فالأنوار المهتدي بها ذوو البصائر والأبصار من نور الله تعالى ، مع أنه تعالى لا يوصف بالنور ، وإنما قوله: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (النور/ ٣٥) أي: منورهما في مظاهر صفاته وأسمائه وجالي كدر جلاهن بطول نعمه وآلائه ، وبهذا المعنى يسبح بحمده كل شيء وبإيجاده له يوحده بلسان ناطق مقدس عن العجز .

قوله: (**وانفتحت من سره الأسرار**) أي: حصل لأسرارهم الفتوح وفاضت عليها المنوح من سره تعالى إذ هو مظهرها ومعلنها ظاهرها وباطنها قال تعالى ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (لقمان/ ٢٠) .

قوله (**واتضحت سبل الهدى فساروا**) أي: اتضحت لهم بإشراق هذه الأنوار على قلوبهم وجوانحهم سبل ، أي: طرق الهدى ، أي: الاهتداء إلى ما فيه رضاه تعالى وحلول نظره عليهم في الدنيا والآخرة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾ (الأنعام/ ٩٠) وشِدَّ الإزار فهم ورثة المختار عليه الصلاة والسلام فسر سيرهم ولا تعرج على غيرهم .

قوله: (**فيه به فوق ذرى المعالي**) أي: ساروا فيه ، أي: محبة فيه وشوقا إليه به، أي: كان سيرهم به ، أي: بإعانته وحوله وقوته وليس لهم في ذلك إلا القصد والاختيار المسمى عند أهل العقائد بالكسب ، وهو أيضاً سببه الجذب والفيض من بحار الوهب فوق ذرى المعالي ، ذروة كل شيء : أعلاه ، والمعالي: طلب العلو في المقاصد والوسائل المعدودة من الفضائل ، قال صلى الله عليه وسلم (إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها).

ثم قال رضي الله عنه :

أَحَبَّهم فاختارَهم لنفسِهْ ثم كساهم مِن معاني قُدسِهْ

وعمَّهم بجودِهِ وأنسِهْ فهم له وهو لهم مُوالي

قوله : (**أحبهم فاختارهم لنفسه**) أحبهم ، أي: سبقت محبته لهم وعنايته بهم فاختارهم لنفسه لما صدقوا ماعاهدوا الله عليه بتوفيقه اختارهم لنفسه وأدخلهم في أحبابه وفريقه .

قوله: (**ثم كساهم من معاني قدسه**) أي: ألبسهم لباس حلل الفخار من معاني قدسه فصاروا منزهين ومقدسين عن النقائص والأوضار فتحلت صفاتهم بصفاته وتروحت أرواحهم بأنوار تجلياته حتى صاروا منسوبين إليه ومقربين لديه بغير حلول ولا اتحاد بل بمحض الكرم الممتن عليهم بالإيجاد والإمداد .

قوله: (**وعمهم بجوده وأنسه**) عمهم ، أي: شملهم بجوده ، أي: كرمه التيار الفائض على جميع أهل الأقطار وأنسه ، مر قريبا معنى الأنس وأنه ومقام الرضى من أعلى مقامات اليقين التسع ، ومن بلغ من العارفين مقام الأنس لا يطرقه هم ولا حزن ولا قبض بل هو رافل في حلة الأمان .

قوله: (**فهم له وهو لهم موالي**) أي: أن الموالاة منهم له تعالى سبب موالاته لهم وهو موالي لهم[1] ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ (البقرة/ ٢٥٧) ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ (الأعراف/ ١٩٦) ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

فهم له بين الورى ضَنائنْ … خزائنُ الأسرارِ والأمائنْ

قد صانهم عن عينِ كلِّ عائنْ … وقد علَوا عن مطمحِ الأنذالِ

قوله (**فهم له بين الورى ضنائن**) فهم له ، أي: للحق تعالى بين الورى ، أي: الخلق ضنائن أي: خواص يضن بهم ويحرسهم عما لا يليق بأحوالهم ومقاماتهم لأنهم عبيده ومنسوبون إليه صدقا .

قوله: (**خزائن الأسرار والأمائن**) أي: أنهم خزائن يودعها أسراره ، والأمائن جمع أمانة إذ هم خلفاء أبيهم آدم الذي حمل الأمانة وكان ظلوما لنفسه جهولا عليها باراً بربه قائما بحقوقه متكفلا بما حمل مشرفا لكونه كان قبلة لسجود الملائكة ، وغير ذلك من الخصوصيات التي أودعها كتعليم الأسماء .

قوله: (**قد صانهم عن عين كل عائن**) أي: حفظهم من الأعين الموثرة فيمن أصابته بإذن الله تعالى فهم محفوظون بكلمات الله وأسمائه والأذكار التي تدفع أعين السوء، إذ العين حق كما ورد .

---

(١) في هامش الأصل : وقوله : (موالي) تنازعه الضميران ، أي : فهم موالون له .

[ذكر العين والتحصين منها]

حُكي عن الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد باعلوي نفع الله به أنه قال : قد أمننا الله من جميع التأثيرات من الأسماء والسحر وغير ذلك ولا نخاف إلا من العين ، وذكر في ((حياة الحيوان)) عن بعض العلماء حكاية ، وهي أنه مرت قافلة رجال على أناس فيهم عائن فقال لهم : أي جمل مرادكم اللحم منه ؟ فأشار إلى جمل في القافلة فنظر إليه فبرك ، وكان صاحب الجمل يحفظ دعاءاً للعين فقرأه فقام الجمل من ساعته ، وهو:

حصنتُ نفسي بالحي القيومِ الذي لا يموتُ أبداً ودفعتُ عني السُّوءَ بألفِ لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم .

وقد ذكر السيد الإمام عبد الرحمن بن سليمان الأهدل نفعنا الله به في جواب سؤالات سأله بها الإمام الشيخ أحمد الحفظي ، ومن جملتها سؤال عن الفرق بين الكرامة والسحر والعين ؟ ، فأجابه : بأن كلها حق وأن بين كل واحدة منها والأخرى فرقاً ولها صفة ، وذكر من جملتها أن أناسا بجهة الهند يجربون في الرمانة فيجمعون عليها همتهم فلا يوجد فيها حبة ، وخواص همة الإنسان تنقسم إلى المعجزة للنبي والكرامة للولي وإلى السحر والعين ، وقد أطال السيد عبد الرحمن بن سليمان المذكور في الفرق بين ما ذكر والانفعالات الجارية بسببها في جواب الحفظي المار ذكره، وقد نقلت ذلك وغيرها مع تفصيل الإجمال فيه في كتابي المسمى ((حدائق الأرواح)) ويحتمل في معنى قوله: قد صانهم عن عين كل عائن أن المراد أنه تعالى صان أسرارهم عن نظر الناظرين إليها واطلاعهم عليها وهذا المعنى أظهر من الأول .

قوله: (**وقد علوا عن مطمح الأنذال**) أي: علت مراتبهم وارتفعت درجاتهم ومنازلهم عن مطمح نظر الأنذال وهم ذوو الطباع الرذيلة الردية وفي الحديث (رب أشعث أغبر مدفوع عن الأبواب لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره) أي: أن الحق سبحانه اختصهم بالاستتار والخمول لئلا يفتنوا في دينهم وإيمانهم وأعمالهم لطفا من الله بهم وغيرة منه عليهم.

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

الرشفة الثالثة :

[في إثبات وجود الأولياء في كل زمان وأهميتهم]

رَشْفَةٌ مِنْ عَيْنِ جُوْدِهِمْ وَ نَسْمَةٌ مِنْ تَعْيِيْنِ وُجُوْدِهِمْ

قوله : (**رشفة من عين جودهم**) أي: كرمهم (**ونسمة من تعيين وجودهم**) أي: البرهان على وجودهم وأنه لا تخلو الأرض عن قائم بالحجة منهم ومن عددهم الآتي ذكره .

ثم قال رضي الله عنه:

يقول قومٌ عن هداهم ضلوا : قد عُدِمُوا في عصرِنا أو قَلُّوا

فقلْ لهم : كلا ، ولكن جلُّوا عن أن تراهم أعينُ الجهالِ

قوله : (**يقول قوم عن هداهم ضلوا**) أي: يقول قوم من الجهال بوجودهم عن هداهم ، أي: عن الاهتداء ضلوا عن معرفتهم والعلم بأحوالهم ومقاماتهم .

قوله: (**قد عدموا في عصرنا أو قلوا**) قد عدموا ، أي: هلكوا عن آخرهم في عصرنا أي: زماننا أو أنهم قلوا وذلك لجهلهم في بقائهم ودوامهم إلى قيام الساعة ، وكيف تخلو الأرض عنهم وهم عمارها والسبب في تنقل بركاتها وإدرارها ، كما قال الشيخ عبد الله الحداد نفع الله به :

ولولاهم بين الأنام لدُكدكت جبال وأرض لارتكاب الخطيئةِ

قوله (**فقل لهم كلا ولكن جلوا**) فقل لهم ، أي: القوم الجاهلين بهم ، كلا : كلمة إنكار ، ولكن : كلمة استدراك ، جلوا ، أي: عظموا عن أن تراهم ، أي: تعلم بهم وبمكانتهم .

قوله: (**عن أن تراهم أعين الجهال**) أي: تعلم بهم أعين الجهال جمع عين ، والمراد بها العين الباصرة أو عين البصيرة ، الجهال : هم غير العارفين بحقائق أولياء الله أرباب المراتب ولو كانوا من علماء الظاهر الذين لم تنفتح بصائرهم بالاطلاع على تلك الأسرار والسرائر .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

فكيــــف يخلــــو عـــالَمُ الشـــهادهْ عـــنهم وهـــم فيـــه الهـــداةُ القـــادهْ
قـــــد حفـــظَ اللهُ بهـــم عبـــادَهْ وصـــانهم في ســـائرِ الأحـــوالِ

قوله (فكيف يخلو عالم الشهاده) أي: كيف يخلو عنهم هذا العالم المسمى بعالم الشهادة ويقال : عالم المُلك وهو من أعلى السموات إلى تخوم الأرضين .

قوله: (عنهم وهم فيه الهداة القاده) عنهم ، أي: عن هؤلاء الأفراد والأوتاد الذين أعلاهم والخليفة عليهم القطب الجامع وهم فيه ، أي: عالم الملك ، القادة ، أي: المقتدى بآثارهم والمهتدى بأنوارهم .

قوله: (قد حفظ الله بهم عباده) أي: حفظ الله الأرض والسماء وسكانها .

قوله: (وصانهم في سائر الأحوال) أي: حفظهم في سائر ما يجري من التصرفات في العبادات والعادات وخوارق الكرامات فلا يفعل بهم ولا يعمل معهم إلا مافيه الإعزاز لهم والكرامة وجميع أنواع المعاملة والاستقامة إذ هم صفوته في أرضه وخلفاؤه فيها فأحوالهم وأقوالهم وأعمالهم محفوفة بنور الاهتداء مصونة عن الردى ، ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

فهـــم لفـــيضِ فضـــلِهِ شـــعوبُ تحيـــا بهـــم بنـــورهِ القلـــوبُ
وتُغفـــرُ الـــزلاتِ والـــذنوبُ وتُـــدفعُ الآفـــاتُ في الأهـــوالِ

قوله : (فهم لفيض فضله شعوب) فهم ، أي: هؤلاء السادة المصطفون والقادة المهتدون لفيض فضله تعالى الذي ليس له سبب إلا محض الجود والكرم السابق في القدم شعوب ، أي: كالشعوب التي تفيض فيها ومنها المياه الحسية وتحيا بها ، أي: المياه المعنوية والفيوضات الوهبية القلوب وتشفى آراض القلوب والنفوس الميتة وتنبت الكلأ والعشب كما الحديث القدسي الذي مثل به صلى الله عليه وسلم بالنفوس الزكية وغيرها فقال : (فمنها طيبة تنبت العشب والكلأ ، ومنها ما يمسك الماء فينفع الله به ، ومنها أجادب إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ) هذا معنى الحديث .

قوله: (تحيا بهم بنوره القلوب) أي: تحيا بنظرهم وهمتهم القلوب الصدية بنوره تعالى الذي أفاضه على سرائرهم وظواهرهم .

قوله: (وتغفر الزلات والذنوب) أي: وتغفر ، أي: بنظرهم وملاحظاتهم الزلات ، أي: الخطيات الواقعة منهم والذنوب جمع ذنب وهو الإثم وذلك لأن نظرهم إكسير يقلب الأعيان ويصحح الإيمان .

قوله: (وتدفع الآفات في الأهوال) وتدفع الآفات، جمع آفة وهي النقص والعيب ، وكل ما يؤذي العبد ويسوءه في نفس أو مال ، في الأهوال ، أي: التي هي من جملة الأهوال ، ففي هنا بمعنى الواو ، وإنما أدخلها على الأهوال ليناسب قافية الأبيات التي قبله ، أو بمعنى مع أو مِن . ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

فوصفهم فضلٌ بلا فضولِ وعَرْفُهُم نفعٌ بكلِّ نَولِ
واستتروا بجُنَّةِ الخُمولِ عندَ ظهورِ الغيِّ والضَّلالِ

قوله : (فوصفهم فضل بلا فضول) أي: وصفهم بكمال صفات الجمال والجلال فضل ، أي: اتصاف بالفضائل وانفصال عن الرذائل التي منها الفضول : الذي هو الاشتغال بما لا يعني امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) أي: تركه لكل ما يزيد على قدر الحاجة والضرورة من ملبس ومطعم ومسكن وغير ذلك .

قوله: (وعرفهم نفع بكل نول) والعَرف - بفتح العين - وهو الروائح الطيبة التي تنم عن أخلاقهم وحسن سرائرهم - وبضم العين - أي: معروفهم الجامع لكل خصلة حسنة موافقة للسنة النبوية والأخلاق المحمدية ، كما جمعته آية ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ (الأعراف/١٩٩) .

قوله: (واستتروا بجنة الخمول) أي: اختفوا بجنة الخمول مثل استتارهم بالخمول بالجُنة - بضم الجيم - وهو الترس الذي يدفع السلاح ، والخمول يدفع فتن الدين وآفاته كما هو ظاهر ومرغب فيه، ومن أراد الكشف عن ذلك وفضيلته ونفعه فلينظر في كتاب

((منهاج العابدين)) للحجة الغزالي رضي الله عنه ، وقد مر ذكر شيء من ذلك ، ويحتمل أنه بفتح الجيم ، إذ الخمول في الدنيا جَنّة معجلة نعيمها ظاهر ونفعها متبادر ، لأن الخمول يتنعم به صاحبه في الدنيا فيستريح عن أذى الخلق في مخالطتهم ومعاملتهم ويسلم عن ما يؤلمه في الآخرة كمجالس الغيبة والنميمة وغير ذلك من الأمور المحرمة ، وفيه ، أي: الخمول الروح والراحة من حيث إن الغالب على من اتصف به الزهد في الدنيا وفي جاهها ورياستها ، وقد قال صلى الله عليه وسلم (الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن ، والرغبة فيها يورث الهم والحزن) .

قوله: (**عند ظهور الغي والضلال**) أي: أن الخمول في الدنيا جُنة وجَنة لاسيما عند ظهور الغي الذي هو العمى ، والضلال : الذي هو عبارة عن عدم معرفة الحق والصواب والسير على الصراط المستقيم ، والغي والزيغ والضلال معناها متقارب وهو متفاوت ، فأعظمه وأشأمه الغي والضلال بالكبائر ، ثم كبائر المعاصي والذنوب ، ثم صغائرها كلها مذمومة على لسان الكتاب والسنة ومشؤومة على من لم يتداركه الفضل والمنة نسأل الله العافية والسلامة ثم قال رضي الله عنه:

فلا يزالُ الدهرُ منهم قومُ ... بسرِّهم أمرُ الورى يقومُ

ورحمةُ الله بهمُ تدومُ ... بكلِّ غيثٍ وابلٍ هطالِ

قوله (**فلا يزال الدهر منهم قوم**) أي: فلا يزال في جميع الأعصار وسائر الأقطار منهم قوم قائمون بالحق ظاهرون به لا يضرهم من ناوأهم حتى يأتي أمر الله كما في الحديث، أي: إلى قيام الساعة أو طلوع الشمس من مغربها .

قوله: (**بسرهم أمر الورى يقوم**) بسرهم ، أي: بعناية الله لهم بأن جعلهم خلفاءه في أرضه وخاصته من عباده فبهم يقوم أمر الورى وتصلح بهم أحوال العالم من الثريا إلى الثرى .

قوله: (**ورحمة الله بهم تدوم**) أي: يرحم الله بهم العباد وتمطر بهم البلاد كما في الحديث من قوله: (بهم يغاثون ويمطرون) وكما قال رضي الله عنه (**بكل غيث وابل**

هطال) المراد بالغيث نـزول المطر ، والوابل : الدائم والهطال : كثير السح والسكب ، وفي هذا إشارة إلى أنهم رضوان الله عليهم أوتاد الأرض وأغواثها وغياثها الحائزون لميراثها ، كما ورد في آي القرآن وأخبار سيد ولد عدنان صلى الله عيه وسلم وسيأتي ، نقل عن الإمام اليافعي رضي الله عنه في ذكر أوصافهم ومراتبهم ووجودهم في كل زمان وفي ذكر فضائلهم وعموم نفعهم رضي الله عنهم.

ثم قال نفع الله به :

كـلُّ محـبٍّ في هـواهم صَـبٍّ ... بعَـرفهم يعـرِفُ عِطـرَ القـربِ

وذوقِ معنـى جـلَّ عـن جـدالِ ... بسـمتِ حـقٍّ مِـن سـماتِ الحُـبِّ

قوله (**بعرفهم يعرف عطر القرب**) يعرفثُهم - بالباء التحتية - مضارع ، أو الباء الموحدة وبفتح العين ، أي: رائحة صفا محبتهم يعرف عطر القرب منه تعالى تدل على ذلك اللوامع والسواطع في وجوههم وفي سائر أركانهم وتقلباتهم ، والمراد بعطر القرب ، أي: رائحة المحبة لهم ، كما قال تعالى ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (المائدة/ ٥٤) .

قوله: (**كل محب في هواهم صب**) كلٌّ : فاعلٌ لمعرفتهم أو شم عرف محب لهم في هواهم ، أي: عشقهم ، صبٌّ : من الصبابة وهي غاية الحب وقد ينتهي ذلك إلى العشق والوله وشدة البله حتى إن العشاق يتمثلون في المبالغة في ذلك بالغرام والهيام ويورثهم الآلام والأسقام ، حتى قد يموت بعضهم عشقا وتولهاً في محبة الله أو محبيه وذلك حلال في الشرع لا حرج فيه ، بل يدل على كمال من اتصف به وذلك معروف عندهم ومذكور في مناقبهم ومؤلفاتهم .

قوله: (**بسمت حق من سمات الحب**) يعبرون بالسمت عن الخلق من سمات ، أي: من أوصاف الحق له تعالى ويظهر بأشعة الأنوار وإن كان صاحبه موصوفا بالاستتار.

قوله: (**وذوق معنى جل عن جدال**) وذوق معنى ، أي: أن هذا الحب ذوق معنى لا أمر محسوس بالنظر واللمس بل هو معنوي يدركه العارف ويلتذ به ، كما ذكر ذلك الشيخ

الحبيب عبد الله الحداد في ((نصائحه)) فلينظر منها ، جلّ ، أي: عظم عن جدال المجادل فيه والمنكر له ولهذا لا يحد بتعريف ولا يوصف بتكييف . ثم قال رضي الله عنه :

إذا رُؤوا يُشهَرُ ذكرُ اللهِ فهو لهم سيما على الجباهِ
يُعرَفُ معناهم بلا اشتباهِ مِن حيث ما يُعرفُ ذو الجلالِ

قوله (**إذا رؤوا يُشهر ذكر الله**) أي: إذا رآهم الناظر ذكر الله برؤيتهم ، ومنه قول العامة شيء لله ، أي: هذا شيء خالص لله كما مر ، لأنه تعالى تجلى عليهم بأسمائه الحسنى وصفاته العلا فذكروا به وذُكر برؤيتهم ، ويحصل لمن رآهم بعين التوقير والتعظيم جذبة ربانية فيلتحق بهم ناظرهم ، قال العلامة المزجاجي الزبيدي رحمه الله تعالى : إن من عرف الله عرف كل شيء ومن أنكر ذلك إنما ينكره حسدا ، وقد جعل الله علامة في العارفين أن من رآهم ذكر الله ، وشواهد هذا ودلائله كثيرة . انتهى . وقال العارف ابن بنت الميلق في قصيدته :

وللفقير وجوه ليس يحصرها عدو كل وجود فهو واديه
والعبد هذا هو الحر الذي حصلت له الخلافة جل الله معطيه
إذا رؤي ذكر المولى برؤيته وفاز بالسعد والتقريب رائيه

انتهى .

قوله: (**فهو لهم سيما على الجباه**) فهو ، أي: الحق لهم في مظاهره سيما ، أي: علامة على جباههم كالعلامة التي هي من أثر السجود .

قوله: (**يعرف معناهم بلا اشتباه**) أي: يعرف معناهم في حقيقتهم وما هم عليه من آثار الحب والقرب بأنهم أولياء الله وأحباؤه بلا اشتباه ، أي: بلا شك في ذلك للناظر إليهم.

قوله: (**من حيث ما يعرف ذو الجلال**) أي: العظمة والعز والكبرياء لأنهم مظاهر أسمائه وصفاته . ثم قال رضي الله عنه :

لهم مِنَ التقوى أجلَّ زينَهْ عندَ لقاهم تنزلُ السكينَهْ
وتحصلُ الجمعيةُ المبينَهْ فتُجذَبُ الألبابُ بانفعالِ

قوله (**لهم من التقوى أجل زينه**) لهم ، أي: لهؤلاء العباد من التقوى التي غايتها خشية الله تعالى ، أجل ، أي: أعظم زينة ، أي: حلية ، قال تعالى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (الحجرات/ ١٣) فبالتقوى العز والشرف والكرامة والمغفرة والأجر كما دلت عليه الآيات البينات ، قال تعالى ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (الأعراف/ ٢٦) وفيها أيضاً المخرج من كل شدة والنجاة من المهالك والرزق من حيث لا يحتسب ولله در القائل :

من عرف الله فلم تغنه　　معرفة الله فذاك الشقي

ما ضر ذا الطاعة ما ناله　　من طاعة الله وماذا لقي

ما يفعل العبد بعز الغنى　　العز كل العز للمتقي

وقال الناظم قدس الله روحه في قصيدته المسماة ((عقد الميثاق)) :

ومن لم يكن ثوبٌ عليه من التقى　　فَعَارٍ وإن كانت له ألفُ حُلَّةِ

قوله : (**عند لقاهم تنزل السكينه**) أي: عند الاجتماع بهم والنظر إليهم تنزل السكينة ، أي: الطمأنينة والأمن عند الخوف والجزع ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ (الفتح/ ٤) .

قوله: (**وتحصل الجمعية المبينة**) وتحصل الجمعية وهي كمال التوجه والإقبال على الله تعالى المبينة ، أي: الظاهرة التي يشهدونها هم وغيرهم .

قوله: (**فتجذب الألباب بانفعال**) تجذب الألباب ، أي: العقول بالانفعال ، أي: أن غيرهم إذا رآهم شهد الجمعية انجذب قلبه ويسلب لبه فيتبعهم ويلتحق بهم ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، إذ للوارث حكم ما للموروث وفي التابع معنى المتبوع ، وفي ((العوارف)) في الكلام على الجمع والتفرقة ، قال : ويقولون فلان في عين الجمع ، يعنون سبيل مراقبة الحق على باطنه ، فإذا عاد إلى شيء من أعماله عاد إلى التفرقة انتهى ، وقال المزجاجي بعد ذكر من حصل له الفناء عن جميع الكون والاتصال بعالم الصون : وبيان ذلك أنه لما تجرد من

كل كون وألبس الصورة الملكية الكمالية الجلالية ساير الملأ الأعلى بصورته مع مغايرته لهم بتجرده لله تعالى متزينا بزينة الجمال والجلال والكمال الذي لا يكون لملك قط لأن الإنسان لجمعيته وكونه مظهرا لاسم الله سبحانه وتعالى لا يدانيه في الزينة ولا يقاربه لأنه ليس فيه تلك الجمعية انتهى. ثم قال رضي الله عنه :

حالُ ذوي الدعوى لهم تفارقْ — بنور فرقان يراهُ الذائقْ

لا بارتفاع الجاهِ والخوارقْ — ولا بحسن الوعظِ والأقوالِ

قوله (**حال ذوي الدعوى لهم تفارق**) أي: أن حال ذوي الدعوى المجردة عن حقيقة الذوق والعرفان تفارق ، كما قيل : ما أقبح دعوى بلا شاهد ، وقيل أيضاً :

فيا مدعي حبا بغير حقيقة — فما أسهل الدعوى وما أصعب المعنى

والدعوى قد تكون بالعلم وبالسبب أو بالورع أو غير ذلك من أحوال المتقين وأرباب اليقين ، فإن خلت عن الحقيقة فهي وبال على مدعيها ولا تسلم له الدعوى ، ولما سأل النبي صلى الله عليه وسلم حارثة بقوله : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت بالله مؤمنا ، فقال له صلى الله عليه وسلم : إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ فقال : يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري فاستوى عندي ذهبها ومدرها وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا وإلى أهل الجنة في الجنة يتنعمون وإلى أهل النار في النار يتعاوون أو يعذبون ، فقال له صلى الله عليه وسلم : عرفت فالزم .

قوله: (**بنور فرقان يراه الذائق**) أي: نور المعرفة والفرقان ، أي: أن صاحب هذا المقام والحال يفرق لذوقه ومعرفته بين الحق والباطل والحسن والقبيح فيكمل اتباعه لنبيه صلى الله عليه وسلم في أعماله وأقواله وأحواله.

قوله: (**لا بارتفاع الجاه والخوارق**) أي: أن هذا الذوق والمعرفة لا يقعان بارتفاع الجاه ، أي: الصيت لدى العامة والقبول عندهم ولا بالخوارق، أي: الكرامات التي تقع لمن لم يتصف بالاستقامة بل قد يكون مكرا واستدراجا .

قوله: (**ولا بحسن الوعظ والأقوال**) أي: أن هذه الأذواق التي تحصل لأهل الله تعالى والقبول عند الخلق واحترامهم وتعظيمهم لا تحصل بحسن الوعظ من القلب الخالي عن الإخلاص وعن العمل بما يأمر وينهى عنه فتلك الأقوال المجردة عن حسن الأفعال وصلاح القلوب والأحوال لا تزيد السامع لها إلا نفورا وذلك لعدم النية فيها والعمل بمقتضاها وتصدر عن نفس لا عن قلب وطلب للجاه والمال لا لمحض الإرشاد والدلالة على الخير والصلاح كما ذلك معروف ومشاهد . ثم قال رضي الله عنه :

فإنهم كلَّ منيب خاشعْ ... وكلَّ ذي قلبٍ منيرٍ لامعْ

لا مَن يشيرُ الناسُ بالأصابعْ ... وهو عنِ السرِّ المصونِ خالي

قوله : (**فإنهم كل منيب خاشع**) فإنهم أي : من صفات هؤلاء الدعاة إلى الله تعالى من كل متصف بقلب منيب ، أي: راجع إلى الله وإلى أوامره خاشع ، أي: خاضع له تعالى فإنها تؤثر دعوتهم ويقبل قولهم ويتبع أمرهم .

قال صاحب «الحكم» : كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي برز منه .

قال الشيخ الغوث علي بن عبدالله باراس نفع الله به في شرحه على «الحكم العطائية» في الكلام على هذه الحكمة : وقد كنت إذا تكلم سيدي قطب زمانه الشيخ الحبيب عمر العطاس نفع الله به مع العوام وأصحاب الأشغال وما يجري من كلام العادة أجد قلبي ينصت لكلامه ويحصل لي بذلك ما لو اطلع عليه ذو غباوة لعجب من ذلك وهام على وجهه ، وإذا تكلم غيره بكلام فصيح لم يلتفت إليه القلب ولم يعبأ به ، هذا معنى كلامه .

قوله: (**وكل ذي قلب منير لامع**) هذا شاهد أيضاً لكلام الشيخ علي المذكور وأمثاله من ذوي المعرفة والنور إذ كان يحصل له مع ذلك الكلام الجاري من شيخه ذلك الإمام مع العوام ما يورث الغرام والهيام ويسكر ذوي الأحلام فيغيبون به عن الأنام .

قوله: (**لا من يشير الناس بالأصابع**) أي: أن ذلك الذائق لأحوال الأولياء غير معروف بالمظاهر الدنيوية كمن يشار إليه بالأصابع وهو لا منيب ولا خاشع بالنور اللامع .

قوله: (وهو عن السر المصون خالي) أي: وهذا المدعي عن سر أهل الله والولاية خالي ، أي: عاطل عن صفات الذوق والمعرفة والسر بل قد يكون واقعا في الوزر بدعواه ما ليس له به علم كما قال تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ (الإسراء/ ٣٦) . ثم قال رضي الله عنه :

فكـمْ خَفـي في الخَلْـقِ مِـن مسـكينِ	قـد امـتلا مِـنْ صـفوةِ اليقـينِ
وهـانَ بـينَ النـاسِ ذو طِمْـرَينِ	وهـو لـدى الحـقِّ عظـيمٌ عـالي

قوله : (فكم خفي في الخلق من مسكين) أي: فكم استتر في الناس من مسكين ، أي: ذو استكانة وإخبات وخشوع غير معروف عند العامة ولا يعرفه إلا أمثاله كما في حديث أويس القرني رضي الله عنه ، والمراد بهذا المسكين ليس مسكين الزكاة ، وإنما المراد بهم مساكين الخواص الذين عناهم عليه الصلاه والسلام بقوله : (اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين) ، قال الإمام اليافعي رضي الله عنه في ((روضه)) : لو قال صلى الله عليه وسلم : واحشر المساكين معي لكفاهم فخرا ، فكيف وقد قال : واحشرني في زمرة المساكين .! فالمراد بالمسكنة هنا الخضوع والخشوع والإخبات وغير ذلك من أخلاق المؤمنين والأولياء العارفين ، وهذه المسكنة فيها غاية الشرف ، كما قال الشيخ شعيب أبي مدين المغربي رضي الله عنه في حق الفقراء الذين يجامعون المساكين في الأوصاف :

مـا لـذة العـيش إلا صـحبة الفقـرا	هـم السـلاطين والسـادات والأمـرا

ثم ساق أشياء في أحوالهم ومقاماتهم والأدب معهم وذكر أنه لم يكن أهلا لمزاحمتهم في تلك النعوت والصفات العوالي فقال :

مـن لي وأنـى لمـثلي أن يـزاحمهم	عـلى مـوارد لم آلـف بهـا كـدرا

يشير بذلك إلى عزة ما كانوا عليه مع أنه بلغَ مريدوه اثني عشر ألف مريدٍ ، ومنهم الشيخان العظيمان الدائرة اللذان عليهما دوائر أهل الطريق الحضرمية ، وهم الشيخ الأستاذ

الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي ، والشيخ الكبير الشهير سعيد بن عيسى العمودي نفع الله بهما .

قوله: (**قد امتلا من صفوة اليقين**) أي: أن هذا المسكين المراد به المسكين الخاص الذي قد امتلأ من صفوة اليقين ، أي: خالص اليقين الذي لا يشوبه شك ولا ريب ولا تردد ، إذ اليقين أعلى مراتب الإيمان فهو من صفات المتمكنين من العلم بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وسائر مقامات الدين .

قوله: (**وهان بين الناس ذو طمرين**) وهان بين الناس ، أي: لاختفاء خصوصيته ورث هيئته حتى أنه كان ذو طمرين ، أي: ثوبين خَلِقَين .

قوله: (**وهو لدى الحق عظيم عالي**) أي: أنه لدى الحق جل وتعالى عظيم المنزلة عالي القدر ، وإلى ذلك يشير الحديث الصحيح : (رب أشعث أغبر مدفوع عن الأبواب لو أقسم على الله لأبره) وقد مر الحديث . ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

وكَمْ أضاعَ الناسُ مِن مجهولِ وفاتَ حتى ماتَ في الخمولِ

وهو غياثُ كلِّ ذي مأمولِ في أفضلِ الأحوالَ والخصالِ

قوله : (**وكم أضاع الناس من مجهول**) أي: فكم أضاع الناس الذين ليس لهم خبرة وفراسة لأرباب الخمول والاستتار والمعارف الكاملة والأنوار من مجهول الخصوصية بينهم كما مر في الحديث .

قوله: (**وفات حتى مات في الخمول**) وفات ، أي: فات العامة بركته والرعاية والنفع منه لهم لكون همة الولي لا تتوجه إلى شخص إلا بإقباله عليه واعتقاد خصوصيته ، وقد قيل : إن معرفة الولي أخفى من معرفة الرب تعالى، إذ هو تعالى تشهد له الكائنات بالوحدة والفردانية وأما الولي فهو من جنس الآدميين موافق لهم في الأكل والشرب والنوم والفضلات فيجهلون قدره ، وأجهل الناس به أهل بيته لكثرة مخالطتهم له في العوائد .

قوله: (**وهو غياث كل ذي مأمول**) وهو ، أي: هذا الإمام الخامل في سره وخاصيته غياث كل ذي مأمول ، أي: كل آمل محسن الظن فيه ، فإذا توجهت إليه همته حصلت له مطالبه وتيسرت مآربه .

قوله: (**في أفضل الأحوال والخصال**) وهو ، أي: هذا الخامل في أفضل الأحوال والخصال أي: أن أعماله وأقواله وأحواله فاضلة على أعمال غيره وأحواله لكونها لا يتطرق إليها رياء ولا سمعة ولا مداهنة ولا محاباة ولا غير ذلك من مفسدات الأعمال ومشيئات الأحوال ، ثم قال رضي الله عنه :

وكَمْ بحُسْنِ الظنِّ مِن إمدادِ ... قد نالَه من كان ذا اعتقادِ

في خاملٍ إمامِ حقٍّ هادِ ... يرونه الناسُ مِن الجُهالِ

قوله (**وكم بحسن الظن من إمداد**) أي: صاحب حسن الظن رابح وغير خاسر ويكون ذلك لطهارة نفسه وصفاء سريرته وإن كان ظنه على غير حقيقته ، قال ابن بنت الميلق في قصيدته المشهورة :

والمرء إن يعتقد شيئا وليس كما ... يظنه لم يخب والله يعطيه

وليس ينفع قطب الوقت ذا خلل ... في الاعتقاد ولا من لا يواليه

وفي حديث : (لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه) وذكروا سببه فصاحب حسن الظن حائز للإمدادات الربانية ومتعرض للنفحات الرحمانية .

قوله: (**قد ناله من كان ذا اعتقاد**) أي: ناله المتصف بحسن الظن والمعتقد له بالخيرات عاجله وآجله ومبرات كاملة .

قوله: (**في خامل إمام حق هاد**) أي: ينال ما مر المعتقد في الخواص الخاملين الذين اتصفوا بصفوة الدين ونعتوا بأعمال المتقين .

قوله: (**يرونه الناس من الجهال**) أي: أن بقية الناس الجاهلين بمقامه وحاله وغايات كماله يرونه من الجهال الأغبياء لا من الصفوة الأولياء لكون نظرهم إلى الأمور الرسمية لا إلى الأحوال السرية وشهود الخصوصية فهم بذلك معذورون غير أنهم لو

علموا مافاتهم من نفع الاعتقاد لتحسروا على ذلك لكون الانتفاع لا يقع إلا بحسن الظن وشهود الخصوصيه . قال الناظم رحمه الله تعالى في قصيدته المسماه ((عقد الميثاق)):

ألا إن حسن الظن في كل ما انطوت عليه طوايا الناس أحسنُ ظِنَّةِ

فلا تعتمد بادي الأمور فربما يظن الفتى شراً بأحسن سيرةِ

انتهى . وكما حكي عن الشيخ الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس لما قال تلميذه الشيخ علي بن عبد الله باراس : أن أهل وادي عمد لم ينتفع أحد منهم بكم ، أي: في الجملة ، ومراده الانتفاع الخاص ولا معهم إلا : صعد الشريف نزل الشريف ، فقال له : لو رأوني بالعين التي رأيتني بها لأوصلتهم إلى الله في لحظة ، وهذا يقاس على كل ولي وولية لله ، بل وفي المؤمنين بعضهم بعضا إذا ظنوا الخير لاسيما في أصحاب الأعمال الصالحة والأمور المحمودة لما مر من فائدة حسن الظن ، وأقبح السرائر من يظن بالمؤمن وبالخير الصادر عنه خلاف ماصنع لأجله لأن ذلك لا يكون إلا من خبث السريرة ، كما قال ذلك الشيخ عبد الله الحداد نفع الله به في نصائحه ، وكما قال القائل :

إذا ساء فعلُ المرءِ ساءتْ ظنونُه وصدَّق ما يعتادهُ مِن توهُّمِ

وعادى محبيه بقولِ عُداتِهِ وأصبحَ في ليلٍ من الشكِّ مظلِمِ

ومن أسباب سوء الظن بالأخيار مجالسة الأشرار . ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

فإن فيضَ فضلِهِ في الناسِ جلَّ عن التقييد بالقياسِ

طُرُقُهُ بعددِ الأنفاسِ وجودُهُ جارٍ بكلِّ حالِ

قوله : (**فإن فيض فضله في الناس**) أي: أن فضله الجاري سبحانه وتعالى بمحض فضله وكرمه وإسباغ نعمه في الناس قال تعالى ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان/ ٢٠) فهي لا تعد بارزة منه وكائنة .

قوله: (**جل عن التقييد بالقياس**) أي: النعم منه تعالى لا تقيد بالقياس ولا تدرك بالحواس لأن صفاته الجمالية التي بها يتفضل ويحسن ويتطول ويمتن كذاته لا تدركها الحواس ولاتتناهى بل هي كما قال رضي الله عنه (**طرقه**) أي: مسالك فيض فضله (**بعدد**

الأنفاس) جمع نفس ، وهو المتردد من هواء الفم والحنجرة المسماة بالحلقوم ، فمجرى النفس والحلقوم مجرى الطعام والشراب ، وقد قيل : إن الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق اهـ . وذلك إشارة إلى اتساع رحمة الله تعالى وكرمه وجوده ، فإن ذلك لا يحد ولا يحصر بعد وكم في الإنسان من نعم ، وإذا أردت زيادة العلم لتشكرها ومدى الأزمان لتذكرها فعليك بكتاب التفكر والاعتبار وكتاب الصبر والشكر من جملة كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي رضي الله عنه .

قوله: **(وجوده جار بكل حال)** أي: أن إدرار نعمه ومحض جوده وكرمه جار بكل حال من الأحوال ووقت من الأوقات . ثم قال رضي الله عنه:

فليسَ يختصُّ بذي أنسابِ ولا بأهلِ الجدِّ والأكسابِ

بل فيضُ فضلِ مُنعمٍ وهابِ فيه النسا يَقسُمْنَ كالرجالِ

قوله : **(فليس يختص بذي أنساب)** أي: وليس فضله سبحانه وتعالى وجوده يختص بذوي الأنساب لأن فضله سبحانه وتعالى يختص به من يشاء من عباده على سبق مراده ، إذ الأنساب لا توصل إليه والأحساب الدنياويه لا تعظم لديه بل عنده أهل التقوى هم النسب الأقوى ، كما قال تعالى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (الحجرات/ ١٣) ، وقد مر معنى ذلك .

قوله: **(ولا بأهل الجد والأكساب)** أي: ولا يختص فضله بأهل الاجتهاد والأكساب بل هو جارٍ لكل من سبقت له العناية ، فأول ما ينفتح له مع الانجذاب باب الأبواب وهو التوبة النصوح ثم يتبعها سائر المنوح ، وذلك بمحض الجود والكرم والفضل الذي في علمه تعالى تقدم ، كما قال رضي الله عنه **(بل فيض فضل منعم وهاب)** فالعاقل اللبيب والعارف المنيب لا ينسب إلى نفسه فضلاً ولا يجعلها له أهلا ، والمدعي لمثل هذه المعاني لا يفهم ولا يذوق ولا يعي ولا يعلم.

قوله: **(فيه النسا يقسمن كالرجال)** أي: أن فضل الله لا يختص بشخص دون شخص ولا زمن دون زمن بل هو جار على مر الدهور وكرم العصور فلا تحصى مواهبه ولا

تنفد عجائبه ولا تحصر لـه منن ولا تختص بزمن دون زمن ، فالنساء أيضاً كالرجال في المكاسب والمواهب ، فقد تفضل المرأة في المعرفة على رجل لا يساويها فيها ، وقد تقرر أن جميع أوصاف الأولياء تكون في النساء إلا النبوة والقطبية ، وفي ((مناقب الشيخ معروف باجمال)) ما نصه : أنه يقال من نساء آل باجمال أربعمائة من الأبدال ، وقد ورد عن أنس رضي الله عنه مرفوعا : الأبدال أربعون رجلا وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله رجلا مكانه ، وكلما ماتت امرأة أبدل الله امرأة مكانها . وفي ((روض الرياحين)) للقطب اليافعي رحمه الله تعالى بعد ذكره لجملة من بدلاء النساء وأوليائهن قال شعراً :

ولـو كـن النسـاء كمـن ذكرنـا ... لفضـلت النسـاء عـلى الرجـالِ

فـلا التأنيـث لاسـم الشـمس عيـب ... ولا التـذكير فخـر للهـلالِ

ثم قال رضي الله عنه ونفع به وبعلومه :

فـويح غُمْـرٍ شـامتٍ للحـقِ ... يقـول : قـد مـاتَ رجـالُ الصـدقِ

ومـا بقـي مِـن بعـدِهم في الخلْـقِ ... إلا رسـومُ الحـالِ مِـن مُحـالِ

قوله : (**فويح غمر شامت للحق**) فويح : كلمة زجر ، غِمر – بكسر الغين[1] – أي: جاهل أو متجاهل شامت ، أي: يعيب الحق لكونه ضل عنه وجهل قدر أهله فلم يصغ لما أمروا به ونهوا عنه .

قوله: (**يقول : قد مات رجال الصدق**) أي: يقول بجهله وضلاله قد مات ، أي: فني رجال الصدق ، أي: القائلون به والعاملون عليه، وقد مر ذكر مقام الصدق والصديقين ، ويقول أيضاً : (**وما بقي من بعدهم في الخلق**) أي: الموجودين في وقت القائل الذي عن هداهم ضلَّ وعُرْفُهُ لهم عُدِمَ وقَلَّ ، فنعوذ بالله أن نكون من الجاهلين الذين

---

(١) غُمر : بمعنى الجاهل ، فالأصح كونها بالضم ، كما قال قطرب في ((مثلثه)) :

إن دمـوعي غَمْـر ... ولـيس عنـدي غِمْـر

فقلـت : يـاذا الغُمْـر ... أقصر عنـد التَّعتـب

فبالفتح : الماء الكثير ، وبالكسر : الحقد ، وبالضم : الجاهل أو من لا خبرة له بالأمور .

حرموا بركات الأولياء وتنـزل الرحمات على من صدقهم واعتقد خصوصياتهم ، وقال أيضاً لعماه عن الهدى وارتباكه في مهالك الردى وما بقي (**إلا رسوم الحال من محال**) والرسوم : جمع رسم ، وهو العلامة الظاهرة الحال ، أي: من أحوالهم من محال ، والمحال الذي يتعذر وجوده ويقدر عدمه ، وذلك لما مر من فساد اعتقاد هذا القائل وحرمانه وعدم أو ضعف إيمانه لأنه مكذب بآيات الله ، وما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجود طوائف الأولياء المار والآتي ذكر بعضها من النجباء والنقباء والأوتاد والأقطاب والأفراد وغيرهم نفعنا الله بهم. ثم قال رضي الله عنه :

فلـمْ تَـزلْ مِـنْ رحمـةِ الـرحمنِ ... ونفحـاتِ الجـودِ والإحسـانِ

سـوابغٌ أعلـتْ ذوي نقصـانِ ... وبَلَّغَـتْ آمـالَ ذي آمـالِ

قوله : (**فلم تزل من رحمة الرحمن**) أي: فلم تزل بسبب وجودهم رحمة الرحمن تتنزل على عامة الخلق فتغمرهم وترفع عنهم البلاء وتحفظهم عن الأهوال وتؤمنهم عن الأخواف وتسهل لهم الأرزاق فيكفيهم عن الإملاق .

قوله: (**ونفحات الجود والإحسان**) أي: ونفحات الجود والكرم والإحسان ، أي: التفضل لأنواع الرحمة والنعمة ، أي: أن ما ذكر لم يزل جار من بحار الجود وكرم المعبود على كل موجود وعلى الخواص بمزيد الاختصاص .

قوله: (**سوابغ أعلت ذوي نقصان**) أي: نعم سابغة ومنن بالغة أعلت ، أي: رفعت لذي نقصان ، أي: لذي نقص وقصور في دينه وإيمانه ، فلم يزل يترقى مقامات الدين حتى بلغ إلى أعلى درجات اليقين وذلك هو المقصود وفيه رضى المعبود .

قوله: (**وبلغت آمال ذي آمال**) أي: مطالب ومقاصد ذي آمال ، أي: ذي رجاء وطمع في إحسان البَرِّ الكريم الذي لا يخيب رجاء الطامع فيه بل يحسن إليه ويواليه على قدر قابليته وتلقيه الأرزاق الحسية والمعنوية ، قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ (المائدة/ ٦٦) قال بعض أهل التاويل : الأكل من فوق ينزل الأرزاق المعنوية ومن تحت ينزل الأرزاق الحسية .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

كَـمْ قرَّبـتْ مِـن معـرضٍ وقـاصي   وأنقـذتْ مِـن زائـغٍ وعـاصي

فصـار بعـدَ البُعـدِ ذا اختصـاصِ   وفـازَ بـالقربِ بـلا إعجـال

قوله : (**كم قربت من معرض وقاصي**) أي: كم قربت تلك النفحات وسوابغ الرحمات من معرض عن الله وعن عرفان ما يرضاه والعمل بمقتضاه وقاصي ، أي: بعيد عن رحمة الله وعن ما يقرب إليه تعالى من البر والإحسان .

قوله: (**وأنقذت من زائغ وعاصي**) أي: وأنقذت النفحات والجذبات الربانية الرحموتية من زائغ ، أي: مائل عن طرق الهدى والصواب وعاص للحق ، أي: مرتكب المخالفات ، وهي تنقسم إلى كبائر وصغائر ، فأما الكبائر فلا تغفر إلا بالتوبة ، بل ولا تكفر مع وجودها الصغائر ، لقوله تعالى ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾ (النساء/ ٣١) ، وأما الصغائر فتكفر لما ورد في الحديث (الصلاة إلى الصلاة ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر) .

قوله: (**فصار بعد البُعد ذا اختصاص**) أي: صار بعد بُعده عن مولاه وعن رحمته وما أولاه أولياءه ذا اختصاص ، أي: صاحب خصوصية ، وهي ما يوليه تعالى لعبده العارف من الملاطفات الحسية والمعنوية والخيرات الباطنة والظاهرة وتطهير السريرة عن الرذائل وتنوير البصيرة وتحليتها بالفضائل .

قوله: (**وفاز بالقرب بلا إعجال**) وفاز ، أي: ظفر بالقرب من الله تعالى بلا إعجال أي: بلا إزعاج له عن المقام الذي وصل إليه بل يبقيه تعالى متنعما في حضرة التقديس والتنزيه متوجها في كل حال ووقت إليه . ثم قال رضي الله عنه :

وكَـمْ دنـتْ مِـن ديِّـنٍ ذي جـدٍّ   دنـا لهـا بالصـدقِ والتصـدِّي

وخـابَ مَـن في غفلـةٍ وبُعـدِ   لمـا تمنَّاهـا بـلا إقبـالِ

قوله : (**وكم دنت من دين ذي جد**) دنت ، أي: قربت من دين ، أي: ذي دين ثابت ، والدَّيِّن : هو الذي يجمع المقامات الثلاث الإسلام والإيمان والإحسان ، ذي جد ، أي: ذي اجتهاد ، وقد مر الفرق بين الجذب بالكسب والجذب بالوهب فليراجع من هناك .

قوله: (**دنا لها**) أي: النفحات والرحمات بالصدق ، أي: قرب إليها بالصدق وهو كمال الإخلاص ، والتصدي ، أي: التعرض لها في كل الأوقات ، قال عليه الصلاة والسلام: (إن لله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها) .

قوله: (**وخاب من في غفلة وبعد**) وخاب ، أي: خسر وحُرِم من في غفلة عن التعرض لما يقربه إلى الله تعالى من الأعمال الصالحة التي ثمرتها وجدان المعارف والحقائق الربانية التي يؤتيها تعالى مَن أقبل واجتهد فيه ورغب إليه ورجى جزاءه ورحمته ومغفرته .

قوله: (**لما تمناها بلا إقبال**) أي: لما تمناها بلا إقبال على الله تعالى بطاعته بل بالأماني الكاذبة التي هي كما قيل أودية النوكى ، ففي الحديث : (الأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني) بل لا ينجو ولا يفوز إلا من قدم الأعمال الصالحة وشهد النقص فيها وخاف أن لا تقبل منه ، قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ (المؤمنون/ ٦٠) .

ثم قال رضي الله عنه :

الرشفة الرابعة :

. [في بيان شرف الإنسان وأنه خليفة الرحمن]

رَشْفَةٌ مِنْ رَشْحِ عُنْصِرِهِمْ الزَّكِيْ وَ نَسْمَةٌ مِنْ رِيْحِ مُعَنْبَرِهِمْ الذَّكِيْ

قوله : (**رشفة من رشح عنصرهم الزكي**) الرشح ، أي: ما يترشح ويظهر من وراء الإناء من عنصرهم ، أي: أصلهم المطهر الزكي ، أي: المزكى بشهادة الخبر والمخبر .

قوله: (**ونسمة من ريح معنبرهم الذكي**) أي: روح من ريح ، أي: عرف معنبرهم ، المأخوذ من العنبر الذي هو أعز الأطياب ، الذكي ، أي: البالغ الرائحة العطرة التي ترتاح بها الأنفاس ويستروح إليها الجلاس . ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

ولم يَزلْ للحقِّ سرٌّ ساري بالجودِ والألطافِ والأسرارِ

مِن عالَمِ التقديسِ والأنوارِ في عالَمِ الأجسامِ والأشكالِ

قوله : (**ولم يزل للحق سر ساري**) أي: ولم يزل للحق تعالى سر ساري يهتدون به إلى طرق معرفته والتلقي عنه بإلالهامات التي هي للأولياء كالوحي للأنبياء .

قوله: (**بالجود والألطاف والأسرار**) بالجود ، أي: التفضل بالكرم الفائضة منه تلك النعم ، والألطاف جمع لطف ، وهي الإرفاقات الإحسانية والعطفات الامتنانية ، والأسرار جمع سر ، وهو ما يوليه من تحف المعارف ورقائق اللطائف .

قوله: (**من عالم التقديس والأنوار**) أي: من عالم التقديس ، أي: المتنزلة لهم منه تعالى من عالم التقديس ، أي: التطهير ، والأنوار ، أي: وجود أشعة الأنوار وتنزلها من عالمها على سرائرهم وظواهرهم فهم بها يهتدون وبدلالتها يقتدون ويعملون لا يخالج أسرارهم الشكوك والظنون فيما يصلون ويعلمون ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ (لقمان/ ٥) .

قوله: (**في عالم الأجسام والأشكال**) أي: أن هذه الأنوار المقدسة والأسرار المؤنسة متشكلة لهم ومتنوعة فيهم في عالم هذه الأجسام الكثيفة لكنها صارت بتقديس الحق لها لطيفة فتأهلت لقبول الأنوار بطهارة الأسرار .

ثم قال رضي الله عنه :

وذاكَ بالفضـــــل وبإلاحســــانِ سرٌّ وجـــودِ الجــوهر الإنســـاني

فإنَّـــــه خليفـــــةُ الــــرحمنِ في الأرض للتنـــزيل والإنـــزال

قوله : (**وذاك بالفضـل وبإلاحسـان**) وذاك ، أي: حصول النفحات والجذبات وسوابغ الرحمات وتقديس القلوب الصافيات و الأسرار الزكيات عن الكدورات والمخالفات حاصل وواقع بمجرد الفضل السابق والإحسان اللاحق لا بحول الحاصل له وقوته بل بفضل الله ورحمته وسابق عنايته ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (يونس/ ٥٨) والشكر عليها لازم والعمل بمقتضاها متحتم ﴿ يَشْكُرُ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (لقمان/ ١٢) .

قوله: (**سر وجود الجوهر الإنساني**) أي: أن تلك التفضلات سر وجود الجوهر ، أي: الذات الإنسانية التي هي مخلوقة وموجودة للذات العلية ، كما ورد (وخلقت الخلق والعوالم من أجلك وخلقتك من أجلي) .

قوله: (**فإنه خليفة الرحمن**) أي: أنه خليفة الله في أرضه ، كما قال تعالى مخاطبا للملائكة ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة/ ٣٠) فاختصه وذريته بالخلافة في الأرض حتى كانت الموجودات فيها تستشعر خاصية الإنسان وتهابه لما أودع الله له وفيه من الخصائص وشرفه بالخلافة والنسبة إليه ، وقد اختلف أئمة التوحيد والعقائد في تفضيل خواص البشر والملائكة وعوامهم ، فقال الأكثرون : إن خواص البشر وهم الأنبياء أفضل من خواص الملائكة كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، وعوام البشر كسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه أفضل من عوام الملائكة، وفي ذلك كلام مبسوط في كتب العقائد .

قوله: (**في الأرض للتنزيل والإنزال**) أي: في الأرض متعلق بما قبله وهو قوله في الشطر الأول (**خليفة الرحمن**) أي: مستخلف لمولاه في الأرض للتنزيل ، أي: تلقي الرحمات من وحي وغيره ، والإنزال من الجهة العلوية إلى السفلية الواسع لها قلب آدم وذريته ، كما ورد في الحديث القدسي (لم يسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن) أي: بالعلم والمعرفة والتصديق والمحبة ، وفعله الاستخلاف لما ذكر من التنزيل والإنزال لا لحاجة له تعالى إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي أمره بغير واسطة .

ثم قال رضي الله عنه :

فقد كساهُ علمَهُ ونورَهْ ... وخصَّه منه بأولى صورَهْ

فصار حتماً فيه جمعُ الدَّوْرَهْ ... وفيه كلُّ الأمرِ بالإجمالِ

قوله (**فقد كساه علمه ونوره**) أي: كساه الله وجمله ، أي: الإنسان من بين مخلوقاته بالعلم الذي هو أشرف الأشياء ونوره ، أي: الحق تعالى ، وعلم شبهه بالنور لأنه يهتدى به من ظلمة الجهل وعماه وسوء عاقبته ورداه .

قوله: (**وخصه منه بأولى صوره**) أي: وخص الآدمي المشرف بصورة الجسم التي تخالف سائر الحيوانات وهي صورة حسنة فطره الله عليها وزينها بالعقل والروح الذي نسبه إلى نفسه لقوله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ (الإسراء/ ٨٥) ، وقد اختلف العلماء في حقيقته ، وذكرت بعض ذلك ونقلته في كتابي المسمى ((حدائق الأرواح)).

قوله: (**فصار حتما فيه جمع الدوره**) أي: تحتم فيه جمع الدورة ، والدورة محتمل معنيين ، أحدهما : أنه دائر عليه الأمر والسر لكونه خليفة الله في الأرض وشرفه وخاصيته بالعقل والروح الذي هو من أمر الرب جل وعلا وإنما الجسم هيكل له ومحل . والثاني : أن العلماء لاختلافهم في حقيقته كأنهم داروا في بيان ما هو وما محله وحقيقته.

قوله: (**وفيه كل الأمر بالإجمال**) أي: وفيه ، أي: الآدمي المشرف بالروح كل الأمر ، إشارة إلى قوله: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ (الإسراء/ ٨٥) بالإجمال لا بالتفصيل ، فإن النهي في الآية يدل على عدم جواز التفصيل فيه فيوكل ذلك إلى خالقه سبحانه وتعالى .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

وقد حوى في حجمه الصغيرِ   كلَّ معاني العالم الكبيرِ

وصارَ في المعنى وفي التصويرِ   كنُسْخَةٍ في الوضعِ والمثال

قوله : (**وقد حوى في حجمه الصغير**) أي: وقد حوى الإنسان في حجمه، أي: لطافة جرمه الصغير .

قوله: (**كل معاني العالم الكبير**) أي: أنه حوى العالم الكبير، أي: المتسع الأطراف والأكناف من السماء والأرض والعرش والكرسي وغيرها من العوالم العلوية والسفلية إذ هو نسخة الوجود لخلقه على صورته ، وفي الحديث (إن الله خلق آدم على صورته) فلا يفهم الغبي الغمر أنه على صورة الحق تعالى ، وإنما المراد على صورة الموجودات ، كما حقق ذلك الإمام الغزالي في ((الإحياء)) ، قال الشيخ عبدالسلام بن أحمد المقدسي في كتابه ((حل الرموز ومفاتيح الكنوز)) بعد كلام طويل يتعلق بهذا الحديث مانصه:

واعلم أن الكون نسخة منك لا أنك نسخة من الكون ، لأن فيك ما في الكون وتزيد على ما في الكون بما خصك به من معارفه وحكمه وأسراره وأنواره وكلياته ومنازلاته ، كما أن الفيل وإن كبر نسخة من البعوضة وإن صغرت ، لأن فيها ما في الفيل من جميع أجزاء جوارحه وتزيد عليه بأجنحتها ، وقد شرحت لك ذلك في هذه الأبيات ، فقلت فافهم ذلك :

إذا كنت تقرأ علم الحروف   فشخصك لوح به أسطر

وتمثال ذلك أنموذج   لكل الوجوه لمن يبصر

حروف معانيك لا تفترى   لدى الجهل كلا ولا تظهر

ومن يك غر بأسرارها   فمعروفها عنده منكر

لأن جــــزءك جــــزء صـــغير ففيــك انطــوى العـــالم الأكـــبر

إلى آخرها ...

قوله: (**وصار في المعنى وفي التصوير**) أي: في صورته الحسية وهي الجسم ، والمعنوية وهي الروح .

وقوله : (**كنسخة في الوضع والمثال**) أي: صار نسخة للوجود وتمثالا فالوجود وصورته على مثاله ومستخرج على منواله حكمة بالغة من العزيز الحكيم ، كما قال الإمام الغزالي رضي الله عنه : ليس في الإمكان أبدع مما كان ، وقد فهم بعض العلماء من معاصريه وغيرهم أنه أراد أن القدرة عاجزة عن إبداع مثل هذا العالم في مثاله وأشكاله ، وشنعوا عليه حتى بلغوا إلى تكفيره ، وحاشاه وهو حجة الله على الأنام ووارث رسول الله صلى الله عليه وسلم في العلوم الباطنة والظاهرة الذي لم يشاركه فيها غيره من أئمة الإسلام وقد أوّل الشيخ الإمام أحمد بن حجر في ((تحفته)) بأن قال : وقول الحجة الغزالي : ليس في الإمكان أبدع مما كان من حيث إن العلم شمله والإرادة خصصته والقدرة أبرزته انتهى . ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

فَخُــصَّ بالتفضـــيلِ والتكـــريمِ وخَلْقِـــهِ في أحســـنِ التقـــويمِ

ونـــورِ عقـــلٍ حـــاكمٍ حكـــيمِ أطـــاعَ في الإدبـــارِ كالإقبـــالِ

قوله (**فخُصَّ بالتفضيل والتكريم**) أي: فخص نوع الإنسان من بين سائر الحيوان بالتفضيل له من الملك الجليل الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء ويؤتي الحكمة من يشاء ويختص برحمته من يشاء، وخصه أيضاً بالتكريم المتضمن له التكليف لقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ (الإسراء/ ٧٠) ..الآية .

قوله: (**وخلقه في أحسن التقويم**) أشار إلى قوله تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (التين/ ٤) قال الخطيب الشربيني في ((تفسيره)) : وأحسن التقويم أعدله ، لأنه تعالى خلق كل شئ منكبا على وجهه وخلق الإنسان مستويا وله لسان ذلق ويد وأصابع

يقبض بها ، قال ابن العربي : ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان ، فإن الله خلقه حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وهذه صفات الله تعالى ، وعبر عنها بعض العلماء ووقع البيان بقوله : (إن الله تعالى خلق آدم على صورته) يعني على صفاته المتقدم ذكرها ، وفي رواية : (على صورة الرحمن) ومن أين تكون للرحمن صفة شخصية فلم يكن إلا معانٍ انتهى .

قوله: (**ونور عقل حاكم حكيم**) أي: وخصه تعالى من بين الحيوانات بنور العقل الذي به فهم خطاب الحق تعالى والعمل بما أراده منه وعقله به ، وقوله : (حاكم) أي: يحكم على الأشياء بالنور الذي أودعه الله فيه فيحكم على الحسن والقبيح ويميز بينهما وكذا بين الصحيح والباطل ويعمل بمقتضى الصحيح ، ويحتمل أن بعد قوله: (ونور عقل) أي: وذلك حكمه حاكم للأمر والنهي حكيم في تنويع الأحكام الخمسة وتقسيمها إلى واجب ومحرم ومندوب ومكروه ومباح ، وأناط ذلك بالعقل ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم : (رفع القلم عن ثلاثة : الصبي حتى يبلغ ، والمجنون حتى يفيق ، والنائم حتى يستيقظ) وقد خفف الإصر سبحانه وتعالى فإنه لا يكلف نفسا إلا وسعها فقد تمت حكمته وعمت رحمته فله الحمد والثناء .

قوله: (**أطاع في الإدبار كالإقبال**) أي: أشار به إلى ما في الحديث وهو (أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل ، فأقبل ، ثم قال له: أدبر فأدبر ، ثم قال الله عز وجل : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم علي منك ، بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب) لأن الإنسان إن أطاع مولاه تعالى أطاعه بالعقل في إقباله على الطاعات وإدباره عن المحرمات بحسب الكسب القائل به أئمة السنة خلافا للقدرية ، والجبرية القائلين بعدم الكسب الذي هو الاختيار ، لأنهم يطلقون أن العبد مجبور على ما يفعله من المخالفات وفي ذلك تعطيل للشريعة المطهرة ، وقد قيل : إن عقيدة الجبرية أسلم من عقيدة القدرية الذين يقولون بخلق الأفعال ، لأنهم أقرب إلى الصواب الموافق للآيات والأخبار .

ثم قال رضي الله عنه :

فحَمَـــلَ التكليـــفَ والأمانـــهْ   وقـــد أباهــا غـــيرُه اســتكانهْ

فــأعلى بهــا فــوقَ الــورى مكانــهْ   إذ كــان أهــلاً للخطــابِ العــالي

قوله : (**فحمل التكليف والأمانه**) أي: لما كان متأهلا بتأهيل الله له وعنايته به حمله تعالى التكليف بامتثال المأمورات واجتناب المنهيات ، وهي الأمانة التي استودعه إياها فمن حفظها حفظ ومن ضيعها أُضيع ، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه وكان راكبا ردف النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : (يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ...) الحديث . والمراد بذلك وبحفظ الله أدى هذه الأمانة على مراد الله مما ندب إليه من مراعاة أمور الدين الثلاثة كما مر .

قوله: (**أباها غيره استكانه**) أي: أبتها السموات والأرض ومن فيهما استكانةً ، أي: خضوعا وتمسكنا وإظهارا للضعف على حمل هذه الأمانة كما قال تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (الأحزاب/ ٧٢) ووصفه تعالى بالظلم والجهل لكونه أقدم على قبولها بغير تقدم اعتذار ولا طلب تخفيف ، وذلك يدل على ظلمه وجهله وكأن إقدامه عليه ، أي: القبول دليل على علو همته ورفع منزلته وشرفه ، إذ لو عرض بعض الملوك على بعض جنده ولاية فهو يسر باختصاصه بها ويحتمل مشاقها طلبا لرضى الملك .

قوله: (**فأعلى بها فوق الورى مكانه**) أعلى بها ، أي: ارتفع بها فوق الورى ، أي: الخلق مكانه ، أي: منزله عند الله تعالى ، وقد كان في سابق علمه تعالى أنه الضمين بأداء ما حمل فكانت لباس زينة بها يتجمل ، ولذا جمع له في ركعتين عبادات الملائكة والله ذو الفضل العظيم.

قوله: (**إذ كان أهلا للخطاب العالي**) إذ كان بفضل الله وتركيبه للعقل فيه أهلا لخطاب الحق تعالى وفهمه وتلقيه ، والمراد بالخطاب التكليف المار بيانه ، ولا شك أنه عالي ، أي: الخطاب شريف لأنه من جناب الحضرة العلية والإرادة إلاهية ، قال الشيخ علي بن أبي

بكر السكران باعلوي في كتابه ((معراج الهداية)) : اعلم أن الجوهر الإنساني والدر النفيس الرباني الذي هو محل أسرار الأمانة ومنبع الزهد والورع وجمال الصيانة وكمال الوصف بكل خير وديانة وكماله عند خلوصه وصفائه ونقائه لا يزال حنينه وشوقه وعشقه بحقيقة فطرته وصفاء سر جوهريته إلى ذلك العالم العلوي والأوج الأحمى القدسي ، الذي هو أصله وموطنه ومعدنه ومنبعه ، ثم ذكر ترقيه من أسفل سافلين إلى أعلى عليين إن تصفى بالرياضات والمعاملات الإحسانية أو هويه إلى أسفل سافلين إن ضيع الأمانه وعمل فيها بالخيانة . ثم قال رضي الله عنه :

وإن يكن في الجسمِ كالبهيمهْ ... فإن فيه درةً يتيمهْ

لطيفةً عُلْويةً عظيمهْ ... من عالم الأمر من الجلالِ

قوله : (**وإن يكن في الجسم كالبهيمة**) أي: وإن يكن الإنسان كالبهيمة في تركيبه من لحم وعظم وغضاريف وعروق خفية وظاهرة وشرايين فهو في ذلك كالبهيمة.

قوله: (**فإن فيه درة يتيمة**) أي: فإن الإنسان فيه درة يتيمة وهي العقل ، لأنه لا نظير له كما أن الدرة اليتيمة في المثل السائر التي لا نظير لها .

قوله: (**لطيفة علوية عظيمة**) أي: أن العقل كالروح لطيفة علوية لكونها من عالم الأمر ، ووصفها بالعظم لأنها من غرست فيه وأطاعها بامتثال الأمر والنهي قادته إلى كل خير وفاز بخيرات الدنيا والآخرة ، وورد (أن الله لما خلق العقل قال له : أقبل ، فأقبل ، ثم قال له: أدبر ، فأدبر) وضده الجهل ، واختلف علماء الحكمة : هل العقل في الدماغ أو القلب ؟ فجمع بعضهم بين الاختلاف فقال : إنه في القلب وله اتصال بالدماغ أوِ عكسه ، إذ غالب ما نورده في هذه الجمل لا نثبته عن مراجعة بل اتكالا على الحفظ وهو - كما قيل - خَوّان .

قوله: (**من عالم الأمر من الجلال**) أي: من عالم الأمر ، كما مر في أبيات الشيخ الحبيب عبد الله الحداد باعلوي ، لا من عالم الصور ، وذكرت في كتاب ((الحدائق)) طرفا يسيرا من معنى النفس والقلب والروح والعقل ، وأن معنى القلب أنه لطيفة ربانية من عالم

الروحاني وهو حقيقة الإنسان ، ومعنى الروح أنه لطيفه ربانية عالمة مدركة من الإنسان وهي في العين بصر وفي الأذن سمع وفي اللسان ذوق وفي الأنف شم وفي الجلد لمس إلى آخر ما في الكتاب المذكور والله أعلم . وقال العلامة المناوي : عالم الأمر عند أهل الحق ما وجد عن الحق من غير سبب. ثم قال رضي الله عنه :

سرٌّ شريفٌ باهرٌ رباني وجوهرٌ مقدَّسٌ نُوراني

معروفةٌ عند ذوي العرفانِ من غير تكييفٍ ولا مثالِ

قوله (**سر شريف باهر رباني**) أي: أن العقل المشار إليه سر من أسرار الله لا يحاط بحقيقته ولذلك كان شريفا لتميز الإنسان به عن سائر الحيوان باهر ، أي : يبهر العقول لنسبته إلى حضرة الربوبية التي لا تكيف ولا توصف ولا تعرف .

قوله: (**وجوهر مقدس نوراني**) أي: الجوهر الجزء الذي لا يتجزأ لأنه ليس مؤلفا من أجسام ولا من أعراض ولا من جواهر متفرقة ، بل هو كما قال : مقدس ، أي: منزه عن أن يشبه بصورة أو جسم أو عرض بل هو أمر نوراني مما اختص الله تعالى بعلمه .

قوله: (**معروفة عند ذوي العرفان**) أي: هذه اللطيفة معروفة عند ذوي العرفان ، أي: أهل المعرفة بالله حسبما أطلعهم الله على ذلك .

قوله: (**من غير تكييف ولا مثال**) أي: أن هذه اللطيفة معروفة لدى من ذكر من غير تكييف لها ولا مثال يخرجها من الإبهام إلى التمييز لما مر من شأنها ، ولا يليق لجلال عظمها إلا وكول معرفتها إلى خالقها ومن أطلعه الله على أسرارها من العارفين بالله تعالى .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

فَهْي محلُّ الفضلِ في الإنسانِ ومنبعُ الأسرارِ والمعاني

ومطلعُ الأنوار والبيانِ ومَنزِلُ التنزيلِ والإنزالِ

قوله : (**فهي محل الفضل في الإنسان**) أي: فهي ، أي: لطيفة العقل والروح التي فضل بها الإنسان على غيره لكونها محل السر المودع فيها الشاهد بخاصيتها .

قوله: (**ومنبع الأسرار والمعاني**) أي: فهي التي تجري من منبعها الأسرار وتتنوع المعاني لا سيما في الآيات البينات والمثاني ، وقد يفهم العارف من الآية الواحدة أو الكلمة معان جمة على حسب تفاوت ذهنه ومزيد معرفته .

قوله: (**ومطلع الأنوار والبيان**) أي: أن النفس الزكية إذا صفت وتحلت بالأخلاق المحمدية كانت مطلعا للأنوار القدسية والبيان للأمور الشهادية الغيبية .

قوله: (**ومنزل التنزيل والإنزال**) أي: ومحل التنزل للفيوض الرحموتية والإنزال، والمراد بالتنزيل والإنزال : الإلهام الذي هو للأولياء كالوحي للأنبياء ، فيعمل الولي في تصرفاته بحسب ذلك الإلهام ليوافق الظاهر للباطن وعكسه .

ثم قال رضي الله عنه :

كانت هدىً في عالم الأرواحِ	**فابتُلِيَتْ في قالبِ الأشباحِ**
بحالَيِ الإفسادِ والإصلاحِ	**وجُنْدَيِ الإرشادِ والإضلالِ**

قوله : (**كانت هدى في عالم الأرواح**) أي: كانت لطيفة العبد هدى ، أي: محض نور يهتدي في عالم الأرواح ، أي: عالم الملكوت المجردة عن الأجسام غير محدودة ولا محصورة ولا مقيدة بل مطلقة عالٍ شأنها رفيعٌ مكانها .

قوله: (**فابتليت في قالب الأشباح**) فابتليت بقيدها وحصرها وحبسها في عالم الأشباح الكثيف ، كما مر في أبيات الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد ، وهي قوله :

يا أيها الروح هل ترضى مجاورة	على الدوام لهذا المظلم الكدر
فأين كنت ولا جسم تساكنه ؟	ألست في حضرات القدس فادكر ؟
تأوي مع الملأ الأعلى وتكرع من	حياض أنس كما تجني من الثمر
حتى جعلت بأمر الله في قفص	مخلوق غرض التغيير والكدر[1]

إلى آخرها ..

---

(١) تقدمت الملاحظة على هذا البيت صفحة (٥٥) .

قوله: (**بحالي الإفساد والإصلاح**) فابتلاها بإيقاعها بين الأضداد وهي الإفساد والإصلاح والضلال والرشاد والطاعة والعناد ، فإن مالت إلى أحدهما كانت من حزبه فميلها إلى الصلاح يؤذن لها بالفوز والنجاة والفلاح وميلها إلى الفساد وحزب الأشرار يؤذن لها بالوقوع في الدنيا بالعار وفي الآخرة بالنار .

قوله: (**وجندي الإرشاد والإضلال**) فما غلب عليها منهما كانت في طوعه وأمره ووسمت بخيره أو شره ، والأمر في ذلك أن اللاحقة تتبع السابقة كما في الحديث : (إن الإنسان إذا بلغ حد نفخ الروح كتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد) الحديث ثم قال رضي الله عنه:

وصـــارَ بعــدَ الــنَّفخِ والتركيــبِ ... وحالُهـــا في كثـــرةِ التقليـــبِ

كريشـــةٍ في الـــرِّيحِ في الكثيـــبِ ... تَضْرِبُهـــا خـــواطرُ الآمـــالِ

قوله : (**وصار بعد النفخ والتركيب**) أي: صار هذا القلب والروح التي تكون تارة من عالم الملك وتارة من عالم الملكوت والتركيب ، أي: تركيبه في هذا القلب والجسم .

قوله: (**وحالها في كثرة التقليب**) أي: أن القلب يتقلب من حال إلى حال ومن طور إلى طور ، وقد مثلوا به كالقدر في غليانها وكالريشه الفلاة تقلبها الريح كما قال (**كريشة في الريح في الكثيب**) تضر بها خواطر الآمال مثل تقلب القلب الذي مادته وحياته الروح يتقلب بالخواطر التي ترد عليه وهي أي: الخواطر رباني وملكي ونفساني وشيطاني فالوارد من جناب الرب والملك لا يأمر إلا بالخير والذي من جهة النفس والشيطان لا يأمر إلا بالشر إلا من زكت نفسه وأسلم شيطانه بحكم الوراثة النبويه فهما لا يأمران إلا بالخير ولكن هذا المقام لا يقع إلا بعد الاجتهاد التام حتى ينتهي صاحبه إلى مقام الفناء وفناء الفناء ، وقد مثل الإمام الغزالي رضي الله عنه في ((الأربعين)) في الأصل السادس في الذكر وفضليته للفناء وفناء الفنا والذهاب في الله تعالى بالكلية حتى لا يبقى في القلب شعور ولا ذكر لشيء إلا شهود الحق سبحانه وتعالى واستغراقه فيه ، بحيث إنه لا يشهد الفناء من

نفسه فإن شهده كان ذلك نقصانا والتفاتا إلى غير المذكور ، وفيه بحث طويل نافع فلينظر منه . ثم قال رضي الله عنه :

وعادَ بعدَ المزْجِ للمزاجِ والخلْطِ للأخلاطِ والأمشاجِ

إما لنقصٍ شانَ في اعوجاجِ أو في نظامِ زانَ في كمالِ

قوله: (**وعاد بعد المزج للمزاج**) المراد بالمزاج هنا: الطبيعة التي وجد الإنسان عليها.

قوله: (**والخلط للأخلاط والأمشاج**) المراد بالأخلاط : انقسام الطبيعة إلى حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة ، والأمشاج ، أي: أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين ، وقيل: الأمشاج ، أي: أطوار وألوان يريد أنها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم خلقا آخر . قاله المفسرون .

قوله: (**إما لنقص شان في اعوجاج**) أي: أن الإنسان لنقصه بتسلط الشهوات عليه صار في أحواله للاعوجاج ، أي: عن طريق الاستقامة .

قوله: (**أو في نظام زان في كمال**) أي: قد يكون في نظامه وتمام استقامته زان عن الشين والنقص الذي هو مطبوع عليه فيصير بعد اعوجاجه في كمال ، أي: ذي كمال فقد يلتحق بأفق الملائكة لا شهوة له ولا فترة بل يكون دائم الإقبال والتوجه .

ثم قال رضي الله عنه :

لتظهرَ الأحكامُ من حكيمِ في الشكرِ أو في الكفرِ من نعيمِ

والخُلدِ في الجنانِ والجحيمِ بالفضلِ أو بالعدلِ في المآلِ

قوله (**لتظهر الأحكام من حكيم**) أي: لتظهر - بالتاء المفتوحة - الأحكام - بفتح الهمزة - أي: أحكام الشرع الخمسة المتقدم ذكرها ، لأنها مناط التكليف ومتعلق الطاعة والمعصية ليظهر سبحانه وتعالى فضله على المطيعين وعدله على العاصين والمخالفين ، ويحتمل وجها آخر - وهو بالياء وضمها - والإحكام - بكسر الهمزة - إتقان الأشياء وظهور الحكمة فيها من الحكيم سبحانه وتعالى قال تعالى ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ (النمل/٨٨) الآية ، وذلك أيضاً ليظهر بالحكمة بالفضل والعدل .

قوله: (**في الشكر أو في الكفر من نعيم**) أي: لتظهر الحكمةُ في الشكر الذي هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله ، قال بعضهم : هو محصور في اثنين قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات/ ٥٦) ، وقوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ (الطلاق/ ١٢) فهما جامعتان للعبادة والتوحيد وذلك علة الإيجاد فلا علة إلا ذلك ، فإن الله غني عن العالمين كما في الحديث القدسي (كنت كنزا لا أعرف فخلقت الخلق لأعرف) .

قوله: (**والخلد في الجنان والجحيم**) أي: ليترتب على ذلك بالحكمة الإلهية الخلد في الجنان للمطيعين بلا انتهاء والخلد في النيران للعاصين بالكفر بلا انقضاء ، وأما العصاة من المسلمين فبقدر ما عليهم من الأوزار وقد يعفو الغفار فلا يدخل المسلم العاصي النار إلا تحلة القسم .

قوله: (**بالفضل أو بالعدل في المآل**) أي: أن المطيع يدخل الجنة بمحض جود الله وكرمه لا بعمله ، وقد سئل صلى الله عليه وسلم : (أيدخل الجنة أحد بعمله ؟ قال : لا ، قيل : ولا أنت يارسول الله ..!! قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته) وكذلك من يدخل النار بالعدل بالجزاء للكافر بكفره ، وكذا المنافق والعاصي ، وله سبحانه أن يعذب الطائع ويثيب العاصي إذ لا يجب عليه شيء لأحد ، ولكنه تعالى قد وعد الطائع بالثواب والعاصي بالعقاب ووعده حق وقوله صدق وقد يعفو عن المسلم العاصي كما مر .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

فإن في الجسمِ تمامَ القُوّهْ — إلى اعتلا معارج الفُتُوَّهْ

بشرطِ تقييد الهوى والشهوهْ — بالدين والعلم بكل حالِ

قوله : (**فإن في الجسم تمام القوه**) أي: فإن في الجسم تمام القوة البشرية وفيه القابلية لما يؤهله الله له من الخير والشر والنفع والضر .

قوله : (**إلى اعتلا معارج الفتوه**) أي: فيه قوة الاعتلاء إلى معارج ، أي: مدارج الفتوة وهي معالي الأمور التي يحبها الله تعالى .

قولـه : (**بشرط تقييد الهوى والشهوه**) أي: بشرط تقييد الهوى ، وهو الميل والاسترواح إلى ما لا يرضاه الله ، وكذا تقييد الشهوه التي هي من شأن الأنعام والبهائم والسوام فيمحقها بالمجاهدة حتى ترتاض وتكون طوع الإنسان فيما يريده من الطاعة والإحسان .

قوله: (**بالدين والعلم بكل حال**) وذلك التقييد ، أي: تقييد الدين الجامع للثلاثة : الإسلام والإيمان والإحسان كما مر ، وتقييده معنى اتباعه بمقتضى العلم بالتفصيل المذكور في العقائد والعبادات والأحكام بكل حال من أحواله ، وذلك أن كل زمان ومكان تحدث فيه حوادث فيكون مردها وعرضها على قواعد الفقه والشرع فيستنبط لها من القياس الذي هو أحد أصول الفقه ما يكون حجه في صحتها أو فسادها. ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

فأحسنُ الأخلاقِ في الإنسانِ تنالهُا من هذه المعاني

إن كَمُلَتْ بأحسنِ اتزانِ وانتظمتْ بأعدلِ اعتدالِ

قوله : (**فأحسن الأخلاق في الإنسان**) أي: فأحسن الأخلاق المحمودة في الإنسان ينالها من هذه المعاني المار ذكرها (**إن كملت**) أي: بلغت حد الكمال مع التزام الاقتصاد والوسط في الأمور كما قال رضي الله عنه : (**بأحسن اتزان**) أي: أنها موزونة وهي من أخلاق الوارثين له صلى الله عليه وسلم القائل : (خير الأمور أوساطها) وفي الحديث : (أن بعض الصحابة كان يقوم الليل ويصوم النهار ، فقال له صلى الله عليه وسلم : لكني أقوم وأنام وأصوم وأفطر) وقد قال العلماء : إن قيام كل الليل مكروه لمن يضره ، وفي صيام الدهر قال عليه الصلاة والسلام في الذي صام الدهر: (لا هو صام ولا هو أفطر) وقد قال علماء الحكمة : إن كلا طرفي قصد الأمور ذميم ، ومثال ذلك أن الكرم المحمود هو الذي بين البخل والتبذير ، والشجاعة هي التوسط بين الجبن والتهور ، وكذا يجئ ذلك في كل الأحوال والأمور من الأقوال والأفعال والأعمال ، فأوساطها الأمور المحمودة هي الموزونة

بين الإفراط والتفريط ، والوسط هو العدل والانتظام كما قال نفع الله به : (**وانتظمت بأعدل اعتدال**) والله أعلم . ثم قال رضي الله عنه :

بهـا يصـيرُ العبـد في الصـلاحِ وروحُـه في الجسـمِ بـالفلاحِ

كمثـلِ مشـكاةٍ عـلى مصـباحِ زجاجـةٍ يزينُهـا تـلالي

قوله : (**بها يصير العبد في الصلاح**) أي: بالقوةِ التي أودعت فيه بسابقة عنايته ولاحقة رعايته صارت لهذا العبد الجذبة الربانية فيصير إلى طريق الصلاح وهو القيام بحقوق الله وحقوق العباد وذلك حال الوارث الكامل الذي جمعت فيه الفضائل .

قوله : (**وروحه في الجسم بالفلاح**) أي: أنه لما اتصف بالصلاح كان روحه فائزا بالفلاح وهو غاية ما يعطى العبد في الآخرة ، إذ قال الإمام الغزالي رضي الله عنه : إن الناجي فيها ، أي: الآخرة الذي يسلم من العقوبة والآفات ، والفائز الذي يفوز هو وأهله بالسلامة وإعطاء الدرجات ، والمفلح الذي يزيد عليهما بمرتبة ثالثة وهو أن يقلد بعد نجاته وفوزه هو وأهله بولاية ومملكة وقد يجازى بذلك في الدنيا ثم في الآخرة .

قوله: (**كمثل مشكاة على مصباح**) أي: النور الذي يكسبه هذه المقامات ويرقى به في الدرجات هو نور يقذفه الله في قلبه من نوره تعالى ، أي : من هدايته كما مثل له في قوله تعـالى : ﴿ ۞اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ﴾ (النور/ ٣٥) الآية ، المراد بذلك نور الهداية الذي يضيء في باطن الإنسان ثم ينتشر إلى ظاهره ثم إلى ما أراده الله تعالى إذ معنى قوله تعالى : ﴿ ۞اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: منورهما لأن الحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالنور كما مر .

قوله: (**زجاجة يزينها تلالي**) أي: يبدو ويظهر وينتشر فضلاً عن المصباح والزجاجة المضيئة التي يظهر نورها ويتلألأ بواسطتها مستورها ، وهذه إشارات إلى أذواق وتجليات ترد على العارف ولا توصف وتحكى ، كما مر عن الإمام الغزالي في الكلام على العنين .

ثم قال رضي الله عنه :

الرشفة الخامسة :

[في بيان صفة مراحل طريق الوصول]

رَشْفَةٌ مِنْ عَذْبِ مَوْرِدِهِمْ   وَ نَسْمَةٌ مِنْ طِيْبِ مَشْهَدِهِمْ

قوله : (رشفة ...) إلى آخره من إضافة الصفة إلى الموصوف ، والمعنى : رشفة من موردهم العذب ، أي: العذب الصافي ونسمة من طيب مشهدهم أي مشهدهم الطيب عما يغبر الروائح التي تتنعم بها الأرواح . ثم قال رضي الله عنه ونفع به آمين :

فمَنْ دعتْه دعوةٌ مِن ربهِ   فأخذتْ بقلبِهِ ولبّهِ

نالَ المُنى ثم الهَنا في قُربهِ   إذ صارَ عبداً خالصَ الخصالِ

قوله : (**فمن دعته دعوة من ربه**) أي: فمن جذبته العناية الربانية ودعته إلى السعي إلى ربه ابتغاء القرب منه والزلفى لديه .

قوله: (**فأخذت بقلبه ولبه**) أي: أخذت تلك الجذبة بقلبه ولبه ، أي: سره حتى صار مستغرقا في حضرة جلاله وجماله غير ملتفت إلى سواه في طلب نواله .

قوله: (**نال المنى ثم الهنا في قربه**) أي: أُعطي ما يتمناه من مطالب الدنيا والآخره والمآرب الباطنة والظاهرة وذلك مع الهناء لأن العطاء مع الهناء يتوفر به السرور بحيث لا يشوبه الكدر ولا يصل إليه تغيير ولا يصاحبه البطر والأشر لأنهما إذا جامعاه تنقلب النعمة نقمة والنور ظلمة .

قوله: (**إذ صار عبدا خالص الخصال**) وبهذه الأحوال من العطايا الكثيرة النوال التي لا يخاف معها الزوال يصير بها العبد خالص الخصال ، أي: الأوصاف الكريمة الخالصة عن الأمور الذميمة فيكون محمود الحال عند الله وعباده ويصير مراد العبد موافقا لمراده لأنه جاوز المقامات التسع حتى بلغ مقام الأنس فلا يبقى له تردد بين تعاقب الأحوال التي مر ذكرها ، فلا تبقى له إلا وجهة واحدة وهمته في كل وقت إلى تلك الوجهة صاعدة ، ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ (النجم/ ٤٢).

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

ومن سعى بالحق في اجتهادِهِ والصدقُ في تقواه خيرُ زادِهِ

فسوف يعطى القصد من مرادِهِ بقرع بابِ الجود بابتهال

قوله : (**ومن سعى بالحق في اجتهاده**) أي: سار على الطريق القويم في اجتهاده، أي: جده في الاتباع له صلى الله عليه وسلم و (**بالصدق**) والإخلاص (**في تقواه**) التي هي امتثال الأوامر واجتناب المناهي وفي سلوكه بالاتصاف بما يعتمد الصوفية من الرياضة وغيرها ، وقوله: (**خير زاده**) اقتباس من قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ (البقرة/ ١٩٧).

قوله: (**فسوف يعطى القصد من مراده**) أي: فإنه سوف يبلغ القصد ، أي: المطلوب الدنيوي والأخروي من مراداته ومطالبه .

قوله: (**بقرع باب الجود بابتهال**) أي: فإنه إذا اجتهد وأقبل على الله بطاعته فقد قرع باب جوده الفياض فإنه لا يضيع أجر من أحسن عملا قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ ﴾ (العنكبوت/ ٦٩) وقوله: (**بابتهال**) أي: بالتضرع إليه تعالى بأن يقبل أعمالهم ويثيبه عليها بفضله وكرمه .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

وعن شرور طبعه تخلَّى ثم بنور سره تحلَّى

وذَكَر اسمَ ربه فصلَّى مستقبلا لقبلة الإقبال

قوله : (**وعن شرور طبعه تخلى**) أي: أن هذه الجذبة الإلهية من لاحظته العناية بها تخلى عن شرور طبعه من شره المخالفات وغلبة الشهوات ، ثم بعد هذا التخلي المذموم تحلى بالنور الذي إذا دخل القلب انفسح له الصدر وانشرح فتجافى عن دار الغرور وأناب إلى دار الخلود واستعد للموت قبل نزوله كما في الحديث .

قوله: (**وذكر اسم ربه فصلى**) أي: دام ذكره لربه واستغراقه فيه فصلى له صلاة مودع كما في الحديث ، ومعنى صلاة المودع أنه يظن أن صلاته التي سيصليها آخر صلاة يصليها فإنه يحضر قلبه فيها ولا يغيب عن شهود الذي صلى له .

قوله: (**مستقبلا لقبلة الإقبال**) أي: مستقبلا بوجة قلبه قبلة الإقبال عليه لا يلتفت إلى دنيا ولا إلى شيء من الأشياء معتمدا قوله تعالى ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة/ ١١٥). ثم قال رضي الله عنه :

سَلَّمَ بالإسلام من دعواهُ ... وانحلَّ في الأحكامِ عن هواهُ

فصار حقا كلَّ ما حواهُ ... للحق في الحق بلا انفصالِ

قوله : (**سلم بالإسلام من دعواه**) أي: استسلم للحق تعالى وأذعن له بقلبه ولسانه وجوارحه وخرج عن رؤية نفسه وعمله ودعاويه فلم يبق له حظ إلا فيما دعاه الحق إليه .

قوله: (**وانحل بالأحكام عن هواه**) وانحل ، أي: فارق هواه فيما حكم به عليه فليس له هوى إلا في تأدية أوامر الله .

قوله: (**فصار حقا كلَّ ما حواه**) فصار بهذا المعنى حقا في كل ما حواه ، أي: مما أسره وأظهره ، كما قال الشيخ عبد الله بن علوي الحداد في شيخه الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس : إنه قلب ورب لا نفس وهوى .

قوله: (**للحق في الحق بلا انفصال**) أي: أنه صار للحق أي: لله تعالى في الحق أي: الذي هو ضد الباطل بلا انفصال ، أي: بلا فترة ولا إعراض ولا إهمال لشيء من أوامره تعالى مع ملاحظة الخوف والرجاء الذين هما شأن العارفين. ثم قال رضي الله عنه:

وصار بالإيمان في أمانِ ... وبارتفاع الشك ذي اطمئنانِ

ونال بالإحسان في الإحسانِ ... مراتبَ الحسنى على اتصالِ

قوله : (**وصار بالإيمان في أمان**) أي: لما حاز مراتب الدين الثلاثة صار بالإيمان الذي هو تصديق القلب في أمان الله تعالى من كل مؤلم ومن الخلود في النار .

قوله: (**وبارتفاع الشك ذي اطمئنان**) ثم إنه لما صار في أعلى مراتب الإيمان ارتفعت عنه الشكوك واطمأن قلبه وراثة للخليل عليه الصلاة والسلام فيما حكاه الله عنه في قوله ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ (البقرة/ ٢٦٠) .

قوله: (**ونال بالإحسان في الإحسان**) ونال ، أي: أدرك بالإحسان الذي هو مقام المراقبة في الإحسان ، أي: إحسان أعماله وهو أنه لا يدخل في عمل إلا وهو مراقب الله تعالى فيه كأن يعبد الله مشاهدا كأنه يرى الله أو كأن الله يراه كما في حديث جبريل عليه السلام .

قوله: (**مراتب الحسنى على اتصال**) أي: ونال مراتب ، أي: درجات الحسنى التي هي خاتمة الخير عند لقائه تعالى على الاتصال ، أي: دوام إنعام الله تعالى وتفضله عليه في جميع أحواله قبل الموت وعند الموت وما بعده وقد قيل في قوله تعالى ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس/ ٢٦) أن الحسنى هي الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم ، رزقنا الله ذلك وأحبابنا والمسلمين . ثم قال رضي الله عنه :

وكلَّ حين وهو في زيادهْ ... على التقى يرقى ذُرى السعادهْ

في صالحِ الأعمالِ والعبادهْ ... ويعتلي كلَّ مقامٍ عالي

قوله (**وكل حين وهو في زيادة**) وكل حين من أوقات عمره وهو في زياده من الإيمان بربه ، إذ مذهب أهل السنه جواز زياده الإيمان بالطاعة ونقصه بالمعصية كما دلت على ذلك الآيات والأخبار وذلك مذكور في مظانه من كتب العقائد والحديث .

قوله: (**على التقى يرقى ذرى السعاده**) على التقى ، أي: في درجات الإسلام والإيمان وإلاحسان ذرى ، أي: أعالي مقامات السعادة الموجبة لمجاورته لربه في دار السرور والنعيم .

قوله: (**في صالح الأعمال والعبادة**) أي: ويرقيه ذلك سعيه في صالح الأعمال والعبادة التي يرتقى بها أيضاً إلى محض العبودية وهو أن لا يبقى له حظ ولا قصد إلا رضا مولاه .

قوله: (**ويعتلي كل مقام عالي**) ويعتلي بأعماله الحسنى كل مقام من مقامات الأولياء وعباد الله الاصفياء عالي ، أي: مرتفع شامخ وله بذلك عند الله تعالى الفخر الباذخ .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

حتـــى صـــفتْ أوصـــافُهُ القُدســـيهْ ... مِـــن الهـــوى والشـــهوةِ السُّـــفليهْ

ومـــن قيـــودِ العـــادةِ الحســـيهْ ... صـــار صـــفيَّ الحـــقِّ صـــافي البـــالِ

قوله (**حتى صفت أوصافه القدسية**) حتى صفت ، أي: تنزهت أوصافه ، أي: نعوته عن الأكدار فغاب بذلك الصفا عن الأغيار إذ صارت نفسه قدسية منزهة مطهرة عن كل ما لا يليق بالعارف في باطنه وسره وعلانيته .

قوله: (**من الهوى والشهوة السفليه**) الهوى هو الميل إلى كل ما لا يرضاه الله ولا يحبه ، والشهوة حظ النفس المائلة إلى الأمور السفلية التي هي ضد معالي الأمور المحبوبة عند الله كما ورد (إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها) وفي نسخة (**من الهوى والشهوة النفسية**) إذ النفس لها وجهان : وجه إلى العلو ، ووجه إلى السفل ، فما غلب عليها منهما صارت منسوبة إليه .

قوله: (**ومن قيود العادة الحسيه**) أي: خرج هذا العارف عن قيود العوائد الحسية التي هي من شأن النفس السفلية والهمة الردية إذ العوائد والعلائق قاطعة عن الوصول إلى المقصود ومانعة من تمام معرفة المعبود .

قوله: (**صار صفي الحق صافى البال**) أي: صار من هذه صفته صفي الحق ، أي: خالص المصافاة له في محبته ومعرفته وجميع شؤونه صافى البال عن كل ما يميل به عن هذه الطريق المثليثم قال رضي الله عنه:

ولم يـــزلْ يقـــرُبُ مِـــن مـــولاهُ ... بكـــلِّ نفـــلٍ يبتغـــي ولاهُ

حتـــى تـــولَّى كـــلَّ مـــا والاهُ ... وصـــارَ مـــولاه لـــه مُـــوالي

قوله : (**ولم يزل يقرب من مولاه**) أي: ولم يزل هذا العبد المجذوب بنفحة ربه يقرب من مولاه سيده ومالكه بنوافل العبادات ، كما قال (**بكل نفل يبتغي ولاه**) أي: أنه يتقرب

إليه بالنوافل ، أي: بالتطوعات من جميع أصناف العبادات (**يبتغي ولاه**) أي: موالاة الحق له بإحسانه إليه وتوفيقه لذلك وقبوله منه ، قال الشيخ ابن حجر في الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي : (من عادى لي وليا) وهو من تولى الله بالطاعة والتقوى فتولاه بالحفظ والنصر من الولاء وهو القرب والدنو منه ، فالولاء هنا التقريب من الله سبحانه وتعالى لتقربه إليه باتباع أوامره واجتناب نواهيه والإكثار من نوافل العبادات مع كونه لا يفتر عن ذكره ولا يرى بقلبه غيره لاستغراقه في نور معرفته فلا يرى إلا دلائل معرفته ولا يسمع إلا آياته ولا ينطق إلا بالثناء عليه ولا يتحرك إلا في طاعته وهذا هو المتقي ، قال تعالى ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (الأنفال/ ٣٤) انتهى .

وفي البيتين إشارة إلى ماورد في قوله صلى الله عليه وسلم : (وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ..) الحديث ، كما سيأتي في قوله: (**وكان مولاه له فيما خطر** ..)إلخ . ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

ونـــالَ أســـنى رتبـــةٍ وقربـــهْ ... مِـــن الهـــدى والنـــورِ والمحبـــهْ

وصـــارَ في كـــلِّ انـــتما ونِســـبهْ ... للحـــقِّ بـــالحقِّ بـــلا انتقـــالِ

قوله : (**ونال أسنى رتبة وقربه**) أي: أن هذا المجذوب إلى حضرة الله تعالى نال أسنى، أي: أعلى وأحسن وأظهر رتبة ، أي: منزلة ، وقد يعبر عن السناء بالنور ، والمراد به نور الهداية ، وقربة القربة إما من القرب أو التقرب إلى الله فيما يرضاه ، وفي الأغلب أن القربة تطلق على كل ما يقدمه العبد إلى الله من الأعمال الصالحة مع النية والإخلاص .

قوله: (**من الهدى والنور والمحبة**) من الهدى : وهو اسم جامع لموافقة الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح ، والنور المراد به : شرح الصدر للدراية المعبر عنه في الآية بالنور في قوله تعالى ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ (الزمر/ ٢٢) والحديث (إذا دخل النور القلب انشرح له وانفسح) إلى آخره ، وقد يراد بالنور الكشف للمعارف الإلهية و الأسرار الربانية .

وقوله (**المحبة**) أي: محبة الله للعبد السابقة على محبة العبد لربه ، والمراد بها في حقه تعالى ميل روحاني يجده العبد في نفسه فيحيا به حياة طيبة ويلقى ربه به فرحا مسرورا ، وقد فسرها الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به في ((النصائح)) بعبارة أجود وأحسن فلينظر منها .

قوله: (**وصار في كل انتما ونسبة**) أي: صار هذا العبد العارف بربه منسوبا إليه ومنتميا إليه تعالى فيقال : فلان عبدالله المحض وعبدالله حقا وولي الله وحبيب الله كما قال (**ونسبة**) أي: أنه منتسب في جميع أحواله إلى ربه لا إلى نفسه ولا إلى حوله وقوته ، ومن هذا الوجه ما يظهر من كرامات الأولياء الخارقة للعادة حقيقتها ونسبتها أنها واقعة للولي بإذن الله تعالى تشريفا له وتعريفا لمحبته تعالى له وتمييزه واختصاصه على غيره من سائر الأنام وأنه من المجاورين له في دار السلام .

قوله: (**للحق بالحق بلا انتقال**) أي: أنه صار منتميا للحق بواسطة عمله ومعاملته له بالحق الذي هو ضد الخطأ ، أي: لكونه متحققا بالشريعة وسالكا للطريقة وغارقا في بحر الحقيقه بلا انتقال ، أي: لا بالسعي الظاهر الذي هو سير الأقدام وحركات الجوارح بل سير القلب إليه وتنقلاته بالمعارج التي ترد على الأولياء بحسب استعدادهم وقوابلهم ومقاماتهم معروفة لديهم التي أعلاها مقام الصديقين التي ما فوقها إلا درجة النبوة كما مرثم قال رضي الله عنه:

وكان مولاه له فيما خطرْ ... يداً ورجلاً ثم سمعاً وبصرْ

إنِ استعاذَ عاذَه مِنْ كلِّ شرّ ... وإن دعا أجابَهُ في الحالِ

قوله : (**وكان مولاه له فيما خطر** ...) إلى آخره أشار بذلك إلى الحديث الوارد القدسي عن الله تعالى ، وهو الوارد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم : (إن الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله

التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه) رواه البخاري ، هذا الحديث يشمل معنى ما في هذا البيت الذي هو مراد الناظم ، وقد بسط الأئمة الكلام على معانيه ، وحاصله : أن الولي لله القائم بطاعته تعالى وبتوفيقه ورحمته أن من والاه تولى الله رعايته وحفظه ومن عاداه وآذاه أهلكه وعذبه بنار نقمته وقطيعته عنه وعن لطفه ورحمته .

وقوله (فإذا أحببته كنت سمعه ...) إلى آخره ، قال بعضهم : والمعنى كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع وبصره في النظر ويده في البطش ورجله في المشي ، وقال بعضهم أيضاً : ويجوز أن يكون المعنى كنت معينا له في الحواس المذكورة ، وقيل غير ذلك . وقوله (ولئن سألني لأعطينه) أي: ما سأل ، ولئن استعاذني - بالياء والنون - أي: طلب مني أن أعيذه مما يخاف لأعيذنه ، والمراد أنه تعالى يتولى وليه في جميع أحواله بحسن تدبيره ويكلؤه بحسن رعايته كلاءة الوليد .

فائدة : قال بعضهم : إذا أراد الله تعالى أن يوالي عبده فتح عليه باب ذكره ، فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ، ثم رفعه إلى مجالس الأنس ، ثم أجلسه على كرسي التوحيد ، ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار القرار ، وكشف له الجلال والعظمة ، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة خرج من حسه ودعاوي نفسه ويحصل حينئذ في مقام العلم بالله فلا يتعلم من الخلق بل يتعلم من الله ولتجليه لقلبه فيسمع مالم يسمع ويفهم مالم يفهم .

ثم قال رضي الله عنه :

لما بألطاف الندى تعلَّقْ ثم بحق الاقتدا تخلَّقْ

ثم بأوصاف الهدى تحقَّقْ زها بلُبْس خِلْعةِ الكمالِ

قوله : (**لما بألطاف الندى تعلق**) أي: أن هذا العبد المحبوب لما اكتنفته ألطاف الحق وعنايته تعالى بالندى ، أي: العطا تعلق ، أي: تمسك فأناب إليه تعالى وعمل لما دعاه إليه وندبه له .

قوله: (**ثم بحق الاقتداء تخلق**) ثم بحق الاقتداء ، أي: الاتساع في العبادات والعادات تخلق ، أي: اتصف بذلك فصار وارثا لمتبوعهم صلى الله عليه وسلم .

قوله: (**ثم بأوصاف الهدى تحقق**) أي: أنه لما تخلق بالاتباع حصل له نور الهداية وتحقق بالدراية ، وهي المعارف الربانية التي إذا تجلت على قلب العبد بلبس خلعة الكمال وهي الولاية التي هي سر من أسرار الله فيصير ذلك المتصف بها مظهرا من مظاهر الحق تعالى إذا رؤي ذكر الله تعالى فيصير حينئذ مغناطيس القلوب تنجذب بواسطته إلى ربه وكالإكسير الذي يقلب الأعيان من الحالة الردية الوضيعة إلى الحالة العلية الرفيعة . ثم قال رضي الله عنه :

لما استوى للحقِّ باستعدادِهِ وانحلّ بالتجريد من قيادِهِ

حتى فَني عَنْه وعن مُرادِهِ أَهَّلَ للتقريب والإيصالِ

قوله : (**لما استوى للحق باستعداده**) أي: أن هذا الرجل الكامل والولي الواصل لما استوى للحق أي: لقبول الحق باستعداده لموافقته تعالى لمراده .

قوله: (**وانحل بالتجريد من قياده**) أي: خرج من قياد نفسه ، قال بعض العارفين : علامة محبة الله تعالى بغض المرء نفسه لأنها مانعة له من المحبوب فإذا وافقته نفسه في المحبة أحبها لا لأنها نفسه بل لأنها تحب محبوبه ، اللهم تولنا في جميع أمورنا .

قوله: (**حتى فني عنه وعن مراده**) أي: أن هذا الشخص فني عن مرادات نفسه كما مر وبقي منفردا مقيِّدا نفسه على مرادات الحق فلم يبق له حظ ولا ميل إلى الاغراض الدنياويه والشهوات النفسانية .

قوله: (**أهل للتقريب والإيصال**) أي: هذا العارف لما فرغ من إصلاح نفسه واستقام على الطريقه المثلى فأهل لإرشاد الطالبين وتربية المريدين وإيصالهم إلى رب العالمين متصفا في ذلك للوراثة النبويه والخلافه القربية . ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

فظهرت عن حالهِ الصفاتُ وبهرتْ في بالهِ الآياتُ

وذاق ما تروي له الرواةُ وشاهد التفصيل في الإجمالِ

قوله : (**فظهرت عن حاله الصفات**) أي: فظهرت عن حاله وهو ما يتعاقب عليه من الواردات الإلهية والمعارف القلبية والصفات هي صفات الحق من التجلي والرحمة .

قوله: (**وبهرت في باله الآيات**) أي: هالته تلك الآيات التي هي من مظاهر تجلي الحق فهي تبهر من صدمته في أول وهلة ، ثم إذا تمكن من علم اليقين وعينه وحقه لا يهوله شيء ، وقد كان عليه الصلاة والسلام لم يأته جبريل الملك في صورته التي خلقه الله عليها إلا مرتين فهاله ذلك وغشي عليه لما سد عليه الأفق .

قوله: (**وذاق ما تروي له الرواة**) أي: وذاق طعم الإيمان بالذي روته له الرواة العاملين فعمل بمقتضى العلم فذاق ، قال عليه الصلاة والسلام : (من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم) .

قوله: (**وشاهد التفصيل في الإجمال**) أي: وشاهد بعين قلبه تفصيل ما أجمله الذكر الحكيم ، وكذا ما ورد في السنة مجملا فصار مفرعا في ما ورد بالإجمال مفذلكاً للأعداد التي ترد في الأقوال والأفعال . ثم قال رضي الله عنه :

حتى رأى حقائقَ الوجودِ وسرَّها بالكشف والشهودِ

وفيضَها من عين معنى الجودِ بعزةِ الباري والجمالِ

قوله : (**حتى رأى حقائق الوجود**) أي: اتضحت له حقائق الوجود أنها لولا قيامها بموجدها لكانت عدما محضا إذ لا وجود لها إلا بإيجاده تعالى وإظهاره لها .

قوله: (**وسرها بالكشف والشهود**) أي: وظهر له سرها بالكشف الذي هو مشاهدة سر العيان والشهود وظاهره وجسمه في عالم الملك وقلبه وسره في عالم الملكوت .

قوله: (**وفيضها من عين معنى الجود**) أي: وفيض تلك الأسرار والأنوار التي ظهرت وبهرت من رآها إذ منبعها من عين الجود التي لا تكيف ولا تعرف بألسن الخطاب ولا توصف لأنها من كلمات الله المجيد التي لا تفنى ولا تبيد .

قوله: (**بعزة الباري والجمال**) أي: بقهر الباري ، أي: الخالق المصور أو الجمال الذي هو العطف والرحمة واللطف في الظاهر والسر .

ثم قال رضي الله عنه :

فذاق معنى عجزهِ في نفسهِ وفقرَه في عقلهِ وحسهِ

وأن عـــــزَّ ربـــــه في قُدسِـــــهِ إليـــه كـــلَّ الفضـــلِ والكـــمالِ

قوله : (**فذاق معنى عجزه في نفسه**) أي: أن العارف ليس له من الأمر شيء ولا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ذاق وعرف أنه عبد عاجز متحقق بقوله : (إن من عرف نفسه عرف ربه) أي: عرف نفسه بالعجز والقصور وربه بالكمال والتفرد بكل مقدور .

قوله: (**وفقره في عقله وحسه**) أي: وشهد فقره في قصور عقله وحسه ، أي: وشهد قصوره في تدبير عقله للأحوال الدينية وقصور حسه في الأحوال الدنيوية ، كما قرر ذلك الشيخ محمد بن عبد الله العيدروس باعلوي في كتابه ((إيضاح أسرار علوم المقربين)) أن العقل ما كان يدبر به الإنسان الوظائف والأعمال والأوصاف الدينية والحس ما يدبر به أمور الدنيا . نعم ما يدبر به أمور الدنيا لأجل الدين فهو من الدين .

قوله: (**وأن عز ربه في قدسه**) أي: أن هذا العارف الواصل يعلم أن عزة الله تعالى في قدسه أي: تنزيهه عن النقائص واتصافه بالكمالات التي لا يشاركه فيها أحد من خلقه وإن عظم وجل .

قوله: (**إليه كل الفضل والكمال**) أي: فيضيف هذا العارف إليه كل الفضل والكمال مما هو أهل له ، ومتصف به ويحتمل أن الحق يضيف إلى عبده المحبوب عنده الفضل ، أي: الزيادة على غيره والكمال الذي يليق بحاله من القيام بالفرائض والنوافل فيفيض عليه الهبات على قدر التلقي والأهلية في القوابل . ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

وكـــلَّ سر قـــد سرى في الكـــونِ عنـــد ظهـــور الأمـــر والبطـــونِ

نـــور تجـــلي الحـــق في الشـــؤونِ وأنّ كـــلَّ الكـــونِ كالخيـــالِ

قوله : (**وكل سر قد سرى في الكون**) أي: ومن شهود هذا العارف أنه يرى كل سر قد سرى في الكون ، أي: في العوالم العلوية والسفلية فيتحقق بما قيل :

أيـــا عجبـــا كيـــف يـــعصى الإلـــه أم كيـــف يجحـــده الجاحـــدُ

وفي كـــل شيء لـــه آيـــة تـــدل عـــلى أنـــه واحـــدُ

قوله : (**عند ظهور الأمر والبطون**) أي: أنه يستوي عند هذا الواصل أمر الظهور والبطون كما قال الشيخ عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به :

على بساط العلم والعباده والغيب عندي صار كالشهادهْ
هذا لعمري منتهى السعاده سبحان ربي من رجاه ما خابْ

قوله (**نور تجلي الحق في الشؤون**) أي: فيظهر له نور الحق ، أي: إيجاده إياها في كل شأن معنوي ومحسوس مما يوافق أو يخالف النفوس .

قوله: (**وأن كل الكون كالخيال**) ويشهد أيضاً أن كل الأكوان الموجودة كالخيال لأنه ليس لها إلا وجود نسبي فحقيقتها كالخيال لكون العارف الفاني بربه لا يراها ولا ينظر إليها لا بعين التعظيم ولا بعين الاستصغار لكونه غائبا عنها بالكلية فهي لديه كالخيال بل كالعدم . ثم قال رضي الله عنه :

فحقَّقَ التفريقَ في التفريدِ ودقَّقَ التحقيقَ في التوحيدِ
في حضرة إلاطلاق والتقييدِ في الذات والأوصاف والأفعالِ

قوله : (**فحقق التفريق في التفريد**) أي: هذا العبد المجذوب إلى ربه حقق التفريق في التفريد لما وصل إلى مقام البقاء وحقق التفريق في التفريد ، أي: شهد المعاملة في مقام الشريعة والطريقة فيسمى ذلك عندهم بالفرق ، وأما الجمع فصاحبه يفنى عن كل شيء ، قال الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد فيما نقله عنه بعض أصحابه لما ذكر حالتي الفرق والجمع قال : إن العارفين يميلون ويستروحون إلى حالة الجمع والله ينقلهم عنها لطفا بهم لئلا تتلاشى أجسامهم وتفنى عظامهم ، فقد حكي أن بعض العارفين بمصر لما وردت عليه حالة الجمع مكث سبع سنين واقفا شاخصا ببصره إلى السماء لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ، وقد مرت الإشارة إلى هذه الحكاية وغيرها من هذا القبيل .

قوله: (**ودقق التحقيق في التوحيد**) أي: أنه فني عن الوسائط فلا يرى إلا فعل الله تعالى وهذا يسمى بمقام الفناء وقد يصل إلى فناء الفناء وهو أن يفنى حتى عن نفسه كما مر.

قوله: (**في حضرة الإطلاق والتقييد**) أي: أنه إذا وصل العارف إلى حضرة الإطلاق وهي حالة الفناء والتقييد وهي حالة البقاء ، وقد يراد بالإطلاق أن العارف قد يؤذن له في التصرف المطلق حتى أنه يتصرف بكلمة كن ، ولكن لا يكون له حقيقة ذلك ، كما قيل : إن القطب الخليفة لا يصل إلى العلم بالتفاصيل بل يكون علمه بالأشياء على الإجمال وإذا توجه إلى شيء كان ذلك من باب التفصيل ، وهو المشار إليه به من قول الناظم رضي الله عنه ، والتقييد هو ضد الإطلاق.

قوله: (**في الذات والصفات والأفعال**) أي: أن علم هذا العارف يكون مجملا في العلم بذات الحق تعالى وصفاته وأفعاله ، أما الذات فالتفصيل في وصفها مستحيل ، وأما الأوصاف فكذلك لما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : (أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك) وأما الأفعال فهي أيضاً غير معلومة لا في الأزمان ولا في الأحوال . ثم قال رضي الله عنه :

وصار بالعلم له وصولُ ... وفي فنا القربِ له حصولُ

وحبلُه بقربه موصولُ ... بأكرم الإكرام والوصالِ

قوله : (**وصار بالعلم له وصول**) أي: صار هذا العارف له بالعلم ، أي: بمعرفة الله وصول إليه وتقريب لديه ، كما قال (**وفي فنا القرب له حصول**) وأي: وفي فناء القرب المعبر عنه بالمعرفة والمحبة والأنس الذي هو ثمرة المحبة له حصول ، أي: ذلك بمحض جود الله وكرمه وعنايته السابقة واللاحقة .

قوله: (**وحبله بقربه موصول**) والمراد بالحبل السبب ، والعهد نفس الاتصال ، يقال كذا من الصفات الكريمة الحسنة حبل الله المتين الذي لا ينقطع وعروته الوثقى التي لا تنفصم .

قوله: (**بأكرم الإكرام والوصال**) أي: بأعلى وأعظم ما يكرم به الكريم ويفضل على المخصوصين بالوصال منه ، والمراد بذلك أيضاً المحبة التي تؤذن بكرامة الدنيا والآخرة والنعيم الدائم والسرور بالرضا الذي هو أعلى مراتب القرب.

ثم قال رضي الله عنه :

لا قـــولُ ذي الإلحـــاد باتحـــادِ　　　　ولا حلـــولٌ قَـــطَّ في اعتقـــادِ

فَجَـــلَّ أهـــلُ الحـــقِّ والإرشـــادِ　　　　عـــن قـــولِ أهـــلِ الزيـــغِ والضَّـــلالِ

قوله : (**لا قول ذي الإلحاد باتحاد**) أي: أن هذا القرب والاتصال الذي سلكه وقال به العارفون أرباب الكمال أنه قرب المحبة والأنس والرضى الذي يجدونه ويكون عندهم ألذ من نعيم الجنان لا يوصف بالحلول والاتحاد الذي هو قول أهل الكفر والإلحاد ، فإن الله سبحانه وتعالى عز وجل عن أن يحل في شيء أو يتحد به شيء ، وهذا مبحث طويل الذيل حققه أرباب التقديس والتنزيه له تعالى الله عما يقول الكافرون الجاحدون علوا كبيرا.

قوله: (**ولا حلول قط في اعتقاد**) سبق معنى الحلول وأنه سبحانه وتعالى منزه عنه كما هو اعتقاد أهل السنة بل وسائر المسلمين إلا الطائفة الضالة القائلة به فإنها أخطأت طريق الصواب وخالفت مذاهب أئمة الحق بظنها أن الماء هو السراب .

قوله: (**فجل أهل الحق والإرشاد**) فجل ، أي: عظم أهل الحق والإرشاد عن قول أهل الزيغ والضلال ومعنى الزيغ الميل عن الحق والضلال الغواية عنه ، ولما تكلم الشيخ ابن حجر في الحديث على قوله: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل ...) إلى آخره ، قال : ولهذا جاء في رواية (فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي) أي أنا الذي أقدرته على هذه الأفعال وخلقتها فيه فأنا الفاعل لذلك لا أنه يخلق أفعال نفسه ، أي: سواء الجزئيات والكليات خلافا لما زعمته المعتزلة من خلقه الجزئيات ، وهذا الحديث يرد عليهم ، وزعم الاتحادية والحلولية بقاء هذا الكلام على حقيقته أو أنه سبحانه وتعالى عينُ عبده أو حالٌ فيه ضلال وكفر إجماعا فاحذرهم ، فإنهم ربما لبسوا على ضعفاء العقول فاستهووهم وأضلوهم لتزييهم بزي الصوفية والصوفية يبرأون منهم فقاتلهم الله أنى يؤفكون . انتهى.

ثم قال رضي الله عنه:

فجـــلَّ وجـــهُ ربِّنـــا العظـــيمِ　　　　مـــن كـــلِّ منســـوبٍ إلى عـــديمِ

وعـــزَّ قـــدسُ وصـــفِهِ القـــديمِ   عـــنِ انفصـــالٍ فيـــه واتصـــالِ

وقوله : (**فجل وجه ربنا العظيم**) جل ، أي: تعالى وتعاظم وجه ربنا ، أي: ذاته العظيم أي: المتعاظم عن أن يشبه سواه أو يكون له نظير في رفعته وعلاه .

قوله: (**عن كل منسوب إلى عديم**) أي: عن كل ما ينسب إلى المخلوق العديم من الذوات والصفات فلا يشبه به أحد من خلقه ، وبرهان ذلك أن الحادث لا يشبه القديم والعاجز الفقير لا يشبه بالغني القدير كذا في سائر الصفات ، إلا أن أهل الحق يقولون : أنه يجوز في حق العبد أن يتصف ويتخلق بصفات الحق سبحانه وتعالى كالرحمة بالضعفاء والتكبر على المتكبرين كالعلم وغيره من الصفات إلا اسم الذات وهو لفظ الجلالة لا يكون إلا للتعلق وما يفعله العبد من الأعمال الاختيارية وهو فعل الله إلا أن العبد له اختيار سمي بالكسب ليترتب عليه الجزاء بالثواب والعقاب ، وحقيقته أنه راجع إلى ما سبق في علمه تعالى من كل ما يعمله الإنسان ، كما في حديث (أنه إذا نفخ الروح في النسمة كتب الملك عمره ورزقه وأجله وشقياً أو سعيدا) وفي الحقيقة أن ذلك سابق في علم الله تعالى على ما يكتبه الملك وعلى تخلق النسمة لأنه سبق في علم الله ما كان وما يكون ، كما قال الناظم نفع الله به : (**وعز قدس وصفه القديم**) أي: عن أن يكون مشبها لذوات أو صفات خلقه إذ لا يشبه القديم بالحادث كما مر .

قوله: (**عن انفصال فيه واتصال**) أي: وعز عن الانفصال فيه ، والمراد بالانفصال : أن يكون بينه وبين خلقه انفصال ، أي: حجاب يحجب علمه بهم أو قدرته عليهم أو إرادته فيهم بل هو الفعال لما يريد ويعلم السر وأخفى والقاهر فوق عباده والمريد فيهم الخير والشر لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ، ولا يتصل بهم اتصال حلول أو اتحاد كما مر بل بالعلم والدراية . ثم قال رضي الله عنه :

إذ لا ينـــالُ العقـــلُ كُنْـــهَ ذاتِـــهِ   أو كُنْـــهَ مـــا أوحـــاهُ مـــن صـــفاتِهِ

فلـــيسَ للعبـــدِ ســـوى إثباتِـــهِ   لكـــلِّ مـــا أُثْبِـــتَ بـــالإجلال

قوله : (**إذ لا ينال العقل كنه ذاته**) أي: أن العقل لا ينال ، أي: لا يحصل كنه ، أي: حقيقة ذاته تعالى لأنه إذا كان لا يوصف بالسوية ولا التجزي ولا التعدد ولا غير ذلك من صفات المخلوقين فكيف يصفه العبد أو يدرك حقيقته وحينئذ يقف عند قول أعلم الناس بالله : (لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) أي: لا أعلم وصف ذاتك ولا حقيقة صفاتك إلا بالتنزيه والتقديس عن أن يماثلك غيرك كما قلت : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى/ ١١) وكذا يرجع إلى قول الصديق الأكبر (العجز عن درك الإدراك إدراك) .

قوله: (**أو كنه ما أوحاه من صفاته**) أي: حقيقة ما أوحاه إلى رسله وأنبيائه من صفاته ، فإن ذلك لا يدرك حقيقته إلا بالإيمان به والتقديس بجلاله وعظمته .

قوله: (**فليس للعبد سوى إثباته**) أي: إثبات هذه الصفات بغير إحاطة ولا تفصيل لإجمالها.

قوله: (**لكل ما أثبت بالإجلال**) أي: لكل ما أثبته لنفسه وكذا كل ما أثبته أنبياءه ورسله من كل كمال من صفات الجلال والجمال . ثم قال رضي الله عنه :

بل عجزُهُ عن دَرَكِ الادراكُ وما له عن عجزِهِ انفكاكُ
وما بعز ربه اشتراكُ لمّا كساهُ قدرة الأعمالِ

قوله: (**بل عجزه عن درك الإدراك**) كما مر في النقل عن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه.

قوله: (**وماله من عجزه انفكاك**) أي: أن الإنسان العاجز القاصر ماله انفكاك عن عجزه وإن علم ما علم لأنه موصوف بالعجز في ذاته وفي صفاته وما له إلا ما علمه الله كل على قدر ما قسم له .

قوله: (**وما بعز ربه اشتراك**) أي: وما له في العز الموصوف به تعالى اشتراك ولا مثقال ذرة لأنه تعالى موصوف بالغنى والعز والقهر والعبد موصوف بالضعف والمسكنة والفقر والخصوصيات التي فضل بها من الرفعة هي على حسب العارية وقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ

ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (المنافقون/ ٨) ألحقّ تعالى له العزة والعظمة بحسب ما يليق بجلاله والرسول كذلك والمؤمنون كذلك لهم العزة بالله وبرسوله وبالإسلام .

قوله: (**لما كساه قدرة الأعمال**) أي: أن العزة الحاصلة للعبد بما كساه به الحق وجمله من القدرة على الأعمال الصالحة لأن نسبتها إليه مجاز وإلى مولاه تعالى حقيقة .

ثم قال رضي الله عنه :

الرشفة السادسة

[في عتاب الغافل عن العطاء الرباني وبيان حاله]

رَشْفَةٌ مِنْ طَهُوْرِ تَطْهِيْرِهِمْ   وَ نَسْمَةٌ مِنْ ظُهُوْرِ عَبِيْرِهِمْ

قوله : (**رشفة من طهور تطهيرهم**) أي: مما تطهروا به من السعي في إزالة الأخلاق الذميمة وتبديلها بالأخلاق الحميدة .

قوله: (**ونسمة من ظهور عبيرهم**) كنى بالعبير عن ما ينم ويشم من روائح أطيابهم الناشئة عن صفاء سرائرهم وطيب ضمائرهم .

ثم قال رضي الله عنه :

لكنْ بمحضِ الفضلِ مِنْ مولاهُ   أولاه بالإفضالِ ما أولاهُ

ليبلُغَ المقصودَ مِنْ وِلاهُ   ويَرتقي كلَّ مقامٍ عالي

قوله : (**لكن بمحض الفضل من مولاه**) أي: ما حصل لهذا العبد من الصفات والأعمال التي قربته من ربه ليس بحوله ولا قوته بل بفضل الله ورحمته .

قوله: (**أولاه بالإفضال ما أولاه**) فيه بيان وشرح لما مر وذلك أن ما ألبسه الحق من لباس التقوى والعمل بمقتضاها هو بمحض إنعامه تعالى .

قوله: (**ليبلغ المقصود من ولاه**) أي: أنه يبلغ مقصوده الشامل للمطالب الدنياوية والأخراوية من ولاه ، أي: من ولاية الحق له وتوليه وإعانته وحفظه عما يفسد ذلك ويحبطه ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ (يونس/٥٨) .

قوله: (**ويرتقي كل مقام عالي**) أي: أنه لما وفق للأعمال المثمرة للأحوال يرتقي بذلك إلى كل مقام عال من العلوم والمعارف بمحض الجود والنوال .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

يا عجباً كيف نأى عن ذكرِهْ   حتى سها عن حقِّهِ وشكرِهْ

ولم يقيِّدْ أمرَه بأمرِهْ   ومالَ في الجهلِ بلا احتفالِ

قوله : (**ياعجبا كيف نأى عن ذكره**) عاد رضي الله عنه إلى التنبيه بضد ما وفق له العاملون وجازاه عليه تعالى بما لا يخطر في بال ولا يقع في الظنون لتذكر العامل الموفق ويشكر مولاه على ما هداه لما فيه رضاه ، فأتى بصيغة التعجب عن من أعرض عن مولاه وعن ذكره وعن العمل بمقتضى نهيه وأمره ، ومعنى نأى أي: بعد بغفلته عن ذكر الله تعالى.

قوله: (**حتى سها عن حقه وشكره**) أي: أنه لغفلته بدنياه واتباع هواه لم يشكر الله على ما أعطاه من النعم التي أعظمها وأجلها نعمة الإسلام والإيمان ، وحقيقة الشكر أنه اعتقاد بالجنان ونطق باللسان وعمل بالأركان ، ويجمعه قولهم : الشكر صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله .

قوله: (**ولم يقيد أمره بأمره**) أي: ومن وصف هذا الغافل الجاهل أنه لم يقيد أموره بأوامر الله تعالى ونواهيه بل سار بغفلته في فيافي التيه وسباسب الغفلة فضل وهلك ، اللهم اهدنا من عندك وأفض علينا من فضلك وانشر علينا من رحمتك وأنزل علينا من بركاتك .

قوله: (**ومال في الجهل بلا احتفال**) أي: أن هذا الغافل لما أفرط في غفلته سعى في غمرة جهله بلا احتفال ، أي: بلا مبالاة أن تلك الحالة التي هو عليها من الرذائل وعدول عن الاتصاف بالفضائل ، وقد قيل : لو اجتمع أعداء الجاهل على أن يفعلوا به ما يفعله بنفسه من القبح والشين لم يقدروا على ذلك كما مر . ثم قال رضي الله عنه:

فصارَ في التفريطِ والإفراطِ وضاعَ في التخليط باختلاطِ

فلم يزلْ من بَعْدُ في انحطاطِ من عُلْوِهِ في أسفل الأسفالِ

قوله : (**فصار في التفريط والإفراط**) أي: أنه لما كان هذا الجاهل يخبط بجهله خبط عشواء مع غلبة الأهواء عليه والدعوى فتارة يميل إلى الإفراط وهو مجاوزة الحد في الأشياء، وتارة تميل نفسه وهواه إلى التفريط وهو القصور وعدم الاهتداء إلى جادة الحق وهو الوسط الذي هو خير الأمور كما قاله صلى الله عليه وسلم ، وقال في حق الغالي في الأمور ومثل به في السير فقال : (المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى) وقال في الذي يصوم الدهر: (لا هو صام ولا هو فطر) وقال للمرأة التي كانت تقوم الليل أو رجل : (لكنى

أقوم وأنام وأصوم وأفطر) فهذه الأحاديث تشير إلى التزام الوسط في العبادات والعادات والتحذير عن الإفراط والتفريط كما قيل ، وكلا طرفي الأمور ذميم ، وقد مثلوا لذلك بأمثلة منها أن الذي يقاتل ويلقي نفسه في المهالك يسمى متهورا والذي يتخلف عن القتال ويجبن عنه يسمى جبانا والذي يدبر الحروب ويقاتل بالمخاتلة والخداع يسمى شجاعا ومثله الذي يبذل المال في غير محله يسمى مبذرا والذي يبخل ويشح على أهله يسمى بخيلا وشحيحا والذي يصرفه في محاله التي ورد صرف المال فيها يسمى كريما ، قال تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ (الإسراء/ ٢٩) وقال تعالى ﴿ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ ﴾ (الحشر/ ٩) والآيات والأخبار في ذلك كثيرة.

قوله: (**وضاع في التخليط باختلاط**) أي: أن هذا المتصف برذيلة الجهل ضاع، أي: مضيع لأوامر الله لأن الضائع كالضال يخاف عليه التلف لوقوعه في الهلاك لأنه غير مهتد إلى سبيل النجاة والفوز والسعادة وذلك لكونه بتخليطه لجهله يقع في الاختلاط ، أي: الاشتباه في الأشياء وعدم تمييزها فلا يهتدي إلى الحسن ليعمل به ولا يعرف القبيح فيحذره ويجتنبه وتختلف عليه الأحوال .

قوله: (**فلم يزل من بعد في انحطاط**) فلم يزل في جميع أوقاته وساعات عمره في انحطاط ، أي: يزول من أعلى عليين إلى أسفل سافلين كما وصف الله تعالى الإنسان في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ﴾ (التين/ ٤) أي: أنه تعالى ركبه بأحسن ترتيب وخلق له السمع والبصر وزينه بالعقل فإن اهتدى إلى طرق الصلاح والرشد فهو الإنسان وإلا فهو كالبهيمة كما مر .

قوله: (**من علوه في أسفل الأسفال**) أي: أنه يخرج من علو إلى سفل كما مر فان أدركته العناية وأخذ بطريق الهداية بالعلم عاد إلى العلو الذي هو الرفعة عند الله تعالى ولدى عباده في الدارين كما حصل لكثير من أكابر العلماء والصوفية كما هو مذكور في تراجمهم ، وقد نقلنا من ذلك طرفا صالحا في كتاب ((حدائق الأرواح)) .

ثم قال رضي الله عنه :

مثالُــــهُ في الجهــــل في الأوهـــامِ　　كحـــائرٍ في البحــــر في الظـــلامِ

في لُجَّـــةِ الأمــــواجِ والقتـــامِ　　لا يهتــــدي في حالـــةٍ لحـــالِ

قوله : (**مثاله في الجهل في الأوهام**) أي: مثال المعرض الغافل لجهله بتجاذبه الخواطر والأوهام فهو كالحائر في بحر ظلمة كما أشارت إليه آية ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ (النور/ ٤٠) فهذا مثال جامع لأوصاف أهل الشقاوة والضلال والجهل .

قوله: (**في لجة الأمواج والقتام**) أي: مثاله أيضاً كالواقع في لجة البحر وكالواقع في ظلمة القتام فهو معرض للهلاك والتلف .

قوله: (**لا يهتدي في حالة لحال**) أي: أنه لعماه لا يهتدي في حالة من حالاته ، أي: إلى ما يرشده وينجيه ويسلمه من العطب بحال من الأحوال لأنه لا يعرف طريق النجاة التي هي الهداية إلى امتثال ما أمره الله به ونهاه عنه فهو كما مر كراكب متن عمياء وخابط خبط عشواء . ثم قال رضي الله عنه :

وحالُــــهُ في خيبــــةِ المـــآبِ　　كحـــالِ مـــن يغــــترُّ بــــالسرابِ

عنــد الظمــأ إذ خــابَ في الحســابِ　　واكتـــال فـــيها كـــال مـــن نكـــالِ

قوله (**وحاله في خيبة المآل**) أي: أن حال المذكور في خيبة المآب ، أي: المرجع إلى الله تعالى عندما يفاجئه الموت يتحقق له ظلم نفسه وشوم غفلته فيتمنى الرجعة فلا يجاب إليها فحاله أيضاً كما قال : (**كحال من يغتر بالسراب**) أي: أنه لجهله يظن أن السراب ماء فيسعى إليه فإن هلك قبل الوصول بالعطش أو شيء من المهلكات في المفازة فذاك وإن وصل إلى محل السراب لم يجده شيئا فيتحسر على سعيه إليه ويندم حيث لا ينفعه الندم كالميت على الغفلة فإنها لا تتناهى حسراته لتفريطه في حال حياته .

قوله: (**عند الظمأ إذ خاب في الحساب**) أي: أنه خاب عند حسبانه السراب ماء كما في الآية ﴿ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ﴾ (النور/ ٣٩) أي: أنه إذا لقي الله تعالى بهذه الغفلة وافاه حسابه ، أي: جازاه على ظلمه نفسه فيبوء بالحرمان والخسران الذي ليس فوقه عقوبة لسوء منقلبه إلى النار التي هي دار غضب الله لمن أعرض عن ذكره ولم يعمل لدار النعيم والثواب التي هي الجنة .

قوله: (**واكتال فيها كال من نكالِ**) أي: واكتال فيها كال ، أي: جوزي بعمله السيء نكالا دائما أبد الآباد ، كما قال الله تعالى ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ (النساء/ ١٢٣) الآية ، وفي الآية الأخرى ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ (المدثر/ ٣٨) وكما قيل : كما تدين تدان ، وقيل أيضاً : كل ما شئت فمثله تعمل واعمل ما شئت تجازى والنكال بمعنى العقوبة والعذاب على التقصير والتفريط ، أي: أن عامل السيئات والمصر عليها غير التائب يعاقب بالنكال كما مر معناه . ثم قال رضي الله عنه:

فهل له من واعظٍ في قلبِهِ	**أو ناصحٍ من عقله وصحبِهِ**
أو زاجرٍ من موته وقربِهِ	**فما له بالموت لا يبالي**

قوله : (**فهل له من واعظ في قلبه**) أي: فهل لهذا الغافل من واعظ ، أي: مذكر في قلبه أي: أنه لما أعرض عن الله واستمرت عليه الغفلة لم يكن له واعظ ولا زاجر من قلبه ينبهه على شوم غفلته وما هو فيه من المخالفات والغفلة عما يلاقيه من البينات وليس له ناصح من عقله ولا من صحبه لأنه لتلبسه بالإعراض لم يصحب إلا الأشرار فلم يكن منهم نصح له فيما يرشده ويقدم به على ربه في يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، ولو نصحه أو وعظه أحد من أهل الحق والرشد لم يقبل لأنه كما قيل : صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار قال الله تعالى ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ (الرعد/ ٣٣).

قوله : (**أو زاجر فماله بالموت لا يبالي**) أي: من موته وقربه وكذلك لعماه وكثرة ضلاله لم يكن له زاجر يتذكر به الموت وفظاعته والقبر وشناعته والنشر والحشر وما يقع من

بعدهما من الأهوال الهائلة فهو غافل عن جميع ذلك ، قال تعالى ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ (غافر/ ١٣) وهو الراجع إلى الله التائب إليه من ذنوبه وهفواته فإنه ناج وفائز لأن التوبة باب الصلح بين العبد وبين ربه فإذا تاب العبد إلى ربه توبة نصوحا رزقه فتوحا من المعرفة به والطاعة ومنوحا .

قوله: (**فما له بالموت لا يبالي**) وهذه صيغة التعجب من حال هذا الجاهل الغافل الذي لا يبالي بالموت وما بعده ولا يبالي بمصيره إما إلى خيرات ورضوان وإما إلى أن يتردى فتسعر عليه النيران ، اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار .

ثم قال رضي الله عنه ونفعنا به وبعلومه :

هَـــلّا اســـتعدّ بـــالتقى في زادِهْ وخـــافَ يـــومَ الحشرِ في ميعـــادِهْ

يـــومٌ يُحـــيرُ العبـــد في مـــرادِهْ ولا تُفيـــدُ حيلـــةُ المحتـــالِ

قوله : (**هلا استعد بالتقى في زاده**) أي: هلا كلمة تنبيه تتضمن الزجر ، استعد بالتقى في زاده ، أي: جعل التقوى والعمل بمقتضاها إجمالا وتفصيلا وجوبا في الواجب وندبا في المندوب في زاده ، أي: عمله بها وهو كما مر امتثال الأوامر واجتناب المناهي مع الخوف والخشية لله تعالى والمراقبة له في جميع الأحوال وهو مقام الإحسان الذي هو أعلى مقامات اليقين وأشرفها وأسنى درجات المتقين وألطفها .

قوله: (**وخاف يوم الحشر في ميعاده**) أي: أن هذا الجاهل هلا استيقظ واستعد لمماته وخاف يوم الحشر الذي توزن فيه الأعمال فمن ثقلت موازينه فقد أفلح ونجح ومن خفت خسر وندم على ما فرط من عدم إقباله على الأصلح .

قوله: (**يوم يحير العبد في مراده**) أي: ذلك اليوم يوم الوله والحيرة في المرادات مع أنه قد خرج العبد عن مراداته فليس له خيرة ولا يعامل بمقتضى ما يهواه بل بما قدم من خير أو شر فمن جعل زاده التقوى كان في ذلك اليوم حظه وجزاه النعيم والملك المقيم الأبدي السرمدي ومن قصر عن العمل وفرط في دينه بالتضييع والخلل جوزي بغضب الله عز وجل وكان مأواه نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة عافانا الله منها .

قوله: (**ولا تفيد حيلة المحتال**) ثم أنه في ذلك اليوم لا تفيد الحيل ولا تمر على من يعلم السر وأخفى عز وجل . ثم قال رضي الله عنه :

فليس ينجو العبدُ من رَدَاهُ إلا لخيرٍ قدّمتْ يداهُ

ففاز مَن دينُ الهدى هَدَاهُ وزادَهُ مِن صالح الأعمالِ

قوله : (**فليس ينجو العبد من رداه**) أي: أنه في ذلك اليوم لا ينجي العبد المسلم من رداه ، أي: من هلاكه إلا ما قدمت يداه من الأعمال الصالحة التي جرت على وفق دين الإسلام والهدى الذي يوفق الله له من يشاء .

قوله: (**ففاز من دين الهدى هداه**) أي: فاز من جعل الدين القويم صراطه المستقيم الذي هدى الله به النبيين والمرسلين وعباده الصالحين فيكون في دار المقامة ومحل النجاة والسلامه معه في جواره منعما فرحا مسرورا .

قوله : (**وزاده من صالح الأعمال**) أي: أن من جعل زاده صالح الأعمال فاز أيضا في تلك الدار التي هي دار الخلد والقرار فما أعظم ذلك الفوز وما أنعم تلك الكرامة في الدار التي لا يمسهم فيها نصب ولا تعب ولا حزن ولا هم بل هي دائمة السرور ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ (الزخرف/ ٧١) . ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

فليغتنمْ ذو العقل باقي عمرِهْ وليدّخرْ من يسرِهِ لعسرهْ

وليستعنْ بربه في شكرِهْ وما له من قوةٍ أو مالِ

قوله : (**فليغتنم ذو العقل باقي عمره**) أي: أن العاقل الحازم يغتنم باقي عمره إن لم يكن له اجتهاد وإقبال من أوله إلى آخره أوكان له ذلك فليحذر أن يلحقه فتور وتوانٍ في آخر عمره لأنه وقت أوان الحصاد والتحصيل فيحرص أن يأتيه الموت وهو على عمل من أعمال البر والخير بحيث إنه لو شاهد الموت وفاجأه وهو في ذلك لم ينتقل إلى عمل غيره وذلك لدخوله فيه بالنية الصالحة والإخلاص التام وإرادته به وجه الله تعالى والدار الآخره.

قوله: (**وليدخر من يسره لعسره**) أي: أن هذا العبد الموفق مأمور أن يدخر من يسره ، أي: إمكانه تقديم الأعمال الصالحة بأنواعها ليوم عسره ، أي: حاجته وفاقته في جزاء تلك الأعمال ، فانه إن خرج إلى الدار الآخرة فقيرا خسر وندم حيث لا ينفعه الندم .

قوله: (**وليستعن بربه في شكره**) أي: أنه يستعين بربه كما أنه هداه ووفقه وأعانه على العمل الصالح فيستعين به أيضاً على شكره بالحمد والثناء له ومعرفة أن ذلك بحول الله وقوته وإعانته لا بحوله وقوته ، كما قال رضي الله عنه (**وما له من قوة أو مال**) لأن العبد وما ملك لسيده فيشهد فضله عليه ويشكره تعالى كما قال تعالى ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ﴾ (النور/ ٢١) فهذا حقيقة الشكر .

ثم قال رضي الله عنه :

وليجتهدْ بجدِّه في صبرِهِ	**على الوفا بنهيه وأمرِهِ**
وليخشَ سبقَ بطشه وقهرِهِ	**أو مكرَهُ في المدِّ والإمهالِ**

قوله : (**وليجتهد بجده في صبره**) أي: وليجتهد بعزمه واجتهاده ومصاحبا في ذلك بالصبر الذي هو بشير الوصول إلى المراد فهو لا يحصل إلا ممن سبقت عنايته وتقدمت رعايته ، كما قال الله تعالى﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (النحل/ ١٢٧) إشارة إلى أن الصابر لا ينفك عن عناية الله في صبره ، كما قيل : خلق فيك وسبب إليك ، والصبر أحد المقامات للمتقين العارفين وهي التسع المذكورة في كتاب المنجيات من ((الإحياء)) ويجامعه الشكر إذ الشيخ الغزالي جعل لهما كتابا واحدا سماه (كتاب الصبر والشكر) .

قوله: (**على الوفا بنهيه وأمره**) أي: على أن يوفي القيام بما أمر به ونهى عنه وذلك جامع لأوصاف الدين وفيه قهر النفس وإلجاؤها إلى ما فيه رضى مولاها ومرتبة أولي العزم من الرسل ، قال تعالى ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ (النجم/ ٣٧) .

قوله: (**وليخش سبق بطشه وقهره**) جمع رضي الله عنه في هذا مقام الخوف الذي هو أحد المقامات التسع من المنجيات ، وله وللرجاء كتاب مستقل ، ويقال : إن الرجاء قائد

والخوف سائق ، أي: إلى الأعمال الصالحة النافعة عند الله تعالى ونيل المكارم في الدنيا والآخرة ، وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (المؤمنون/ ٥٧) ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الرحمن/ ٤٦) وقال صلى الله عليه وسلم : (أنا أعلمكم بالله وأخوفكم لله) والآيات والأخبار في ذلك كثيرة وتفصيل ذلك في كتب الأئمة الصوفية وغيرها من كتب الحديث .

قوله: (**أو مكره في المد والإمهال**) أي: وليخش هذا الجاهل مكر الله تعالى أن يأخذه الحق لتماديه في غيه ومكره وببطشه وقهره فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، فالأمن من مكر الله والإياس من رحمة الله من أكبر الكبائر الموبقات المهلكات وقد يفضي والعياذ بالله إلى الكفر الذي هو من أسباب التخليد في النار .

ثم قال رضي الله عنه :

فكيف يرضى ذو نهىً ودينِ	**بعد ظهور الحق واليقينِ**
مَيْنَ أماني الظنِّ والتخمينِ	**بل يطلُبُ المقصود باستعجالِ**

قوله : (**فكيف يرضى ذو نهى ودين**) فكيف : صيغة تعجب ، يرضى ، أي: يقنع لنفسه ذو نهى أي: عقل ودين ، أي: ذو ديانة ممن تحمل الأمانة وقام بها على الوفا والصيانة.

قوله: (**بعد ظهور الحق واليقين**) أي: بعد ما يظهر له الحق واليقين على لسان الصادق صلى الله عليه وسلم مع تصديقه له بلا شك ولا ريب بل بصدق ويقين .

قوله: (**مين أماني الظن والتخمين**) هذا جواب ما قبله من المصراعين ، أي: أنه لا يرضى المؤمن في إيمانه المين ، أي: التكذيب وأماني الظن الذي هو أكذب الحديث من وساوس النفس والشيطان ، فإن ورد عليه شيء من ذلك فليرده بما ورد من الآيات والأخبار في شأن الإسلام والإيمان وحقيقتها والعمل بمقتضاهما حتى يرتقي إلى مقام الإحسان الذي هو مقام الاستقرار والثبوت ولا يرضى لنفسه أيضا بالتخمين الذي هو الحدس والقياس بأمور ظنية وقد أتاه الخبر اليقين فلا يقنع بالشك والتخمين إلا ذو خبال في العقل وغريق في لجة الجهل .

قوله: (**بل يطلب المقصود باستعجال**) أي: أن ذا النهي والعقل لا يتراخى عن طلب المقصود من الأعمال الصالحة لأنها تفوت بالتراخي إذا عاجله الأجل قبل التدارك ، وأما من وقع في ورطة العماية وبعد عن سلوك الدراية فليتدارك نفسه بطلب معرفة ما ينجيه ويعجل بذلك قبل أن تخترمه المنية وتحيط به الرزية وهو في غمرات الجهل فينهار به إلى الدرك الأسفل مع فرعون وهامان وأبي بن خلف وأبي جهل نسأل الله السلامة من غضبه وعقابه وشر ما سبق به القلم وجرى به . ثم قال رضي الله عنه :

فذو النهى يخشى هجومَ الفَوْتِ ... فيستعدُّ زادَه للموتِ

ويضبط الأوقات بالموقوتِ ... محاسباً للنفس في الأفعالِ

قوله : (**فذو النهى يخشى هجوم الفوت**) أي: فذو النهى ، أي: العقل يخشى ، أي: يخاف هجوم الموت بغتة فيبادر بالعمل في كل وقت استعدادا للموت ، قال تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ (البقرة/ ٢٨١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما : إن هذه آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعش بعدها صلى الله عليه وسلم إلا أياما ، قيل : إحدى وعشرين يوما ، وقيل : ثلاث ساعات ، وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون ، فقال: اذكروا الموت ، أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما رجل فأحسنوا الثناء عليه ، فقال عليه الصلاة والسلام : كيف كان ذكر صاحبكم للموت ؟ قالوا : ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت. قال : صاحبكم ليس هنالك ، أي: ليس أهلا لما أثنيتم به عليه ، وقال ابن عمر رضي الله عنهما : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة ، فقال رجل : من أكيس الناس وأكرم الناس يارسول الله ؟ فقال : أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم استعدادا له ، أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة .

قوله: (**فيستعد زاده للموت**) أي: كما وردت الدلائل بذلك ومر بعضها .

قولـه: (**ويضـبط الأوقـات للموقـوت**) أي: أن المستعد للمـوت وطالـب رضى الله بالعمل يضبط أوقات عمره ليله ونـهاره بوظائف العبادات يقدم الوارد على غـيره لخاصـيته واتباع نبيه صـلى الله عليـه وسـلم ، ومـا فضـل عنـه مـن الأوقـات فيرتـب لـه عبـادات تليـق بالوقت من صلاة وتلاوة وذكر وفكر وغير ذلك مما يقربـه إلى الله تعـالى وإلى معرفتـه ، ففـي توظيف العبادات سر عظيم كما ذكر ذلك الإمام الغـزالي رضي الله عنـه في ((بدايـة الهدايـة)) ومنـه قـال : وأوقاتـك عمـرك ، وعمـرك رأس مالـك ، فـأنفق نفـائس الأوقـات في أنفـس الطاعات مع ترتيبها وتقديرها ، ولا تترك نفسك وأوقاتـك مهمـلا سـدى فتعمـل بـما اتفـق كيف اتفق ، أو تضيع الأوقات فيها لا طائل تحته ، كصرف الوقـت فـيما يعملـه النـاس ونشر الأخبار التي ترد من الأقطار ، فكل ذلك مما لا فائدة له ولا طائل تحته ، هذا معنى كلامه .

قولـه: (**محاسـبا للـنفس في الأفعـال**) أي: فتكـون أيهـا الحـريص عـلى اغتنـام صرف الوقت فيما يقربك من ربك وينفعـك في آخرتـك محاسـبا لنفسـك فـلا تـدعها تجـري إلا فـيما يهمك إن كنت حازما وساعيا في مصالحها وإلا فلا تلومن إلا نفسك. ثم قال رضي الله عنه :

والأحمـــقُ المغبـــون مـــن دسَّـــاها وَاتَّبَـــعَ اللـــذاتِ في هواهـــا

وبالأمـــاني اغـــترَّ مِـــنْ نجواهـــا وردَّ وجـــهَ الحـــقِّ بالخيـــالِ

قولـه : (**والأحمـق المغبـون مـن دسـاها**) الأحمـق : هـو فاسـد العقـل الجاهـل الغافـل المغبون في يوم يـربح فيـه العـاملون بجـزاء أعمالهـم ، قـال أهـل التفسـير (**مـن دسـاها**) أي: أغواها إغواءاً عظيما وأفسدها إفساداً مبينا وأهلكها بخبائث الاعتقادات ومساوئ الأعـمال وقبائح النيات ، وأصل دسـاها : دسسـها مـن التدسـيس ، وهـو إخفـاء الشيء ، فأبـدل مـن السين الثانية ياء ، وهو مقتبس مـن قولـه تعـالى ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّـٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ (الشمس/ ١٠) والمعنى : أخملها وأخفى محلها بالكفر والمعصية ، اللهم آت نـفسي تقواهـا وزكهـا أنـت خـير من زكاها أنت وليها ومولاها .

قولـه: (**واتَّبـع اللـذات في هواهـا**) أي: واتبـع اللـذات ، أي: الشـهوات المحرمـة أو المباحة في هواها فيما تهواه مما يخالف أوامر الله تعالى واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فهي النفس الضالة الغاوية كما سيأتي ، وإن معادها ومرجعها إلى الهاوية .

قوله: (**وبالأماني اغتر من نجواها**) أي: أن النفس الأمارة بالسوء ناجته ودعته إلى الأماني الكاذبة ، وهو يطلب الجزاء والثواب في الدار الآخرة من غير عمل لها ولا سعي في تحصيلها، قال تعالى ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ (النجم/ ٣٩-٤١) وقيل : إن الأماني أودية النوكى ، أي: الحمقى .

قوله : (**ورد وجه الحق بالخيال**) أي: أن هذا الجاهل لزيادة جهله وعماه وضـلاله رد وجه الحـق ، أي: مـاورد مـن الآيـات والأخبـار والآثـار الظـاهرة في جـزاء الأعـمال وعظـم موقعها لمن تمسك بها وأقبل على الله بالإخلاص فيها ، فرد ذلك بخياله الكاذب الـذي زينـه له الشيطان وخيلته النفس العدوة له فاسترسل في البطالات وضيع الأعمال الصالحات ، إما لشكه في ثواب الله عليها وهو الكفر ، وإما لتساهل وإهمال وهو الضياع وكل ذلك مـذموم شرعا وعقلا .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

والكـيِّسُ المفلـح مـن زكّاهـا وسـاقَها بالصـبر في تقواهـا

حتـى ابـتَلى مـا كـان مـن دعواهـا في سـائر الأخـلاق والأحـوالِ

قوله : (**والكيس المفلح من زكاها**) فـالكيس ، أي: العاقـل الـذي عقلـه مصحوب بالعلم النـافع المفلـح ، أي: النـاجي السـعيد في يـوم يلقـى الله تعـالى مـن زكاهـا ، أي: زكـى النفس وهذبها وأدبها بالآداب الشرعية وجاهدها حتى أخرجها من رذائل الأخلاق الرديـة وحلاها بالأخلاق الحميـدة المرضـية ، كـما قـال تعـالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ (الشمس/ ٩-١٠) .

قوله: (**وساقها بالصبر في تقواها**) أي: وساقها بسوط الخوف إلى ما فيه نجاتها وبالصبر الذي هو أقوى العزائم وأجدر الأسباب التي توصل إلى المقاصد والمكارم في تقواها ، أي: أن التزكية والتحلية طريقها ملازمة الصبر ومكابدة النفس على العمل بمعنى التقوى التي هي امتثال الأوامر واجتناب المناهي مع الإخلاص وطلب رضا الله تعالى في الدارين وحيازة جواره في دار البقاء والنعيم.

قوله: (**حتى ابتلى ما كان من دعواها**) أي: حتى اختبر ما كان من دعاويها الهائلة وأمانيها الكاذبة ، وحتى ابتلى ، أي: انمحق وتلاشى ما كان للنفس من الدعاوي الباطلة والأحوال الحائلة بين ما يقرب العبد إلى ربه وتشرفه بحبه .

قوله: (**في سائر الأخلاق والأحوال**) أي: بالتخلي عن جميع الأخلاق المذمومة والتحلي بالأخلاق المحمودة ، وهي مشروحة في كتب المهلكات والمنجيات من ((الإحياء)) وغيره .

وقوله : (**والأحوال**) الواردة على قلوبهم من جهه الحق تعالى جزاء للأعمال وهي الأنوار التي تشرح الصدور وتنور السرائر . ثم قال رضي الله عنه :

فإنها أَمَّارةٌ بالشر وقد تُرَى لوَّامةً بالسِّرِّ

إن عُوِّدَتْ فعلَ التقى والبرِّ به اطمأنتْ بعدُ في امتثال

قوله (**فإنها أمارة بالشر ... إلخ**) أي: أن نفس الإنسان تنقسم إلى ثلاث حالات : الأمارة بالسوء وهي أنفس العصاة والأشرار المخالفين للحق في المأمورات والمنهيات فلا يفعلون الخير ولا ينتهون عن الشر ، والنفس الثانية : اللوامة ، أي: أنها تارة تعصي وتارة تطيع فإذا عصت رجعت ولامت نفسها ، وقد قال صلى الله عليه وسلم (الندم توبة)، والثالثة : النفس المطمئنة كأنفس العلماء والأولياء فإنها لا تأمر إلا بالخير فهي السعيدة الناجية الفائزة ، وهذا معنى البيت ، وتفصيله وشرح ذلك يطول وهو محقق ومبين في كتب الأئمة العلماء العاملين والصوفية العارفين ، فلينظر طالب التفصيل فيها ويقتبس منها .

ثم قال رضي الله عنه :

وأنهـــا في خِلْقـــةِ الإنســـانِ   مَنـــزعُ كـــلِّ الإثـــم والطغيـــانِ
ومنبـــعُ الوســـواس للشـــيطانِ   في الكيـــد والتلبـــيس والإضـــلال

قوله : (**وأنها في خلقة الإنسان**) أي: وأنها ، أي: النفس في أصل خلقة الإنسان وفطرته مجبولة على الشر والميل إلى البطر ، وهو معنى قوله: (**منـزع كل الإثم والطغيان**) أي: محل الإثم وهو ارتكابها ما يؤثم صاحبها ومحل الطغيان وهو العدوان والتعاظم والمغالبة .

قوله: (**ومنبع الوسواس والشيطان**) المنبع التي يخرج منها مادة الشيء ، فالنفس منبع الوسواس الذي هو سبب الغفلة عن الله تعالى وعن ذكره وهو من الشيطان الرجيم كما ورد أنه لا يزال جاثما على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل عن الذكر وسوس .

قوله: (**في الكيد والتلبيس والإضلال**) أي: أنها أخت الشيطان وعونه على الإنسان فيما يكيد به ويلبسه من الأعمال والأحوال التي تصده عن ما فيه فلاحه ونجاحه وحسن عاقبته فتضله هي والشيطان عن طرق الهدى والصلاح وتستدرجه إلى طرق الغواية في الغدو والرواح ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته : (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) وهو جهاد النفس ، قال الشيخ عبد الله بن علوي الحداد باعلوي نفع الله به :

وخـالف الـنفس واستشـعر عـداوتها   وارفـض هواهـا ومـا تختـاره تصـب

وقال البوصيري رضي الله عنه في البردة :

وخـالف الـنفس والشـيطان واعصـهما   وإن همـا محضـاك النصـح فـاتهم

فالنفس لاتزال تعارض الحق وتنازعه ولا تذعن له تعالى بالربوبية ولها بالعبودية إلا بالمجاهدة كما مر ، قال الشيخ ابن عربي في كتابه ((رسالة القدس في مناصحة النفس)): إن الله تعالى لما خلق النفس قال لها : من أنا ، قالت هي : من أنا ، فرماها في بحر الجوع ألف

سنة ، ثم قال لها : من أنا ، فقالت : أنت الله الذي لا إله إلا أنت . فالنفس لا تزال تنكر الحق وتقر الباطل ولا تذعن ولا تقر إلا بالمجاهدة والصبر عليها كما مر . ثم قال رضي الله عنه :

فهو لها عبدُ الهوى قرينُ يمدُّها بغيها اللعينُ

وكيدُه للمهتدي يَبِينُ وشرُّه في الخيرِ باحتيالِ

قوله : (**فهو لها عبد الهوى قرين**) أي: أن عبد الهوى وهو المائل إلى كل ما يخالف الشرع قرين للنفس الأمارة لطاعته للشيطان اللعين ولهواه ونفسه في كل حال وحين لا يعش عن ذكر الرحمن فتخبطه الشيطان فمال إلى كل ما يهواه مما يوقعه في الإثم والامتهان والخلود في النيران إن كان قاده إلى الكفر عند وفاته وخاتمة العمر نعوذ بالله من ذلك ومن أن يسلك بنا تلك المسالك .

قوله: (**يمدها بغيها اللعين**) والمراد به الشيطان لأنه ملعون ، أي: بعيد عن رحمة الله تعالى (**وكيده للمهتدى يبين**) أي: أن كيد الشيطان للمهتدي بأنوار الإيمان يظهر ويبين فيحترز زمنه بل قد يغر من ضله .

قوله: (**وشره في الخير باحتيال**) أي: أن المهتدي بنور الإيمان إذا أتى إليه الشيطان بالخير في معرض الشر احتيالا فيه ليدلس عليه بذلك نيته له لم يلتفت لغروره.

ثم قال رضي الله عنه :

كم صادَ بالدنيا ذوي الألبابِ فأصبحوا في خدمةِ الترابِ

وكم سَبى الأنجاب بالأصحابِ وبالنسا والأهلِ والأطفالِ

قوله : (**كم صاد بالدنيا ذوي الألباب**) أي: كم صاد ، أي: قنص الشيطان بالدنيا التي هي أعظم الفتن ذوي الألباب ، أي: العقول لأنها تزين للإنسان وتستغرقه في جمعها فيذهب وقته في تزيين البيوت واللباس والفراش وغيرها مما يعد من زينتها فيأتيه الموت وهو غافل فيموت على غير الإسلام نعوذ بالله من ذلك ، كما ذكر هذا المعنى الحجة الغزالي رضي الله عنه ، وفي الحديث (ما تركت فيكم فتنة أضر عليكم من النساء والدنيا) .

قوله: (فأصبحوا في خدمة التراب) أي: أصبح الغافل بها في خدمة التراب الذي هو حقيقتها ، كما قال العارف بالله الشيخ عمر بن عبدالله بامخرمة نفع الله به : وكل ما كان فوق الترب عده تراب ، وفي الخبر : (أن ما جمعه الإنسان من المال عليه لا له إلا من قال هكذا وهكذا) أي: أنفقه في مراضي الله تعالى .

قوله: (وكم سبى الأنجاب بالأصحاب) سبى ، أي: قنص الأنجاب جمع نجيب وهو الفطن الحذر أي: لكن الشيطان بحبله وغروره قد يسبي بالدنيا وبأصحابها المشتغلين بها وبجمعها الحاذق اللبيب إلا من عصمه الله وحفظه من فتنة الشيطان والدنيا والنفس والهوى فهؤلاء هم الأعداء .

قوله: (وبالنسا والأهل والأطفال) أي: أن الشيطان يقتنص الإنسان بالنساء لأنهن حبائله وكذا الأهل ، أي: القرابة والأطفال، كما ورد (الولد محزنة مجبنة مبخلة) أي: أنه يحزن والديه عند تألمه وتضرره ، وإذا حضر في صف القتال جبن عن القتل خوفا على ولده عن الضياع ، والحاجة مبخلة ، أي: أن ذو العيال يبخل بالمال خوفا أنهم يحتاجون ويبتلون بالفقر . ثم قال رضي الله عنه :

فما لعبدٍ عنه مِن خلاصِ   إلا بتقوى الله والإخلاصِ

وتركِ كلِّ الإثمِ والمعاصي   والأخذِ بالدين بكلِّ حالِ

قوله : (فما لعبد عنه من خلاص) فما لعبدٍ ، وهو يجمع جنس الملائكة والبشر والجن إلا أن الأنبياء والملائكة معصومون عن إغوائه وغيه ، أي: الشيطان من خلاص ، أي: نجاة وسلامة إلا إذا اتصف بتقوى الله مع الإخلاص فيها وهو إرادة وجه الله تعالى بها ، وقد مر معناها ففيها الفخر والكرامة للإنسان لا سيما إذا صاحبتها الخشية .

قوله: (وترك كل الإثم والمعاصي) أي: اجتناب ذلك كما مر أنه من معنى التقوى فالمتصف بها يفر الشيطان من ظله، قال تعالى ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ (الحجر/ ٤٢) وهم كُمَّلُ ورثته عليه الصلاة والسلام ، فانه لما سئل : ألك شيطان ؟ قال : (نعم إلا أنه أسلم) أي: أسلم حقيقة أو أَسْلَمُ منه - بفتح الميم وضمها - .

قوله : (**والأخذ بالدين بكل حال**) أي: والأخذ بالدين ، أي: التزام أوامر الدين وهو الجامع للإسلام والإيمان وإلاحسان كما مر ، أي: بحسب ما يقتضيه حال القائم به من سابق ومقتصد وظالم لنفسه وهم متفاوتون في ذلك ، وقوله (بكل حال) أي: كل بحسب إيمانه ويقينه ، فقد نقل عن جماعة من التابعين ومن بعدهم أن منهم من يصلي الفجر بوضوء العشاء خمسين سنة وأربعين وثلاثين وخمسة عشر وغير ذلك من تحمل العبادات التي لا تطيق حملها الجبال الراسيات . ثم قال رضي الله عنه :

مراقباً في شأنِهِ لربِّهِ ... مرتقبا لفضلِهِ وقربِهِ

مراعياً لعينِ معنى قلبِهِ ... في كلِّ تقليبٍ وفي انتقالِ

قوله : (**مراقبا في شأنه لربه**) مراقبا ، أي: ملاحظا في شؤونه كلها عبادات لربه ، أي: مولاه وسيده ، وهذا هو مقام إلاحسان المفسر بقوله صلى الله عليه وسلم : (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) .

قوله: (**مرتقبا لفضله وقربه**) أي: أنه بإخلاصه في أعماله مرتقبا ، أي: مجيباً لقبولها بفضل الله ورحمته ، فالعمل سبب في القبول ، كما قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه : بك لا نصل ولابد منك ، أي: أن الإنسان لا بد له من العمل وقبوله والجزاء عليه إنما هو بفضل الله ورحمته .

وقوله : (**وقربه**) أي: مرتقبا لتقريب الله بالمحبة والمعرفة .

قوله : (**مراعيا لعين معنى قلبه**) أي: أن هذا الإنسان العامل مراعيا في معاملته لعين معنى قلبه ، أي: الذي هو موضع نظر الرب فهو سلطان الجوارح وعليه مدارها إن خيرا فخير وإن شرا فشر وقد يفضل عمل القلب عمل الجوارح الظاهر ، لقوله صلى الله عليه وسلم (نية المؤمن خير من عمله) أي: أنه إذا قصد فعل الخير أو شيء من العبادات ومنع منه لعارض كتب له وربما كان أفضل من العمل مع النيه لأنه سالم عن دواعى الرياء .

قوله: (**في كل تقليد وفي انتقال**) أي: مراعيا ومراقبا لقلبه في تقلباته وانتقالاته فلا ينتقل من حال إلى حال إلا بموافقة الشرع والاتباع لنبيه صلى الله عليه وسلم فالقلب معدن تخليص الأعمال وتصفيتها عن الأغلال . ثم قال رضي الله عنه :

مجتهداً في حفظِ سرِّ القَلْبِ ... فإنَّه إن زانَ بيتُ الرَّبِ

وحيثُ شَانَ فهو مأوى الكلبِ ... وأصلُ منشا دائهِ العضالِ

قوله : (**مجتهدا في حفظ سر القلب**) أي: أن هذا السالك بطرق الهداية مجتهد في حفظ سر القلب الذي في حفظه حفظ الدين كله فإنه إذا عمره بالذكر والفكر أنبث منه النور إلى سائر البدن ونشطت الأعضاء للعبادة ، فهو كقوله نفع الله به (**فإنه إن زان بيت الرب**) أي: موضع نظره ، وقد مر الحديث : (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن) وذلك بالعلم والدراية والهداية إلى تصحيح الأعمال وتخليصها .

قوله: (**وحيث شان فهو مأوى الكلب**) أي: أن القلب إذا شان وفسد وقسا فهو مأوى الكلب ، أي: الشيطان ، عبر عنه بالكلب لأنه مثله في الخساسة والنجاسة وإلا فالكلب لا يتضرر به الإنسان في دينه كضرره بالشيطان لأنه رأس الشرور ولا يدعو إلا إليها وإن دعى إلى غيرها فهو على وجه التلبيس .

قوله: (**وأصل منشأ دائه العضال**) أي: أنه إذا فسد القلب فهو أصل الداء العضال الذي لا تجدي فيه الموعظةُ ولا تنفعه وذلك هو الرين والطبع .

ثم قال رضي الله عنه :

يرعى بعينِ الشرْعِ كلَّ خاطِرِ ... بنورِ علم باطنٍ وظاهرِ

فما بوفق الحقِّ فليبادِرِ ... وليجتنبْ في النهي والإشكالِ

قوله : (**يرعى بعين الشرع كل خاطر**) أي: أن هذا السالك الموفق يرعى ، أي: يراقب بعين الشرع ، أي: بدلائل الشرع كل خاطر من الخواطر النفسية والشيطانية والربانية والملكية فيميز بين تلك الخواطر بدلالة الشرع فما أمر به امتثله وأتى به على الوجه الأكمال وما نهاه عنه اجتنبه كما قال في الزبد :

وزن بحكم الشرع كل خاطر فإن يكن مأموره فبادر

أي: فبادر إليه من غير توقف ، فهذه الخواطر الأربعة لا تزايل الإنسان في جميع أحواله .

قوله: (**بنور علم باطن وظاهر**) أي: فيما يتعلق بالباطن وهو أعمال القلب وبما يتعلق بالظاهر وهو أعمال الجوارح ولا يتميز ذلك للمؤمن إلا بنور العلم وصفاء السر عن تلبيسات النفس والشيطان وإخوان العلانية الذين مقصودهم الدنيا والجاه والمال فلا يعبأ بنصرتهم ولا بما أشاروا إليه لسوء مقاصدهم واختلاف أغراضهم ، ولا بد لهذا السالك من شيخ يراعيه ويرشده ويحفظه عن موارد الهلاك وما يفسد أعماله من العلل والنقائص ، كما قال الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد نفعنا الله به :

ولا بد من شيخ تسير بسيره إلى الله في نهج الطريق القويمة[1]

وكما قال الناظم رضي الله عنه في ((نظم رسالة المريد)) :

وحقُّ مريدٍ كونُه ذا عنايةٍ بصحبة أخيار وأهل الطريقةِ

حريص على شيخ إمام مكمَّلٍ مربي نصوحٍ عالمٍ بالشريعةِ

مكمَّلِ عقل واسع الصدر كاملٍ السياسة عَرَّافا بقصد الخليقةِ

خبيرٍ بأحوال لهم وطبائع حليفِ طريق ذائقٍ في الحقيقةِ

فمهما تجد هذا فنفسَكَ فالقها عليه ولازمه بحب وصحبةِ

قوله : (**فما بوفق الحق فليبادر وليجتنب في النهي والإشكال**) أي: فما يوافق الحق فليبادر إليه كما مر وليجتنب في النهي مطلقا ، وعند الإشكال يتوقف حتى يظهر الصواب .

ثم قال رضي الله عنه:

---

(١) في ديوان الإمام الحداد نص البيت هكذا :

ولا بد من شيخ تسير بسيره إلى الله من أهل النفوس الزكية

[في أحوال القلب ومايرد عليه من الخواطر]

وقلبُــــه إن كـــــان ذا اطمئنـــــانِ   عــــلى الهــدى أغنـــاه عـــن بيـــانِ

فــإن يَقِــرَّ فهــو مـــن إحســـانِ   وإن يَفِــرْ فَهْــوَ عـــن الضـــلالِ

قوله : (**وقلبه إن كان ذا اطمئنان**) أي: أن قلب هذا السالك إن كان ذا طمأنينة ويقين ورسوخ في طريق الهدى أغناه ذلك عن إرشاد المرشدين ودلالة المسلكين فهو يعمل بميزان الشرع وعلى ما يرد عليه من الإلهام من جانب المولى تعالى كما قال (**على الهدى أغناه عن بيان**) فهو ببصيرته يقر ويطمئن إلى كل ما هو من طريق مقام الإحسان ويفر من أنواع الضلال والبغي والعدوان والطغيان ، كما قال (**فإن يقر فهو من إحسان وإن يفر فهو عن الضلال**) فهو لا يزال على بينة من أمره وشاهد من قلبه وعناية من ربه . ثم قال رضي الله عنه:

وإن يكـــنْ مقدَّســــا نُـــــوراني   يــــذوقُ فهــــمَ الخـــاطر الربـــاني

والملكـــيْ بـــالنور والشـــيطاني   بـــالغيِّ والـــنفس بالاشـــتغال

قوله : (**وإن يكن مقدسا نوراني**) أي: وإن يكن القلب مقدسا ، أي: مطهرا منزها عن الرذائل بالنور الذي يشرح به الصدر ويهتدي إلى الصواب والرشد في كل أمر فهو يذوق فهم الخاطر الرباني فيعمل عليه إذ الإلهام للأولياء كالوحي للأنبياء ، وكذلك يميز بين خاطر الملك وهو لا يأمر إلا بالخير بالنور ، وكذلك يميز به ، أي: بهذا النور خاطر الشيطان الذي لا يأمر إلا بالشر وقد يجعله في معرض الخير كما مر .

قوله: (**بالغي والنفس بالاشتغال**) بالغي وكذا النفس لا تأمر إلا بما يأمر به الشيطان فتأمر بالاشتغال بكل ما يلهي عن طاعة الله تعالى وعن الابتغاء بها لرضى الله والدار الآخرة ، فبين الشيطان والنفس ملائمة فالشيطان كما قال الله تعالى ﴿ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ (فاطر/٦) ولا تقبلوا منه التلبيس والتزوير لأنه معدن ذلك ، قال تعالى ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ (لقمان/ ٣٣) والنفس أعدى الأعداء كما ورد . ثم قال رضي الله عنه :

ولـــيس للشـــيطانِ مـــن ســـلطانِ   عــــلى ذوي الإيـــمان والإحســـانِ

إذ حُفِظُوا في طاعة الرحمنِ واعتصموا بأكمل اتكال

قوله : (وليس للشيطان من سلطان) كما ورد في القرآن ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ (الحجر/ ٤٢) فإضافتهم إلى الله تعالى وتعلقهم به لله ومعرفتهم بجلال الله منعت الشيطان أن يخلص إليهم بسوء أو شر ، كما ورد أنه يفر من ظل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما مر ، وكهو ممن كمل إيمانه وتم إحسانه كما قال : (على ذوي الإيمان والإحسان) فمن ذلك ما ذكره ابن علان في حاشية الأذكار النووية : أن بعض العباد جاء يدخل مسجدا فى البرية كان ممن أعطي شيئا من المكاشفات ، فرأى شيطانين على باب المسجد ، فقال أحدهما للآخر : ادخلْ اغوِ ذلك المصلي ، فقال له : لا أقدر من ذلك النائم يحرقني بنفسه ، فتعجب العابد كيف يخاف الشيطان من النائم ولا يخاف من المصلي ؟ فلما دخل أبصر النائم إبراهيم بن أدهم . فانظر بم تعذر الشيطان أن يقرب من هذا العارف .

قوله: (إذ حفظوا في طاعة الرحمن) كما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لابن عمه العباس رضي الله عنهما : (احفظ الله يحفظك) ومن حفظ ما لله عليه حفظ من الشيطان وغيره .

قوله: (واعتصموا بأكمل الكمال) أي: أن هؤلاء الذين أطاعوا الله وتمسكوا بحبله المتين وسلكوا على سنة سيد المرسلين وتابعيه المهتدين اعتصموا بالاتكال والاعتماد على مولاهم ومدبرهم فكانوا حزبه الغالب على النفس والشيطان وغيرهما .

ثم قال رضي الله عنه :

الرشفة السابعة :

[في التحذير من طرق الغواية والترغيب في طرق الهداية]

رَشْفَةٌ في نـز اهَـتِهِـمْ عَنِ العُيُـوْبْ وَ نَسْمـَةٌ مِنْ نَشْرِ ثَنَائِهِمِ المَحْبُـوْبْ

قوله : (**رشفة في نـزاهتهم**) أي: طهارتهم عن رذائل العيوب التي تحجب القلوب عن كشف أسرار علام الغيوب وتوجب بذلك الإثم والوقوع في الذنوب .

قوله: (**ونسمة من نشر**) أي: ونسمة تنشر ما لهم من الثناء لموافقتهم المطلوب المحبوب والروائح الطيبة التي تفوح عن مسك الجيوب . ثم قال رضي الله عنه :

فويـلُ عبـد ضَـلَّ عـن نجاتـهْ وضـاع في اللهـو حَـوَى حياتِـهْ

وظـنَّ بالجهـل صَـفَا صِـفاتِهْ وهـو لـدى الحـق بأسْـوَا حـالِ

قوله : (**فويل عبد ضل عن نجاته**) لما أراد رضي الله عنه ذكر ما تحلَّوا به وتخلقوا وتأدبوا وتحققوا قدم عليه التأنيب والعيب عن من لم يسلك مسالكهم ولم يعرج إلى الأعمال التي توصله إلى فهم مداركهم فقال : (**فويل عبد ضل عن نجاته**) الويل : قيل إنه واد في جهنم ، وقيل : إنها كلمة زجر ، ضل ، أي: تاه وغوى عن ما ينجيه في الدار الآخرة من الموت وما بعده من مواقف القيامة .

قوله: (**وضاع في اللهو حوى حياته**) وضاع في اللهو ، الضياع : ضد الحرص والحفظ وهو التفريط فيما له غنى وثمرة إلى أن لا يكون له غنى ولا ثمرة وذلك أن يصرف الإنسان أوقاته فيما لا يعنيه من اللهو المباح أو المحرم فذلك خسارة ووبال عليه لا سيما إذا رأى العاملين قد وفرت لهم أجور طاعاتهم عند فقرهم واحتياجهم إليها .

وقوله (**حوى حياته**) قال ابن الأثير : الحوى اسم للمكان الذي يحوي الشيء ، أي: يضمه وينفعه انتهى . حياته ، أي: عمره الذي به الوصول إلى الربح في معاناة التجارة الأخروية كما قال الإمام الغزالي في ((البداية)) : فأصل تجارتك عمرك وهو رأس مالك ،

يعني به أنه إذا ضاع رأس المال لم يبق أصل للربح وصار خاسرا عاطلا مطالبا في الدار الآخرة بذلك الضياع .

قوله: (**وظن بالجهل صفا صفاته**) ثم من أقبح الضرر عليه والوقوع في المهالك التي فيها نكاله في داريه ظنه بجهله صفا صفاته ، ومن أين له الصفا وهو عارف أنه متصف بالجفاء وعدم الوفاء ؟ فجهله مركب وعدم الرجوع عنه عليه أغلب، وهو ممن قال الله فيهم ﴿ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ (الكهف/ ١٠٤) وقال تعالى ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (المجادلة/ ١٨) .

قوله: (**وهو لدى الحق بأسوا حال**) أي: أن حقيقة هذا العبد المغرور أنه أسوأ حالا ممن عمى بالجهل الصرف ، وفي «الإحياء» قال : الناس ثلاثة : رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه ، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك جاهل فأرشدوه ، ورجل لا يدري ويدعي أنه يدري فذلك مدع فارفضوه ، هذا معنى كلامه .

ثم قال رضي الله عنه :

هلا اقتفى أسلافَ صدقٍ فُطنَا ... قد طَلقوا الدنيا وخافوا الفِتَنَا

ورَكِبُوا متن طريقٍ حَسَنَا ... فَسَلِموا مِنْ سَائرِ الأهوالِ

قوله : (**هلا اقتفى أسلاف صدق فطنا**) أي: هلا اقتفى هذا المغرور الجاهل أسلاف صدق مع الله تعالى فطنا ، أي: متيقظون فطنون لما يفسد الأعمال ويشين الأحوال .

قوله : (**قد طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا**) أي: هؤلاء الفطنا طلقوا الدنيا مخافة آفاتها والوقوع في فتنها وهي التمتع بشهواتها والاغترار بلذاتها والغفلة بها عن ما فيه فوز النفوس ونجاتها بل وحياتها في الدار الآخرة سعادتها .

قوله: (**وركبوا متن طريق حسنا**) أي: أن هؤلاء الفطناء ركبوا متن الطريق الحسنة المنجية من الوقوع فيما مر والسلامة منه .

قوله: (**فسلموا من سائر الأهوال**) أي: غنموا السلامة من سائر الأهوال الموقعة في الهلاك بواسطة الدنيا ، وهذه مقتبسة من قول الإمام الشافعي رضي الله عنه حيث يقول :

إن لله رجـــالاً فُطنَـــا طلقـوا الـدنيا وخـافوا الفتنـا
زهـدوا فيهـا فلـما علمـوا أنهـا ليسـت لحـي وطنـا
رفضـوها جملـة واتخـذوا صـالح الأعـمال فيهـا سـفنا

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

هـلا اقتـدى بهـدي قـومٍ صـدقُوا وباصـطبارٍ في عفـافٍ سـبقُوا
وعرفـوا لأيِّ معنـى خُلِقُـوا قضـوا بهـا الأيـام والليـالي

قوله : (**هلا اقتدى بهدي قوم صدقوا**) أي: أن هذا المتمادي في غفلته هلا اقتدى ، أي: نشأ وسلك بهدى طريق قوم صدقوا الله في معاملاته تعالى فأنقذهم من رق نفوسهم ومن الدنيا والهوى فأعاضهم تعالى قرة العين في الدار الآخرة التي نعيمها لا ينفذ ولم يغتروا بما اغتر به أهل البطالة إما لغفلتهم وإما لشكهم في الدار الآخرة فضلوا وخسروا .

قوله : (**وباصطبار في عفاف سبقوا**) أي: بالاصطبار الذي هو من المقامات التسع ، وهو قهر النفس وسوقها بالخوف وقودها بزمام الرجاء سبقوا غيرهم ممن تخلف وغوى وسوف وارتدى ، وقد ذكر الأئمة أن في الصبر باب الظفر في آخر الأمر ومن أراد معرفة فضله وكيفية التدريج فيه والعمل به فعليه بكتاب الصبر من «الإحياء» وشواهد ذلك من القرآن والأخبار لا تنحصر ولا تحصى ، والصبر صبران : صبر على الطاعة وصبر عن المعاصي والشهوات .

قوله: (**وعرفوا لأي معنى خلقوا**) أي: أن هؤلاء أرباب المعرفة والاستباق إلى الخيرات عرفوا لما خلقوا من أجله ، قال بعضهم : والذي خلق الله العباد لأجله محصور في آيتين : معرفة الله وعبادته ، أما معرفة الله فمذكورة في قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾ (الطلاق/ ١٢) ، والثانية في قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ (الذاريات/ ٥٦) .

قوله : (قضوا بها الأيام والليالي) أي: أن هؤلاء اليقظين لما عرفوا ما خلقوا لأجله قضوا به الأيام والليالي ، أي: استغرقوهما في طاعة الله وما يوصل إلى معرفته ورضاه ولم يلتفتوا إلى ما عدا ذلك وما سواه فطوبى لهم وحسن مآب . ثم قال رضي الله عنه :

فإنما أوتي هدىً وقُوَّهْ　　يمدُّها كلَّ غِذا وشهوَهْ

ليرتقيْ إلى ذرى الفتوَّهْ　　وينتقي بأفضلِ الأعمالِ

قوله : (فإنما أوتي هدى وقوه) أي: أن كل إنسان أوتي هدى ، أي: عقلا ، وقوة ، أي: طاعة .

قوله: (يمدها كل غذا وشهوه) أي: أن هذا العقل والقوة يمدهما الغذاء والشهوة ، والغذاء معنوي وحسي ، فالمعنوي يمد العقل بالمعرفة والترقي إلى ما لا نهاية له ، وهذا العقل هو الروح الذي ميله إلى موافقة الحق في شؤونه ، والحسي : غذاء الجسم لأنه آلة للأعمال الصالحة والشهوة هي الميل لهذا الإنسان تدعوه إلى الرغبة والازدياد منه .

قوله : (ليرتقي إلى ذرى الفتوه) أي: أن هذه القوى آلات للارتقاء إلى ذرى الفتوة وهي الإيثار ، فيؤثر فيها السالك العارف موافقة مولاه على كل ما تميل إليه نفسه وتهواه في جميع ما يحبه الله، قال الله تعالى ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر/ ٩) أي: في الطعام وغيره فإنه يقدم محاب الله على محابه ، والذرى جمع ذروة وهي أعلى الشيء ، وفي الحديث الصحيح : (ألا أدلك على ملاك الأمر وذروة سنامه) .

قوله : (وينتقي بأفضل الأعمال) أي: أنه آثر الله على نفسه تعالى بأفضل الأعمال فيتحراها ويجتهد فيها وفي تقديم أرجحها وذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأوقات ، وهو مبين واضح في كتب الأئمة المرشدين ، فليجعلها طالب السلامة أمامه كما بين ذلك وأوضحه الشيخ محمد بن عبد الله العيدروس في كتابه ((إيضاح أسرار علوم المقربين)) وغيره من كتب أئمة الدين . ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

فالشهوتان سبباهُ في البقاءِ　　عَوْنَاه بالعدلِ على كل تَقَاءِ

لكنْ مع التفريط عادَ بالشَّقاءِ　　عليه بالضرِّ بلا إمهال

قوله : (**فالشهوتان سبباه في البقاء**) أي: أن شهوة البطن والفرج سببان في حياة الإنسان وبقائه ، أما شهوة البطن سبب بقائه وحياته ، وشهوة الفرج سبب في بقاء النسل والتوالد ، فالشهوتان المذكورتان يحملان على أمرين محمودين فالبقاء محمود إذا أريد به الازدياد من طاعة الله تعالى والسعي للآخرة ، وبقاء النسل والتوالد سبب في تحصيل فائدة أخرى وهي إعانة المؤمن من أولادهما في حياتها بالقيام بالحقوق وبعد مماتها بالدعاء والاستغفار والصدقة ونحو ذلك من مكاثرة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته سائر أمم الأنبياء ، فكل ذلك إذا أريد به هذه المعاني فهو من أعمال الآخرة إلا إن حصل في ذلك الإفراط إما بالحرص على المال والتوسع في الشهوات المباحة أو المحرمة لأن كثرة المال تطغي ، وورد (الولد محزنة مجبنة مبخلة) كما مر .

قوله : (**عوناه بالعدل على كل تقاء**) أي: أن كثرة الشهوة والنعمة إذا كانت في الحرص على الخير فهي عون للعبد بالعدل ، أي: انه إذا التزم الوسط ولم يخرج إلى طرفي الإفراط والتفريط سواء كان في الأمور الدينية أوالدنيوية ، والعدل والوسط محمود في جميع الأمور في العادات والعبادات وإنما الاستكثار من العلوم والأعمال إذا لم يؤد إلى فترة وملل لا غاية له وذلك مقصود العمل بالتقوى وهي امتثال الأوامر واجتناب المناهي مع الإخلاص واستشعار الخشية وشهود جلال الحق وعظمته .

قوله : (**لكن مع التفريط عاد بالشقاء**) أي: أن هذا العبد المأمور بتأدية الفرائض واللوازم إذا فرط فيها وقصر في أدائها وارتكب المنهيات عاد للشقاء ، أي: أنه معرض نفسه للشقاء وهو ضد السعادة ، كما في حديث الصحيحين ، فأهل السعادة هم أهل الفوز برضى الله وحلول جنته وأهل الشقاوة آيلون إلى سخط الله ودار نقمته وهي النار .

قوله: (**عليه بالضر بلا إمهال**) أي: أن الشقي الذي كتب الله عليه في الأزل أنه ممن بعد عن رحمة الله فهو معاقب عاجلا وآجلا أما في العاجل لما يحصل عليه من ذم الشرع وسخط أهله عليه وبغض المؤمنين له ، وأما في الآجل فإنه يصْلَى العذاب الإليم أبد الآباد إن مات على غير الإسلام والعياذ بالله . ثم قال رضي الله عنه :

فكيـــف يـــرضى عاقــل أو عـــالمْ بعمـــــره في عِيشـــةِ البهـــائمْ
عـــن جـــيرةِ الـــرحمن والمكـــارمْ يبيـــعُ بالـــدون الأعـــزَّ الغـــالي

قوله : (**فكيف يرضى عاقل أو عالم**) أي: أن هذا العاقل والعالم إذا قادته يد التوفيق إلى ما فيه نجاته وسعادته لا يرضى لنفسه بإنفاق عمره في عيش البهائم التي لا تميز الخير من الشر بل نهمتها وكثرة شهوتها في الشبع ولا تبالي بكون ذلك مضرا بها أو نافعا ، وقد وصف الله أهل هذا الحال المعرضين عن العلوم والأعمال بقوله تعالى ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (الفرقان/ ٤٤) أي: من حيث إن الأنعام تعود يوم القيامة إلى التراب والفناء ، وهؤلاء الأشقياء يتحولون إلى العذاب الأليم والخزي العظيم عند اللقاء.

قوله: (**عن جيرة الرحمن والمكارم**) أي: أنه لما رضي هذا الجاهل الأحمق لنفسه بعيشة البهائم والوقوع في الظلمات والمظالم عن أن يكون في زمرة ورعيل جيرة الرحمن والمكارم ، أي: الذين هم في الدنيا والآخرة عاشوا في جوار الله تعالى والقرب منه بطاعته فجزاؤهم في الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فهؤلاء أصحاب الرحمن والمجاورون له وأرباب الكرامة في الدنيا والآخرة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (المجادلة/ ٢٢) وذلك أن المقصر منحط عن عالي مقاماتهم محروم مما أوتوه .

قوله: (**يبيع بالدون الأعز الغالي**) أي: أن من هذا حاله الذي شرحه رضي الله عنه في الأبيات المارة باع بالدون الأقل الأرذل العزيز الغالي الأجل ، فهو كمن باع جوهرة ببعرة ، وشواهد هذه الحالات الرفيعة والوضيعة مذكورة في محالها فلتطلب منها. ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

[ذم الشبع والحث على التقليل من الأكل]

حســـبُ التقـــيِّ مـــا يُقِمْـــنَ صُـــلبَهْ أو ثلثاهـــــا أكلَـــــهُ وشُربَـــــهْ
وثُلُـــــثٌ لـــــنَفَسٍ مـــــن كربـــــهْ فالـــداءُ مِـــلءُ الـــبطنِ مـــن حَـــلالِ

قوله : (**حسب التقي ما يقمن صلبه**) أي: يكفي العبد المتقي لله والفار عن شره الشبع وشره لقيمات يقمن صلبه كما في الحديث ، لأن المقصود الأخير إنما تعينه على طاعة الله وهو أن يكون ثلث البطن لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه كما قال (**أو ثلثاها أكله وشربه**) .

قوله: (**وثلث لنفس من كربه**) فيكون ذلك معين له أولا على صحة البدن ، وثانيا على النشاط للطاعه وخفتها وسهولتها عليه ، ففي ذلك حكمة دينية ودنيوية ، وقد قال صلى الله عليه وسلم أو موسى عليه السلام : (إني أجوع لأذكر الجائع) وقال الإمام الغزالي: الشبع مبدأ كل شر إذا كان من الحلال فكيف من الحرام ؟ .

قوله: (**فالداء ملءُ البطن من حلال**) وذلك لما مر عن الإمام الغزالي أن ملءَ البطن من الحلال مبدأ كل شر ، أي: مما يتعلق بالجسم والبدن وما يتعلق بالدين في العبادة . ثم قال رضي الله عنه :

إذ يملأُ القلبَ ملاها ظلمهْ ويعتلي جهدُ الهوى والنهمهْ

فكيف حالُ شبهةٍ أو حرمهْ فالسحت في النار بلا جدالِ

قوله : (**إذ يملأ القلب ملاها ظلمه**) أي: أن الشبع من الحلال يملأ القلب ظلمة ، أي: حجابا فيمنعه عن مطالعة الأنوار الملكوتية ويمنع الأعضاء عن سهولة العبادة وتيسرها عليها .

قوله: (**ويعتلي جهد الهوى والنهمه**) أي: يعلو القلب والنفس جهد الهوى، أي: قوة الهوى والميل إلى كل باطل من خصوص النفس وشهواتها وآفاتها مع كثرة النهمة في ذلك وهي المبالغة في طلبها والحرص عليها ، قال صلى الله عليه وسلم (لو أن لابن آدم واديين من ذهب لابتغى إليهما ثالثا ، ولا يملأ بطن ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب) ففي ذلك إشارة إلى قوة الحرص والطلب للدنيا وعدم الزهد فيها وسببه شره الطعام أو طلب الشبع منه .

قوله: (**فكيف حال شبهة أو حرمه**) أي: فكيف حال من شبع من الحرام المحض أو الشبهة فذلك ظلمات بعضها فوق بعض حتى تنتهي إلى قسوة القلب وطبعه وتراكم الران عليه حتى لا يقبل الحق ولا تجدي فيه الموعظة ، وفي الحديث : (القلوب أربعة : قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن ، وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر ، وقلب مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق ، وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه مثل البقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه مثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلبت عليه ذهبت به) وقد وصف رضي الله عنه في هذا البيت القلب القاسي الغافل عن الله والدار الآخرة .

وقد أطال الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد باعلوي نفعنا الله به في كتابه ((النصائح)) صفة هذه القلوب ، فقال في وصف القلب القاسي : وإياك والقسوة وهي غلظ القلب وجموده حتى لا يتأثر بالموعظة ولا يلين ولا يرق عند ذكر الوعد والوعيد والموت وأحوال الآخرة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم (أبعد الأشياء من الله القلب القاسي) وقال عليه السلام (من الشقاء أربع : قسوة القلب ، وجمود العين ، والحرص ، وطول الأمل) فاحترز من هذه الأربع ، وفي الحديث الآخر : (واعلموا أن الله لا يقبل دعاءاً من قلب غافل) والغفلة دون القسوة وهي مذمومة وفيها غاية الضرر انتهى .

قوله: (**فالسحت في النار بلا جدال**) أي: أن أكل السحت وهو الحرام من ربا أو غيره في النار بلا جدال ، أي: بلا شك ، وفي الأثر (من لم يبال أكل من حلال أو من حرام لم يبال الله به في أي واد من أودية جهنم أدخله) . ثم قال رضي الله عنه :

فـإنَّ أمـرَ الجسم للبطن تَبَـعْ	**والـدينُ مبنـي عـلى أُسِّ الـوَرَعْ**
والنـورُ في الحِـلِّ ويطفيـه الشَّـبَعْ	**فاطلبـه واقلـل منـه فهـو الغـالي**

قوله : (**فإن أمر الجسم للبطن تبع**) أي: إن كان غذاءها من الحلال أطاعت الجوارح القلب وتبعته فيما يقصده من الأعمال المنجية عند الله تعالى وتحركت لها الأعضاء .

قولـه: (**والـدين مبنـي عـلى أس الـورع**) أي: الـدين بنـاه وأساسـه الـورع وإذا كـان الأساس صحيحا ثبت البناء عليه ودام وإلا كان كالبناء على السرجين إذا جاءه الماء انهار ، فمن لا ورع له لا دين له .

قوله: (**والنور في الحل ويطفيه الشبع**) أي: أن النور في أكل الحلال لكن إذا كان على القدر المذكور آنفاً بأن يقتصر على لقيمات يقمن صلبه أو على ثلث البطن لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه كما مر فإن زاد على ذلك أطفأ نور الحلال .

قوله: (**فاطلبه واقلل منه فهو الغالي**) فاطلبه ، أي: الحلال وأقلل منه بأن تأخذ دون الشبع فهو الغالي ، أي: أن الاقتصاد في ذلك هو الأمر الغالي ، والغالي يحتمل أن يكون بالغين المعجمة . أي: العزيز في الثمن أو العالي بالعين المهملة ، أي: أنه رفيع وشريف .

فائدة : قال الشيخ عبد الله الحداد نفع الله به في ((النصائح)) : واعلموا رحمكم الله أن أكل الحلال ينور القلب ويُرَّققه ويجلب له الخشية من الله والخشوع لعظمته وينشط الجوارح للعبادة وهو سبب في قبول الأعمال الصالحة واستجابة الدعاء ، كما قال عليه الصلاة والسلام لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (أطب طعمتك تستجب دعوتك) وأما أكل الحرام والشبهات فصاحبه على الضد من جميع هذه الخيرات يقسي القلب ويظلم به ويقيد الجوارح عن الطاعات ويرغب في الدنيا وهو سبب في عدم قبول الأعمال الصالحة ورد الدعاء كما في حديث أنه عليه السلام : (ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول : يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك) الحديث ، فاحرص على أكل الحلال وعلى اجتناب الحرام كل الحرص ، وليس الورع خاصا بالأكل فقط بل هو عام في جميع الأمور انتهى . وكتاب الحلال والحرام من ((الإحياء)) جامع لأنواع الحلال والحرام فإنه كما قيل : لم يصنف في الإسلام مثله .

ثم قال رضي الله عنه :

[في بيان ضعف الإنسان]

وَقُلِّدَ الإنسانُ سيفاً من غَضَبْ　　ليحتمي دينا ودنيا من عَطَبْ

فكيف بالتيه وبالغّي انقلبْ　　عليه عطباً دائمَ الوبالِ

قوله: (وقلد الإنسان سيفا من غضب) أي: وقُلِّدَ الإنسان- بصيغة مالم يسم فاعله - أي: أن الله قلد الإنسان سيفا من غضب ، أي: جعل الغضب صفة له في غريزته وطبعه ولكن الإنسان الكامل الذي ملك غضبه يستعمله في محله فإذا انتهكت محارم الله غضب من أجلها كما قال (ليحتمي دينا ودنيا من عطب) أي: أنه يحتمي بسيف الغضب عند انتهاك الحرمات فإذا أريد وقصد به في العطب ، أي: الهلاك في دينه الذي هو رأس ماله أو في دنياه المعينة على دينه أو كان ذلك في حق غيره غضب لله ودفع ذلك الضرر بالممكن كما ذكروا التدريج في دفع الصائل ، وقد كان صلى الله عليه وسلم أرحم الناس وأشفقهم لغضبه .

قوله: (فكيف بالتيه وبالغي انقلب) فكيف : صيغة تعجب ، أي: أن الله سبحانه وتعالى لما قلد الإنسان سيف الغضب وجعله آلة يستعمله عند الحاجة إليه في دفع المضار عن نفسه وغيره ودرء المفاسد وجلب المصالح في الدين ، ولهذا المعنى شرع قتال الكفار والبغاة ودفع الصائل غيرة لله وحمية في دين الله ، فإذا كان الغضب مطلوبا لهذه المصالح فكيف يقلبه الجاهل ويغيره ويصرف معناه إلى التيه وهو التعاظم والفخر إما بالآباء أو بالدنيا أو بالعلم أو الطاعة وإلى الغي وهو الضلال فمن عمل على ذلك وقلب الأشياء إلى غير ما خلقت لأجله فقد أساء وظلم وعرّض نفسه في الدار الآخرة للمأثم والمغرم .

قوله: (عليه عطبا دائم الوبال) أي: إذا كان حاله كما ذكر يكون ذلك عطبا ، أي: هلاكا عليه دائم الوبال وهو الهلاك أيضاً . ثم قال رضي الله عنه ونفع به آمين :

فكيف مَنْ مِنْ عَدَمٍ إلى عَدَمْ　　وكلُّه عجزٌ وفقرٌ ونَدَمْ

يَتِيهُ عجباً أن كسُي ثَوبَ نِعَمْ　　عاريةٌ من فضل ذي الإفضالِ

قوله : (**فكيف من من عدم إلى عدم**) أي: فكيف يليق التيه والفخر والعجب بمن خلق من عدم ثم يصير إلى العدم فإنه يليق بحاله إظهار الفقر والمسكنة والضعف والعجز والتواضع ، فقد كان صلى الله عليه وسلم خير بين أن يكون نبيا عبدا أو نبيا ملكا فاختار أن يكون نبيا عبدا وفضله الله بذلك على سائر الأنبياء والمرسلين ، وكان صلى الله عليه وسلم يجثو على ركبتيه ويقول : (إنما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد) وإذا نظر الإنسان أيضاً أنه مخلوق من التراب والطين ومن الماء المهين علم أنه لا يصلح له ومنه إلا الذل والانكسار تحت عظمة الملك الجبار الذي خلقه وصوره فأحسن تصويره وفضله على جميع العوالم ، فليشكر الله تعالى على هذه النعمة ويزيد تواضعا وانكسارا .

قوله: (**وكله عجز وفقر وندم**) أي: أن الإنسان موصوف بالعجز لأنه لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولاحياة ولا نشورا ، وفقر ، أي: أن العبد أيضاً لا يزال فقيرا في جميع حالاته وإن كان غنيا بمال لأنه لا يملك مع مولاه شيئا وحقيقته الفقر ولا يأمن سلب ما ملكه ، فينبغي له إذا كان متصفا بالفقر أن ينزل حاجاته بالذي هو غني عن من سواه ومفتقر إليه كل ما عداه ويكون من حاله الرضا بما قسمه الله له من الرزق وغيره ،

وقوله (**وندم**) أي: وأنه متصف بالندم لأنه قاصر في جميع أحواله ومن شأنه طلب العلو والتمام فيها فيكون من شأنه الندم على كل ما فاته من الكمال في الأمور الدينية والدنيوية ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : (الندم توبة) إذا كان الندم على التقصير والتفريط فيما لله على الإنسان من أداء فرائضه والشكر على نعمائه ، ومن الشكر القيام بقسمه وهو الصبر على الطاعات وعن الشهوات والمعاصي وفقنا الله لذلك .

قوله: (**يتيه عجبا أن كسي ثوب نعم**) أي: فكيف يليق بحال العبد الفقير العاجز أن يتيه أي: يتعاظم عجبا بنفسه ويرى أنه أفضل من غيره فإنه إن لم يرتق في الطاعة لله تعالى مع الإخلاص وقصد التقرب بها إليه تعالى إلى أفق الملائكة كان كالبهائم بل هو أضل سبيلا منها كما وصفه الله بذلك لأنه لما شرفه الله بالعقل ليدبر به أسباب نجاته وفوزه وسعادته في الدار الآخرة ، فإذا استعمل العقل في غير ذلك كان أضل وأجهل من البهائم السائمة في المرعى فلم

يشكر ما أنعم الله به عليه من العقل وصحة الجسم ، قال عليه الصلاة والسلام : (خصلتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ) قال الإمام الغزالي : وعمرك أصل تجارتك فإن صرفته فيما خلقت من أجله كان سبب فوزك وتجارتك وإلا كان وبالا عليك وخسرانا في الدنيا والآخرة ، هذا معنى كلامه .

قوله: (**عارية من فضل ذي الإفضال**) أي: أن ثوب النعمة الذي كساك الله إياه عارية من عواري الدنيا من فضل ذي الإفضال سبحانه وتعالى فإن شكرت الله على هذه العطيه ثبتت ودامت وزادك الله عليها من أنواع الفضل والكرم وإن كفرته أزالها عنك وصرت معذبا بزوالها ، قال تعالى ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ (إبراهيم/ ٧).ثم قال رضي الله عنه :

فإن يكن دينا فبالعُجب فَسَدْ وإن يكن دنيا فبالبغي تُرَدْ

شرا عليه وبها يشقى الأبد وربما يُسْلَبُها في الحالِ

فمعنى هذا البيت مفهوم مما مر ، وهو أن العجب يفسد أعمال الآخرة ويبطلها ويفسد كل ما يتعلق بأمر الدين وإن كان بالدنيا فهو أيضاً سبب عجبه (**ترد**) أي: تعود بغيا وشرا عليه (**وبها يشقى الأبد**) لكونه يعرف قدرها ولم يشكر عليه بل طغى وبغى بها فهذا ربما يسلب هذه النعمة في الحال بنوع من أنواع الزوال نعوذ بالله من أحوال أهل الضلال .

ثم قال رضي الله عنه :

وكيف كِبْرُ من لو استغنى افتَقَرْ بل ربما عاد ذباباً فَقَصَرْ

وليس يدري حاله خيرا وَشَرّ وماله في الحالِ والمآلِ

قوله : (**وكيف كبر من لو استغنى افتقر**) فكيف يتصور كبر من لو استغنى ، أي: حصل له الغنى افتقر بزوال الغنى أو بفقر القلب فهو لا يزال يطلب الزيادة وذلك فقر حاضر .

قوله: (**بل ربما عاد ذبابا فقصر**) أي: أنه إذا كان هذا حاله ربما ينقص المال وفواته يعود كالذباب في الذل والمهانة والالتجاء إلى الأغنياء والحاجة إليهم لعدم شكره على ما خوله الله من النعمة فكان قاصرا في جميع أحواله .

قوله: (**وليس يدري حاله خيرا وشر**) أي: أن الإنسان لا يدري الخير له في الفقر أو الغنى فليفوض أمره إلى مولاه وما اختار له صبر عليه فان اختار له تعالى الفقر صبر أو الغنى شكر .

قوله: (**وماله في الحال والمآل**) أي: أنه لا يدري ماله في الحالة الراهنة التي هو عليها ولا بما يحدث في المآل ، أي: المستقبل فيصير منقادا ومستسلما لما أراده الله به ويسأله الحفظ في جميع أحواله . ثم قال رضي الله عنه :

[في ذم محبة الجاه]

وكيف مَنْ كان على بابِ الفِنَا ... يفتِنُه في الدين جاهٌ أو ثَنَا

والجهل والعجز به قد عُجِنَا ... وليس يدري بعدُ ما يصالي

قوله : (**وكيف من كان على باب الفنا**) وكيف صيغة تعجب كما مر ، من كان على باب الفناء ، أي: أنه خارج الباب لا يدري أيفتح له أم لا ؟ فينبغي له أن يقدم خيرة الله تعالى ولا يختار معه شيئا كما قيل : قف على الباب لا ليفتح لك الباب يفتح لك الباب ، وينبغي أيضاً أن يكون حاله مترددا بين الخوف والرجاء فإنه لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الخاسرون ، ويحتمل أنه أراد بباب الفَناء -بفتح الفاء- الموت المنتظر ، فإن من لاحظ انتظاره استعد له ولم يلتفت إلى جاه ولا غيره والله أعلم .

قوله: (**يفتنه في الدين جاه أو ثنا**) أي: أن العبد لما كان لا يدري بما يختم له من خير أو شر فلا يأمن أن يفتنه في دين الله إما جاه وهو طلب المنزلة عند الناس أو يفتنه ثناءهم عليه فإنه صلى الله عليه وسلم لما مدح بعض أصحابه رضي الله عنهم بعضا ، فقال له عليه الصلاة والسلام : (قصمت ظهر أخيك) بمعنى أنك أهلكته فربما يغتر بثنائك عليه ويتكل على ذلك ، وللمثني والمثنى عليه شروط مذكورة مشهورة عند أهل العلم فلتنظر من محالها .

قوله: (**والجهل والعجز به قد عجنا**) أي: أن العجز والجهل به ، أي: بالإنسان قد عجنا في طينته فكيف يعلم ما ينفعه وما يضره إلا إن علمه الله وهداه إليه ووفقه له .

قوله: (**وليس يدري بعد ما يصالي**) أي: أن أمره متوقف على إرادة الله وقدرته فلا يدري آخرة حاله وصيرورة أمره فليطلب من الله تعالى الثبات على الإيمان والممات عليه . ثم قال رضي الله عنه :

وهل له في كلِّ جاهٍ واعتلاءْ إلا عَنَا كلِّ اشتغالٍ وابتلاءْ

بل ربما أدَّاهُ بغضٌ وقِلاءْ من حاسدٍ والجاهُ كالخيالِ

قوله : (**وهل له في كل جاه واعتلاء إلا عنا كل اشتغال وابتلاء**) أي: أن الجاه وطلب العلا أضر ما يكون على المسلم فيعرضه لكل شائبة من شوائب المكر والاستدراج ولكل عناء واشتغال بما لا يعني وابتلاءه في نقص دينه وحرمانه من الدنيا ، ولله در القائل :

بقدر الصعود يكون الهبوط فإياك والرتب العاليةْ

فكن في مكان إذا ما سقطت تقوم ورجلك في عافيةْ

قوله : (**بل ربما أداه بغض**) أداه ، أي: أوصله الجاه بغض من حاسد أو من الحساد على الجاه (**وقلاء**) أي: هجر منه بل ومن الذين اعتقدوا فيه الكمال معاقبة من الله بأن يعتقدوا فيه النقص فيرفضوه ويزدروه وربما عادوا له اعداء ، وقد حسد الناس من لم يطلب الجاه ولم يقصده ممن أنعم الله عليه بدين أو دنيا فضلاً عن غيره ، قال الإمام العارف بالله تعالى الحبيب علي بن حسن العطاس في جده القطب الشيخ الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس نفع الله بهما مع مبالغته في طلب الخمول : لا إله إلا الله وأستغفر الله عدد بغضاء عمر بن عبد الرحمن العطاس .

وقد قيل : إن الرياسة التي هي سبب طلب الجاه آخر ما تخرج من رؤوس الصديقين ، ولهذه المعاني قال صلى الله عليه وسلم : (اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين) ومر عن القطب اليافعي أنه قال : لو قال عليه الصلاة والسلام واحشر المساكين معي لكفاهم فخرا ، فكيف وقد قال : واحشرني في زمرة المساكين!! ، ومر معنى

المسكنة ، وذكر ابن حجر في ((شرح الهمزية)) عن بعضهم أن المراد بها استكانة القلب لا المسكنة المرادفة للفقر انتهى ملخصا ، وفي ضمن ذلك معنى النفور والتباعد عن كل ما يجر إلى العز والجاه والرياسة ، وفي حقيقة الحال أن الجاه كما قال رضي الله عنه أنه (**كالخيال**) لا ثبات له وأنه من حيث عدم استحقاق صاحبه له أنه خيال وكالظل يتحول .

ثم قال رضي الله عنه :

[في التحذير من الرياء]

بل ربما يخلع في الجاهِ الحيا ... من ربِّه ويكتسي ثوبَ رِيَا

ويرتدي رداءَ شِرْكٍ خَفِيا ... يُحبِطُ منه صالحَ الأعمالِ

قوله : (**بل ربما يخلع في الجاه الحيا**) أي: أنه إذا مال الشخص إلى الجاه عرضه لكل خطر ورذال وألقاه في موجبات الهلاك والوبال لأن خطره أضر من الاغترار بالمال ، قال صلى الله عليه وسلم : (ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها في دين المسلم من الجاه والمال) ولينظر تفاصيله وما فيه من الذم في كتاب ذم الجاه والمال من ((الإحياء)) .

قوله: (**من ربه ويكتسي ثوب ريا**) أي: لما اتصف برذيلة الجاه ربما يخرجه إلى أن يخلع عنه لباس الحياء من ربه فيقع في الخطأ والمعصية والمخالفة ولا يبالي وكذلك يخلع ثوب المروءة لأن من لا يستحيي من ربه لا يستحي من الناس وعكسه وكذلك ينخلع عن وصف الإيمان لقوله عليه الصلاة والسلام: (الحياء من الإيمان، فمن لا إيمان له لا حياء له).

قوله: (**ويرتدي رداء شرك خفيا**) أي: أن الرياء يورث من اتصف به رداء الشرك الخفي لأن المرائي لما كان لم يخلص العمل لمن يستحقه وهو خالقه وبارئه ورازقه أشرك مع الله غيره سمي ذلك شركا خفيا لأن الناس لا يطلعون على قصده ونيته وإنما يرون أعماله الظاهرة فهو إذا نوى بالعمل المنزلة لديهم كان ذلك شركا خفيا أيضاً ، ولذا قال الشيخ عبد الله الحداد في قصيدته العينية المشهورة في تعديد الأخلاق الذميمة:

ومن الرياء فإنه الشرك الخفي ... كما أتاك وشيمة العبد الدعي

وقد قسم الإمام الغزالي رضي الله عنه الرياء إلى أقسام ، فمن أشده وأقبحه أن يبعث المرائي على أصل العمل بأن يحضر الناس عنده لا سيما من يراعيه ويخاف منه أو يرجو نواله فيصلي معهم مثلا ولو لم يحضروا لم يصل ، وأهون منه أن يبعثه على العمل الإجلال والإعظام لله تعالى أو رجاء ثواب الآخرة ونعيمها والخوف من النار وعذابها ولكن إذا حضر غيره فيحسن العمل كالصلاة ولو لم يحضر لم يكن ذلك فان طرأ عليه وكرهه فلا يؤثر النقص في عمله ، وأنواع الرياء كثيرة ومن أخفاها أن يعمل الشخص في السر لأجل أنه إذا عمله في العلانية لم تطالبه نفسه بأنك لا تعمل في السر وإنما تعمل لأجل الناس والله هو الذي يزكي الأعمال ، قال تعالى ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ﴾ (النور/ ٢١) وورد (أن الله تعالى يوم القيامة يقول للمرائي : خذ ثواب عملك ممن رائيت له) هذا معنى الحديث ، وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه : ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما .

قوله: (**يحبط منه سائر الأعمال**) أي: على حسب ما مر من أنه إذا قصد الرياء بأصل العمل أو طرأ ولم ينفه ويكرهه أحبط عمله فلا يثاب عليه بل ربما عوقب به. ثم قال رضي الله عنه :

كيف يُرائي العبدُ عبداً فاني ليس بكافٍ في أقلِّ شانِ
بدينِ ربٍّ قاهرٍ ديَّانِ مطّلعٍ على خفايا البالِ

قوله : (**كيف يرائي العبد عبدا فاني**) كيف كلمة تعجب ، يرائي العبد العاجز عبدا مثله عاجزا عن نفعه وضره ، والرياء آفة عظيمة من الآفات المهلكة للدين المفسدة للأعمال المحبطة لثوابها كما هو مقرر في محاله من كتاب الله وسنة رسول الله وكلام السلف الصالح ، والكلام فيه يطول ، وقد أفرده الإمام الغزالي في «الإحياء» بكتاب ذكر فيه آفاته والدواء المخلص منها فلينظر من هناك .

قوله: (فاني) أي: مقهور بالفناء والموت مسلوب الاقتدار على المنافع والمضار وآخره الفناء والارتحال إلى دار القرار ، قال تعالى ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا

وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ (الفرقان/ ٣) فمن هذا حاله كيف يملك النفع والضر ، ولكن الشيطان حريص على إضلال ابن آدم وإلقائه في هوية الغواية والضلال ليجازى بذلك في يوم عرض الأعمال السلاسل والأغلال ، نسأل الله السلامة والحفظ من هذه الأحوال .

قوله: (**ليس بكاف في أقل شان**) أي: أن هذا العبد العاجز القاصر الفاني ليس بكاف نفسه ولا غيره في أقل شأن من الشؤون ولا مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، بل مولاه وخالقه وبارئه كافيه في جميع أنحائه ومقاصده قال الله تعالى ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ (الزمر/ ٣٦) وهو سبحانه تعالى اللطيف الكافي .

قوله: (**بدين رب قاهر ديان**) أي: أنه كيف يرائي العبد بدين الله ومعاملته له من هو عبد فإن مثله لا يقدر له على نفع ولا ضر وليس بقادر أيضاً أن يقوم بدين ربه حق القيام كما في قوله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ (الزمر/ ٦٧) ، وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اعترافا بالعجز عن القيام بإحصاء الثناء على الله : (أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) .

قال الشيخ الحبيب عبدالله الحداد نفع الله به في ((النصائح)) : ولن يستطيع العبد ولو كان له ألف ألف نفس إلى نفسه وألف ألف عمر إلى عمره أن يتقي الله حق تقاته ، وقد بلغنا أن لله ملائكة لم يزالوا منذ خلقهم الله تعالى في ركوع وسجود وتسبيح وتقديس لا يفترون عنه ولا يشتغلون بغيره فإذا كان يوم القيامة يقولون : سبحانك لك الحمد ما عرفناك حق معرفتك ولا عبدناك حق عبادتك ، فالدين هنا عبارة عن أوامر الله تعالى ونواهيه ويعبر عنه أيضاً بالملة والشريعة ، فمعنى التقوى القيام بالأوامر والنواهي .

ومر في النقل عن ((النصائح)) أن القيام بمعنى التقوى لا يستطيعه أحد من المخلوقين المكلفين المعصومين من الأنبياء والملائكة وغيرهم ، وينقسم القيام بالدين وترادفه الملة والشريعة إلى ثلاثة أقسام : الأول : القيام بالواجب ، فإن اقترن به ترك

المحرمات كان كمالا ولكنه دون الأول ، فإن قصر عن القيام بالواجب لا عن نسيان أو جهل أو وقع في الحرام فهو مؤمن ناقص ويفسق بذلك .

قوله: (**مطلع على خفايا البال**) أي: أن هذا العبد كيف يقع في المحظور بالسر والعلن ويرائي بأعماله وهو يعلم أن الله مطلع على ما في باله ، أي: في خاطره فإنه تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وهو عند ذلك معرض نفسه بارتكاب الذنب للهلاك والعقوبة إلا أن يتداركه الله بتوبة نصوح تفيض على قلبه بسببها الأنوار والمنوح. ثم قال رضي الله عنه :

فكم هَوَى في الضرِّ والضلالِ ... قومٌ بقصد الجاهِ والأموالِ

وكم فقيرٍ في الخمولِ سالي ... قد فاز بالعيش وبالآمالِ

قوله (**فكم هوى في الضر والضلال**) أي: أنه كم هوى المقصر بترك العلم والأعمال في الضر وهو كل مؤلم للقلب والجسم والضلال ، أي: وفي مهواة الضلال وهي الغواية والعماية عن سبيل الرشد والهداية في البداية والنهاية فيخسر الخسران المبين في الدنيا والآخرة التي ليس لانقضائها غاية .

قوله: (**قوم بقصد الجاه والأموال**) أي: فكم وقع في الخزايا والرزايا الموقعة في البلايا قوم قصدوا بالعلم والعمل الجاه والمال لأن ذلك مفسد للدين وموقف للسير والارتقاء إلى درجات السابقين بل موقع في القصور عن مقامات أصحاب اليقين ، قال صلى الله عليه وسلم (ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لدين المرء المسلم من حب الجاه والمال) كما مر ، وإليه يشير قوله تعالى ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ (الكهف/ ١١٠) .

قوله: (**وكم فقير في الخمول سالي**) أي: وكم فقير لم يلتفت إلى الجاه والمال ولا إلى الرياسات الدنياوية التي ليست نافعة في المآل فهو سالم عن الشغول والعناء والفتن والغل والمحن وسائر أنواع المحن ، كما قيل :

أخصُّ الناس بالإيمان عبد ... خفيف الحاذ مسكنه القفارُ

لـه في الليـل حـظٌّ مـن صـلاة ... ومـن صـوم إذا طلـع النهـارُ
وقـوتُ الـنفس يـأتي في كفـافٍ ... وكـان لـه عـلى ذاك اصـطبارُ
وفيـه عفَّـةٌ وبـه خمـولٌ ... إليـه بالإصـابع لا يشـارُ
فـذلك قـد نجـا مـن كـل شر ... ولم تمسسـه يـوم البعـث نـارُ
وقـلَّ الباكيـات عليـه لمـا ... قضى نحبـاً ولـيس لـه يُسـارُ

وإلى هـذا المعنـى يشـير قولـه صـلى الله عليـه وسـلم (رب أشعث أغبر مـدفوع عـن الأبواب لو أقسم على الله لأبره) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (قال رجل : أي الناس أفضل يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، قال: ثم من ؟ ، قال : رجل يعتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه) وفي رواية (يتقي الله ويدع الناس من شره) وكان الناظم رضي الله عنه على جانب من الخمول والاستتار معرفة منه بأن جاه الدنيا ومالها غاد ورائح وإنما النعيم الباقي وغير المنغص في دار القرار ، فطوبى لمن أهله الله للإقبال عليه وطلب ما لديه .

قوله: (**قد فاز بالعيش وبالآمال**) أي: أن هذا الزاهد في الدنيا والجاه والمال في مدة حياته فيها يعيش العيشة الطيبة الهنية المرية سالما عن معاناة الدنيا ومزاحمة أهلها وعن الهموم والغموم الواردة على قلبه بسببها ، فالمعرض عنها بهذه ناج سالم فائز بالآمال من خيرات الدنيا والآخرة لا سيما إن زهد فيها وقنع باليسير منها ، قال صلى الله عليه وسلم : (يؤتى بالعبد الفقير يوم القيامة فيعتذر الله إليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا ، فيقول : وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة ، اخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف انظر إلى من أطعمك أو كساك وأراد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك ، والناس يومئذ قد ألجمهم العرق ، فيتخلل الصفوف وينظر من فعل به ذلك في الدنيا فيأخذ بيده ويدخله الجنة) وروي (أن الله تعالى أوحى إلى موسى صلى الله عليه وسلم : يا موسى إن من عبادي لو سألني الجنة بحذافيرها أعطيته ولو سألني علاقة سوط من الدنيا لم أعطه وليس ذلك من هوان له علي ولكن أريد أن أدخر له في الآخرة من كرامتي

وأحميه من الدنيا كما يحمي الراعي غنمه من الذيب السوء) قال الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد علوي نفع الله به في ((الحكم)) له : من زهد في المال والجاه فهو صديق ، ومن زهد في المال دون الجاه فهو مرائي ، ومن زهد في الجاه وأحب المال فهو لئيم ، ومن أحب المال والجاه كان أصغر عقوبته حرمانهما وفي الحرص على المال هلاك الدين . وقال الحجة الغزالي : من علامات الزاهد في الدنيا أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود ، كما قال الله تعالى ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ (الحديد/ ٢٣) بل ينبغي أن يفرح للفقد ويحزن للوجود ... إلى آخر ما نقل عنه الحبيب الإمام أحمد بن زين الحبشي في ((شرح الوصية)) عند قول الناظم نفع الله به :

وازهد بقلبك في الدار التي فتنت ... طوائفا فرأوها غاية الطلب

الثلاثة الأبيات .. وقد نقل عليها جملة من الآيات والأخبار والآثار الواردة في ذم الدنيا ومدح الزهد فيها وذلك لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة والزهد رأس الحكمة ففيه راحة القلب والبدن إلا أن الإنسان لا يقصد بهذا ، أي: رفض الدنيا والتباعد عنها الراحة بل يقصد موافقة الحق سبحانه وتعالى وأنبيائه وأوليائه في بغضها وتحقيرها والسلامة من فتنها سلمنا الله من ذلك وحفظنا من فتنة ما هنالك إنه جواد كريم رؤوف رحيم .

ثم قال رضي الله عنه :

كم أهلكا عبداً لحقدٍ وحَسَدْ ... في نعمة من قسمة الحقِّ الصَّمَدْ

فأفسد العيشَ وأمسى في كَمَدْ ... دنيا وأخرى دائمَ النكالِ

قوله : (**كم أهلكا عبدا لحقد وحسد**) أي: فكم أهلك الجاه والمال عبدا من العبيد الذين لم تحطهم رعاية الله ولم تسبق لهم عنايته فيجرهم حب المال والجاه إلى الحقد والحسد اللذين هما مهلكين للدين ومحبطين للأعمال الموقعين في العذاب الدائم إذ الحاسد لا يزال معذبا إذ لا تزال نعم الله تعالى دارة على عباده علما وعملا وجاها ومالا وكلما زادت النعمة زاد الحقد المسكن والحسد عليها ، فما أوقع الكفار المشركين في الكفر إلا حسدهم وترفعهم عن قبول الحق والإذعان للرسول صلى الله عليه وسلم وحسدهم له فباؤوا بالخسران المبين

في الدنيا والآخرة ، والحسد تمني زوال النعمة عن الغير سواء وصلت إلى الحاسد أم لا ، قال الله تعالى ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ﴾ (آل عمران/ ١٢٠) وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة متلازمان والحسد من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب ، قال الله تعالى ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ﴾ (البقرة/ ١٠٩) إلى غير ذلك من الآيات الواردة في ذم الحسد فالحسد مصيبة في الدين كبيرة ، كيف وقد سخط الحاسد ما قضاه الله تعالى وقدره بحكمته وهو العليم الحكيم . قال حجة الإسلام رحمه الله تعالى : الحسد باب إلى القلب يدخل منه الشيطان إلى قلب الحاسد والحاسد منازع لله في قضائه وقدره إذا أحب زوال ما أنعم به على عبده وكرهه وأي مصيبة تزيد على كراهية الراحة للمسلم من غير أن تكون منها مضرة انتهى . ولذا قال صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .

قوله: (**في نعمة من قسمة الحق الصمد**) أي : أن الحسد والحقد قد أهلكا حاسداً وحاقداً لعباد الله في نعمة أنعمها الله تعالى عليهم وقدرها وقسمها قال تعالى ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا ﴾ (الزخرف/ ٣٢) ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا ﴾ (الواقعة/ ٦٠) فالحاسد معارض لقسمة الله وما قَدَّره كما مر .

قوله : (الحق الصمد) مناسب لذكر النعمة والقسمة، إذ من معاني الصمد الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومن معانيه الغني ، فهو تعالى غني عن العالمين ومتفضل عليهم بالأرزاق بحسب ما قدّره لهم في الأزل باعتبار ما يصلح كلاً منهم ، وإن كان لا يجب عليه شيء لخلقه ، وفي الحديث القدسي : (إن من عبادي من لو أغنيته لفسد حاله ، ولو أفقرته لفسد حاله) أو كما قال ، وقد قرر العلماء في الغني الشاكر والفقير الصابر ما يقتضي تفضيل أحدهم على الآخر ، فالمحدثون والفقهاء يقولون بتفضيل الغني الشاكر ، والصوفية وبعض من العلماء يفضلون الفقير الصابر بمقتضى الوارد في حق كل منهما كما هو مذكور في محاله .

قوله: (**فأفسد العيش وأمسى في كمد**) أي: أن هذا الحاسد بحسده لا يضر إلا نفسه فيفسد عيشه وينغصه ، ويمسي ويصبح ويظل في كمد ، والكمد : هو تغير اللون ، لأنه إذا وقع في القلب الاحتراق من شيء تكدر العيش وظهر على الجسد وغيره .

قوله: (**دنيا وأخرى دائم النكال**) أي: أن هذا الحاسد الممقوت لم يزل في دنياه وأخراه معذَّباً بشؤم حسده ، أما في الدنيا فبتجدد نعم الله تعالى على المحسود ، وأما في الآخرة فبالعذاب الأليم الدائم في نار جهنم ، وقوله : النكال هو العقوبة جزاء على ما فعله الشخص من المعاصي والمخالفات .

ثم قال رضي الله عنه :

[في ذم الدنيا وعاقبة الحريص عليها]

وإنما الدنيا وما فيها حَضَرْ	**له بلاغٌ واعتبارٌ لو عَبَرْ**
فكيف يغترُّ بحلو من نَظَرْ	**قد شِيْبَ بالضراء والإشغالِ**

قوله : (**وإنما الدنيا وما فيها حضر له بلاغ واعتبار لو عبر**) أي: أن الدنيا وما فيها من كل ما يحضر لدى الإنسان ويستعده إنما هو متاع له وبلاغ إلى آخرته ، فإن أخذ منها فوق ما يكفيه فإنه يلهيه ويطغيه عن ما في الدار الآخرة ، لأن هذه الدار دار ادكار واعتبار واختبار ، فمن أخذ منها كزاد الراكب وترك الفضول سلم ونجا وفاز وسعد في الدار الآخرة ، ومن أخذ فوق ما يكفيه هلك وتردى قال تعالى ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (الإسراء/ ١٨-٢٠) والآيات في ذلك كثيرة فاحذر أيها الأخ المغرور بدار الفتنة والزور ، والغفلة والفتور ، فإنك إذا أتاك الموت وأنت مشتغل بها وحريص عليها وغير مستعد للآخرة ندمت ندامة لا آخر لها وهي التي عبر عنها الإمام الغزالي رضي الله عنه بالعقارب والحيات في القبر ، وهو أن العبد إذا أتاه الموت وهو متعلق

بشهوات وإرادات لم يبلغها من الدنيا أنها تكون حسرات وندامات تلدغ قلبه في قبره ، ولهذا قد يسمع من بعض الموتى الأنين في قبره، نسأل الله تعالى العافية والسلامة من فتن الدنيا .

قوله: (**فكيف يغتر بحلو من نظر قد شيب بالضراء والإشغال**) فكيف صيغة تعجب من حال الشخص الذي يغتر في الدنيا بحلو مشوب بالضراء والاشغال ، أي : الحزن والكدر ، فهي دار منغصة لا يتم فيها سرور، فإنها إذا أضحكت أبكت وإذا أسرت أحزنت ، فالعاقل من لا يغتر بما فيها من حلو الذاهب المنغص ، وما أجمع ما قال الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد باعلوي نفع الله به :

هذه الدار ما فيها سرور ... قط تخلو عن أخلاط الكدر
كل من حبها عقله يدور ... في خلال المزابل والقذر
لا تعرج على دار الغرور ... واجتنبها ووافق من صبر
واجعل الزهد زادك والوطن ... فهو رأس العناية والغنى

ثم قال رضي الله عنه :

فحسبُهُ مما يراه الفَوْتُ ... ما أكثر القُوتَ لمن يموتُ
فالرزق بالإجمال لا يفوتُ ... ولا يزيدُ القَسْمُ باستعجالِ

(**فحسبه مما يراه الفوت**) أي: فحسب الإنسان الميت الفاني مما يراه ويعظم في عينه من زينة الدنيا من المال والجاه والتنعم بها أن ذلك كله فائت وفانٍ ومتلاشٍ ، فإذا كان الحال والأمر كذلك قال رضي الله عنه (**ما أكثر القوت لمن يموت**) أي: إن قدر الكفاية في حق من يموت ويفنى كثير ، لأن الإكثار من الدنيا وإنفاق الأوقات في جمعها والسعي لها موقعٌ في التعب والنصب في الدنيا والعذاب الأليم في الاخرة إذا كان جمعها من حرام أو شبهه ، والحساب الطويل إذا جمعت من الحلال .

وفي كلام الناظم نفع الله به الإشارة إلى ما حكاه الإمام الغزالي رحمه الله في ((الأربعين الأصل)) في مبحث الزهد عن نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام أنه اتخذ بيتاً من خوص ، فقيل : لو بنيت بيتا ، فقال : هذا كثير لمن يموت ، وقد ورد عنه صلى الله عليه

وسلم أنه قال : (ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال : بيت يسكنه ، وثوب يواري عورته ، وجِلْفُ الخبز والماء) والجِلْف - بكسر الجيم وسكون اللام بعده - غليظ القوت وخشنه ، وقال سلمان رضي الله عنه : عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا قال : (ليكن بُلْغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب) ، وقال صلى الله عليه وسلم (طوبى لمن هُدِيَ للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به) قال بعضهم : الكفاف شِبَع يوم وجوع يوم ، وقال صلى الله عليه وسلم (عرض عليّ ربي ليجعل بطحاء مكة ذهباً، قلت : لا يارِبّ ولكن أشبع يوما وأجوع يوما ، أو قال : ثلاثا ، أو نحو هذه ، فإذا جعتُ تضرعتُ إليك وذكرتك ، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك) وعنه صلى الله عليه وسلم : (فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يُخبّون رزقَ سنتهم ويضعف اليقين) ، ثم قال (إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات ...) الحديث ، وورد (ينادي مناد : دعوا الدنيا لأهلها ، دعوا الدنيا لأهلها ، دعوا الدنيا لأهلها ، من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر) .

وقوله رضي الله عنه : (**فالرزق بالإجمال لا يفوت**) ففيه الإشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم : (أجملوا في الطلب فإن كلاًّ ميسّرٌ لما خلق له ، فالرزق مقسوم بين العباد ما بين موسع ومضيق ، فمن رضي القسمة الإلهية فله الرضا ، ومن سخط فله السخط) وقد ورد (إن القناعة كنز لا يفنى) وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم (إن الجنين إذا نفخ فيه الروح أمر الملك بكتب رزقه وعمله وأجله وشقيٌّ أو سعيد) .

وقوله رضي الله عنه : (**ولا يزيد القسم باستعجال**) فيه إكمال لما مرّ من أن الرزق المقسوم لا يزيد باستعجال العبد له إذ كل شيء مرهون بوقت فلا يتقدم عنه ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص كما دلت على ذلك الآيات والأخبار ، قال سيدنا الإمام الحبيب أحمد بن زين الحبشي باعلوي في ((شرح الوصية)) : والأرزاق جمع رزق وهو ما ينتفع به ، يقال : رزقه الله أي : أوصل إليه رزقا ، والرزق حسي ومعنوي ، فالحسي ما ينفع البدن ، والمعنوي ما ينفع القلب ، فالرزق الظاهر هو الأقوات والأطعمة ، والرزق الباطن هو المعارف

والمكاشفات وهو الأشرف ، لأنه ثمرة الحياة الأبدية، وثمرة الظاهر قوة الجسد إلى مدة قريبة انتهى . ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

وويحُ مملوكٍ لحرصٍ وطَمَعْ لم يعتبْر بما جرى فيمن جَمَعْ

كم جامعٍ مالا عظيما ما انتفعْ به وصار للعدوِّ القالي

قوله : (**وويح مملوك لحرص وطمع**) ويح : كلمة زجر ، مملوك للحرص على الدنيا والطمع فيها إما في جمعها وإما في جاهها ورياستها كما مر ذلك ، قال صاحب ((الحكم)) : ما بسقت أغصان ذل إلا من بذر طمع .

وقال الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به : دعاوى الحرص على الدنيا ثلاثة :

أحدها : النظر إليها بعين الاستحسان وعنه يكون حب البقاء للتمتع .

والثاني : تعظيم الناس لأربابها ومنه يكون التكاثر والتفاخر .

والثالث : توهم أن لا قوام بدونها وعنه ينشأ البخل وخوف الفقر انتهى . والحرص والطمع متقاربان وهما بابان مفتوحان إلى قلب الإنسان لدخول الشيطان نعوذ بالله منه . وقال في ((الحكم)) أيضاً : أنت حر مما أنت منه آيس وعبد لما أنت له طامع ، قال الشيخ ابن عباد في ((شرح الحكم)) المذكورة : والطمع من أعظم آفات النفوس وعيوبها القادحة في عبوديتها بل هو أصل جميع الآفات لأنه محض تعلق بالناس والتجاء إليهم واعتماد عليهم وعبودية لهم وفي ذلك من الذل والمهانة ما لا مزيد عليه ، ولا يحل لمؤمن أن يذل نفسه ، والطمع مضاد لحقيقة الإيمان التي تقتضي وجود العزة ، وقال أيضاً : الطمع في الشيء دليل على الحب له وفرط الاحتياج إلى نيله وذلك عبودية له ، كما أن اليأس من الشيء دليل على فراغ القلب منه وغناه عنه حرية منه فالطامع عبد واليائس حر ، ولهذا قيل : العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع ، ولولا الأطماع الكاذبه ما استعبد الأحرار بكل شيء لا خطر له ، وقال الحسن البصري : ملاك الدين الورع وفساد الدين الطمع ، وقال أبوبكر الوراق : لو قيل للطمع : من أبوك؟ لقال : الشك في المقدور ، ولو قيل : ماحرفتك؟ ، قال : اكتساب

الذل ، ولو قيل له : ما غايتك ؟ قال : الحرمان ، وقال أبو الحسن الوراق النيسابوري : من أشعر نفسه محبة شيء من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع ومن طمع منها في شيء ذل وبذله يهلك وقد قيل :

أتطمع في ليلى وتعلم إنما ... تقطِّعُ أعناقَ الرجال المطامع

فالطامع لا محالة فاسد الدين مفلس من أنوار اليقين .

وقوله رضي الله عنه (**لم يعتبر بما جرى فيمن جمع**) أي: إن هذا الحريص الطامع الجامع المانع لم يعتبر بمن جمع الأموال فأتت عليها الآفات إما ماء أو نار أو سارق أو غاصب ففاتت عليه فبقيت حسرتها واحترق بفراقها أو مات وخلّفها ولم ينتفع بها ، كما قال رضي الله عنه (**كم جامع مالا عظيما ما انتفع به وصار للعدو القالي**) وكما قال الشيخ الحبيب عبد الله الحداد في القصيدة التي مطلعها : إن القناعة كنز ليس بالفاني :

ليس الغني كثير المال يخزنه ... لحادث الدهر أو للوارث الشاني

ويجمع المال من حل ومن شُبَهٍ ... وليس ينفق في بر وإحسانِ

يشقى بأمواله قبل الممات كما ... يشقى بها بعده في عمره الثاني

إن الغنيَّ غنيُّ النفس قانعُها ... موفر الحظ من زهد وإيمان

والانتفاع قسمان : إما في الدين بالإنفاق في وجوه الخير وبذل المعروف ، وإما في النفس والمروءة بالستر والصيانة ، وأما الذي ينفق المال في المعاصي والشهوات والعياذ بالله فليس ينفع .

وقوله (**وصار**) أي : ذلك المال المجموع من حل أو حرام أو شبهة (**للعدو القالي**) أي: من قريب أو بعيد ، فالعدو اسم لمن يسعى في مفاسد غيره وهلاكه في الدار الآخرة وإن كان قريبا إليه من والد وولد أو غيرهما فذلك عدو قالي ، أي : أنه بسبب عداوته مجانب لمن تجب أو تستحب له موالاته ، فهذه الخصلة من أعظم آفات المال الذي لا ينتفع به لا في دين ولا في آخرة لكون محبوبه صار إلى عدوه وإلى ذلك يشير قوله تعالى ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ (التغابن/ ١٥) وفي الأخرى﴿ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ ﴾ (التغابن/ ١٤).

ثم قال رضي الله عنه :

وكيف مَنْ لم يدر ما يجري بِغَدْ ولا متى الموتُ وفي أي بَلَدْ

يلهو بمال أو نساء أو وَلَدْ عنه وما يتلوهُ من أهوالِ

قوله : (**وكيف من لم يدر ما يجري بغد**) أي : في الزمن المستقبل من خير وشر ونفع وضر فينبغي أن يفوض الأمور إلى الله تعالى ويحرص على الاستعداد للموت القاطع للآمال.

قوله: (**ولا متى الموت وفي أي بلد**) أي : لا يدرى متى يأتيه الموت ولا في أي بلد يأتيه، قال تعالى ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (لقمان/ ٣٤).

قوله: (**يلهو**) أي : يغفل (**بمال أو نساء أو ولد**) أي : فكيف من هذا حاله يلهو بمال ، وهو يطلق على كل ما يملك ويقتنى ، أو نساء والمراد بهن في الأكثر الزوجات ، أو ولد ، وقد جمع الله هذه الثلاثة في قوله تعالى﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾ (آل عمران/ ١٤) أي: المرجع ، فينبغي للمؤمن العاقل الحريص على ابتغاء مرضات الله والدار الآخرة أن يسعى لها سعيا حثيثا بتقديم الأعمال الصالحة التي هي الأسباب في تحصيل ذلك وتوقفه عليها كما دل على ذلك صريح الآيات والأخبار والآثار ، فإن العبد إذا لهى بدنياه أو شهواته وهواه عن ما ينفعه في أولاه وأخراه خسر خسرانا مبينا وكان في حاله للشيطان قرين فيستحوذ على قلبه ويستولي على عقله ولبه ويصير حينئذ من حزبه نعوذ بالله من ذلك .

وقوله (**عنه وما يتلوه من أهوال**) أي : كيف يلهو بما ذكر عن الموت وما بعده مما هو أشد منه من القبر ووحشته وشدة ضغطته وعن روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر جهنم وعن الأهوال التي بعده من النشر والحشر والقيامة والحساب وغير ذلك من الأهوال التي تشيب من هولها الأطفال وتكِعُّ منها الشجعان من الرجال .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

الرشفة الثامنة:

[في الحث على الإقبال على الله سبحانه وتعالى]

رَشْفَةٌ مِنْ سُلَافَةِ أَسْلَافِهِمْ   وَ نَسْمَةٌ مِنْ طِيْبِ أَعْرَافِهِمْ

قوله (رشفة)مر معناها (**من سلافة أسلافهم**) السُّلافة من أسماء الخمر المكنىّ عندهم بالمحبة وما يثمره من السكر (**أسلافهم**) أي: أئمتهم في هذا الشأن .

قوله : (**ونسمة من طيب أعرافهم**) أي: من روائح طيبات ما كانوا عليه من الهداية والرواية والدراية ، ونتائج ذلك من روائح المعارف واللطائف والرقائق والحقائق التي لاقوها وتخلقوا وتحققوا بها وذاقوها (**من أعرافهم**) جمع معرفة وهي الاختبار بحقيقة أحوالهم ، ويحتمل كونها من العَرف - بفتح العين - وهو الرائحة ، وبضمها وهو المعرفة .

ثم قال رضي الله عنه :

وليس ينجو العبدُ من كلِّ الرَّدَى   إلا إذا بالحق في الصدق اهتَدَى

فسوف يُعطى كلَّ فوزٍ وهُدَى   بالفضل في الحالِ وفي المآلِ

قوله (**وليس ينجو العبد من كل الردى**) وليس ينجو أي : من النجاة وهي السلامة من الردى وهو الهلاك ، والردى يطلق على الحسي وهو ما يحصل على الإنسان في بدنه من كل مؤلم ، ومعنوي وهو ما يجري على عرضه ودينه مما ينقصهما ويعيبهما .

قوله: (**إلا إذا بالحق في الصدق اهتدى**) يحتمل أن مراده في قوله : إلا إذا بالحق أي: بالله ، أو الذي هو ضد الباطل في الصدق ، أي: في معاملة الحق بالصدق وهو مجرد إخلاص العمل لله عز وجل اهتدى أي: هديَ رشد إلى الصواب فيه والعمل به .

قوله: (**فسوف يعطى كل فوز**) أي: فسوف يعطى بما عمل به وهُدِيَ إليه الفوز في الدنيا برضى الله واستقامة حاله وفي الآخرة بالثواب الجزيل الوافر (**وهدى**) أي: ويهتدي إلى كل ما يريده من الخير العاجل والآجل .

قوله: (**بالفضل في الحال وفي المآل**) بالفضل : أي : بالزيادة ، في الحال : وهو ما يشمل العاجل والمستقبل ، أي: جميع حياته ، والمآل : الآتي والآجل ويشمل أيضاً المستقبل في حياته وبعد مماته ، فمعنى الفوز أنه يشمل النجاة ويستدعي السعادة لأن المراتب كما ذكر الإمام الغزالي ثلاث : النجاة ، والفوز ، والسعادة ، ومثّل للأولى بأن ينجو الشخص بنفسه، والفائز بأن ينجو بنفسه وخاصته ، والسعيد الذي يحصل له ما هو للفائز ثم يخصه الملك بولاية . ثم قال رضي الله عنه :

لكنَّهُ ليس له ذريعهْ إلى هدىً أو رتبةٍ رفيعهْ

إلا اتباعُ الدين والشريعهْ وقصدُ وجهِ الله ذي الجلالِ

قوله : (**لكنه ليس له ذريعة**) لكنه أي: الواصل إلى أحد المراتب الثلاث المذكورة أو كلها ليس له ذريعة وسيلة ولا سبب إلى الهدى بنور الإيمان ومراتبه الرفيعة إلا باتباع الدين وهو الإسلام والإحسان كما مر ، ويطلق على الثلاثة اسم الشريعة المطهرة وهي ترادف معنى الدين وترادفهما الملة ، ومعنى الدين أنه يدان به ، أي: يعمل به ، والشريعة مأخوذة من مشرعة الماء وهو محل مروره ، والملة لأنها تُملى وتتلى ليعمل بها ، والاتباع هو الاقتداء والاقتفاء برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله ولأصحابه من بعده حكم ما سنه وبينه صلى الله عليه وسلم ، ومنه قول الصحابي والتابعي : من السنة كذا ، فحكم ذلك حكم المرفوع وفي مرتبته ، ومما يحكى عن الإمام عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان أعلم الصحابة بالمناسك أنه حج في بعض السنين فجعل يستدير على ناقته بشجرة ، فسئل عن ذلك فقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أو غيرها وقف عند هذه الشجرة وكانت راحلته ترعى منها فاستدارت بها فكان رضي الله عنه جعل ذلك من السنة ، فإن الصحابة رضوان الله عليهم لا يرون شيئا من أحواله صلى الله عليه وسلم عبثا سواءً كان من الأقوال أو الأفعال ، وأشار رضي الله عنه إلى ما ذكرناه بقوله (**إلى هدى أورتبة رفيعة إلا اتباع الدين والشريعة**) وقد مر بيان ذلك وتفصيله .

وقوله : (**وقصد وجه الله ذي الجلال**) أي: أن ذلك الاتباع والاقتفاء لا يفيد في الدنيا ولا في الآخرة ولا في تنوير السرائر وما يظهر منها على الجوارح والظاهر إلا مع قصد وجه الله تعالى في النية والقول والعمل ، ذي الجلال أي: العظمة والكبرياء والقهر والبطش الشديد فإنه إذا استشعر العامل عند أداء عمله على الوجه المشروع اطلاع الله تعالى عليه وأنه هو تعالى هو المثيب على العمل بما وعد به مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أخلص العالم العامل عمله لوجهه تعالى من غير التفات إلى غيره مما لا يملك له نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، فالنافع من العمل الذي يكون سببا لرضاء الله تعالى والدار الآخرة هو ما كان أداؤه بالنية والإخلاص والصدق ، وتفصيل ذلك ودقائق مسائله وأحكامه وحقائقه في كتب الإمام الغزالي رضي الله عنه ، وماجاء على نظمها من سائر كتب الأئمة الأعلام ومنهم سادتنا آل أبي علوي ، ومن أئمتهم وأعلامهم المحققين صاحب المنظومة رضي الله عنه ونفعنا به وبهم ، ثم قال رضي الله عنه :

فليستجبْ لله ذو الإنابَهْ فربُّه مَدَّ له أسبابَهْ

إلى الهدى بفتحه أبوابَهْ له إلى كل مقام عالي

قوله : (**فليستجب لله ذو الإنابة**) أي: فليستجب لله وينيب إليه ذو الإنابة وهي الإقبال على الله بطاعته مع كمال الخشوع والخضوع لجلاله وهيبته فإنه لا ينيب إليه تعالى عبد إلا وقد دعاه إلى ذلك ويسره عليه ، قال الله تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ (الشورى/ ١٣) ومعنى أناب عاد إليه بعد الإعراض والتواني ، ودليل الإعانة للعبد من الله تيسير أسباب الطاعة والاحسان فيها ، ومن ذلك إذا كان ساعيا في عون أخيه المسلم كما في الحديث (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) وكما قال :

إذا كان عون الله للعبد لم يجد عسيراً من الآمال إلا ميسرا

قوله: (**فربه مدّ له أسبابه**) أي: أنه إذا أراد الله عون العبد على طاعته من العلم والعمل مد له أسباب ذلك ، أي: يسر له ذلك وهي الكفاية والعقل والصحة والفراغ ، قال صلى الله عليه وسلم (خصلتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ) وقال

بعضهم : أسباب تحصيل العلم أربعة : عقل رجّاح ، وشيخ فتّاح ، وكُتبٍ صِحَاح ، ومداومة وإلحاح .

قوله: (**إلى الهدى بفتحه أبوابه**) أي: إن الله تعالى إذا أراد بعبده خيرا جذبه إليه فأول الجذبة الربانية التي هي بداية الهداية أن يقذف الله في قلبه نورا ينشرح به إلى الإقبال عليه والإنابة إليه كما مر في الحديث (إذا دخل النور في قلب العبد انشرح وانفسح) كما وقع ذلك لأكابر الصحابة فبعضهم انجذب إلى الإسلام وهو يعبد هبل وبعضهم اللات والعزى ، وبعض أكابر الصوفية كان لصّاً وبعضهم كان منهمكا في شرب الخمر واللهو والطرب إلى غير ذلك ، كالفضيل ابن عياض وإبراهيم ابن أدهم وغيرهما من أكابر الصوفية ، وهذا الجذب هو المعبر عنه بفتح الباب .

قوله: (**له إلى كل مقام عالي**) أي: أن الحق سبحانه وتعالى فتح الأبواب للذين سبقت منه العناية بهم والمحبة لهم أبوابا دخلوا منها عليه وذلك بعد أن زكاهم وطهرهم عن رذائل الأخلاق فتح لهم باب التوبة والإخلاص إلى آخر المقامات السبع التي أولها التوبة وآخرها الأنس بالله ، فنالوا المطالب وحازوا رضى الله المحبوب . ثم قال رضي الله عنه :

فـإنَّ هـذا العـالَمَ الإنسـاني ... خُـصَّ بمحـض الفضـل والإحسـانِ

بالعقـل والعلـم وبالبيـانِ ... بـالوحي والإنبـاء والإرسـالِ

(**فإن هذا العالم الإنساني**) أي: فان هذا العالم الإنساني قد خصه الله تعالى من معرفته ومحبته بالفضل العظيم والإحسان الجسيم فإنه أشرف أنواع العقلاء والبهائم والجمادات ، إذ معتقد أهل السنة أن خواص البشر كالأنبياء أفضل من خواص الملائكة وهم كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعوام البشر أفضل من عوام الملائكة كأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وعند الله تعالى علم حقائق الأشياء وهو الذي يختص برحمته من يشاء ، كما قال رضي الله عنه (**خص بمحض الفضل والإحسان**) أي: أنه خصه الله بمحض الفضل والإحسان ، وتفريع ذلك وتنويعه طويل الذيل عزيز النيل قال تعالى ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (إبراهيم/ ٣٤) .

قوله: (**بالعقل والعلم وبالبيان**) أي: أن الله تعالى فضل نوع الإنسان بالعقل الذي هو نصف العلم وبه تدرك المعنويات والمحسوسات ويتميز به الحسن من القبيح والصحيح من الباطل وبه تتلقى العلوم الشرعية والأدبية والمعارف الربانية فهو زينة الإنسان وخاصيته للتعرف والتعريف والبيان.

قوله: (**بالوحي والإنباء والإرسال**) أي: أن الله سبحانه وتعالى خصه أي: نوع الإنسان بالوحي الذي هو للأنبياء بواسطة المَلَك ، والإلهام للأولياء والأنبياء ، والإرسال ، أي: الإعلام منه تعالى بما شرعه لعباده وإرسال الرسل بتبليغ ذلك والإرشاد إليه .

ثم قال رضي الله عنه :

[في العناية الإلهية بخلقه]

ولم تــــزلْ معـــارجُ الهدايـــةْ فيـــه لـــه بـــالحق والرعايـــةْ

رســـالةٌ نبـــوةٌ ولايـــةْ تنجيـه مـن زيـغ ومـن ضـلال

قوله : (**ولم تزل معارج الهداية**) المعارج والعروج والمعراج تطلق على المصاعد أو الصعود والترقي شَبَّه رضي الله عنه أن للهداية معارج يرقى منها إليها وهو النور المذكور في قوله: صلى الله عليه وسلم (إن النور إذا دخل في القلب انشرح له وانفسح..) إلى آخره .

قوله: (**فيه له بالحق والرعاية**) فيه أي: المجذوب السالك أو السالك المجذوب بالحق أي: بالاهتداء إلى كل صواب ورشد وحق إذ الحق هو ما وافق الشرع واطمأنت إليه النفس ، والرعاية هي ملاحظة الرب تعالى للمريد من بدايته إلى أجل نهايته، ومعنى النهاية: الوصول إلى الله تعالى بالمعرفة والشهود .

قوله: (**رسالة نبوة ولاية**) أي: أن الرعاية المار معناها لصاحب الرسالة في بدايته أو بالإرهاص الذي هو الخارق للعادة قبل النبوة وبعدها يسمى معجزة وفي حق الولي تسمى كرامة ولسائر المؤمنين تسمى معونة ، فالنبوة هي الوحي مطلقا والرسالة الوحي مع الأمر بالتبليغ والولاية فيها تولي الحق لعبده المخلص له في علمه وعمله ، وتعريف العلماء للرسول أنه من البشر ذكر حر أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه والنبي مثله إلا أنه لا يؤمر

بالتبليغ ، وأما الولاية فقال المناوي في كتابه ((التوقيف على مهمات التعريف)) الولاية : قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه انتهى ، وقال في ((شرح الجوهرة)) للشيخ إبراهيم اللقاني : الولي عرفا : هو العارف بالله تعالى وبصفاته حسب الإمكان المواظب على الطاعة المجتنب للمعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات المباحة .

قوله: (**تنجيه من زيغ ومن ضلال**) أي: أن الولاية التي هي رعاية الله لعبده تنجيه من الزيغ ، قال المناوي : الزيغ الميل عن الاستقامة والانحراف عن جهة الصواب انتهى ، والضلال العدول عن الصراط المستقيم وتضاده الهداية ، ثم قال رضي الله عنه:

[في ذكر شرف مقام النبوة]

فالأنبيا بالمنصبِ المنيفِ — جاؤوا بكل مرشد مُنيفِ

خُصُّوا بوحي الحق والتعريفِ — بالوهب لا بالكسبِ والأعمالِ

قوله (**فالأنبيا بالمنصب المنيف**) فالمنصب موضع الشرف ، وجمعه مناصب والمناصب أربعة : منصب النبوة والولاية والعلم ومنصب الإمام العادل ، والمنيف المحل العالي معنوي أو محسوس .

قوله: (**جاؤوا بكل مرشد منيف**) أي: أتوا بكل ما يرشد ويدل ويهدي إلى الخير الدنيوي والأخروي وهو الرُّشد - بضم الراء - وإما بفتحها فهو خاص بالخير الديني الأخروي ويعبر عنهما بحسن التصرف في الأمر حسا أو معنى ، والشرف الرفعة والعلو . وقوله جاؤوا عائد إلى الأنبياء وإلى ورثتهم .

قوله: (**خصوا بوحي الحق والتعريف**) أي: أن الأنبياء خصوا بالوحي من الله تعالى بواسطة الملك كما مر وبالتعريف ، أي: تعريف الله لهم بما أرسلوا به وتعريفهم لأممهم .

قوله: (**بالوهب لا بالكسب والأعمال**) أي: وذلك إنما أوتوه الأنبياء من الوحي بالوهب أي: بمحض الفضل من الله تعالى لا بالكسب وهي الأسباب التي توجب الجزاء ولا بالأعمال بل بسابق عناية ربانية سبقت لهم في الأزل قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (الأنعام/ ١٢٤) وقال اللقاني في منظومته ((الجوهرة)) :

ولم تكـن نبـوة مكتسـبه ولـو رقـى في الخـير أعـلى عقبـه

بـل ذاك فضـل الله يؤتيـه لمـن يشـأ جـل الله واهـب المـنن

وفي شرحها له : أن الولاية غير مكتسبة كما قاله بعض المتأخرين انتهى ، ولكن في ((عمدة المحقق)) للناظم رحمه الله : أن النبوة والرسالة غير مكتسبة وأن مادونهما كالولاية مكتسب ، قال نفع الله به :

والأول آدم ثـم الختم أحمـد والـ ـوصفان ليسا بكسب دون ما نزلا

والله أعلم بحقائق الأمور ، ثم رأيت في ((شرح الجوهرة)) المذكورة : فإن قلت : فهل الولاية كالنبوة في أنها لا تنال بالكسب أيضاً ؟ قلت : صرح بعض المتأخرين بأنها كذلك ولم أره لغيره ، فإن قلت :جميع الأمور لا تنال بمجرد الكسب بل لا بد من سبق القلم والإراده الأزليين بنيلهما وإلا لم تنل حتى أرباح المال في المتاجر فما الخصوصية للنص على النبوة ؟ قلت : الخصوصية التصريح بالرد على المخالف فيها مع كونها من أجل المعتقدات الإيمانية ، وأما غيره فليس كذلك ولم يقع فيه خلاف بموجب النص بالرد على المخالف فيه والله أعلم انتهى . وقد صح أن عددهم مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألفا والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر ، وقيل : وخمسة عشر عدد أصحاب بدر ، وكلهم معصومون عن الصغائر والكبائر وبما يخل بالمروءة وعن دناءة أب وخنا أم كما قال رضي الله عنه :

تنـزهوا عـن سـائرِ العيـوبِ وجهـلِ علـمِ الـدينِ لا الغيـوبِ

وعُصـموا عـن جملـةِ الـذنوبِ في القصـدِ والأقـوالِ والأفعـالِ

قوله : (**تنزهوا عن سائر العيوب**) النزاهة : البراءة ، والعيوب : جمع عيب ، وهو النقص والوصمة كما مر ، أي: تقدسوا عن جميع ذلك .

قوله: (**وجهل علم الدين لا الغيوب**) أي: وتنزهوا عن جهل علم الدين وهو ما أمروا بالعمل به وأرشدوا إليه فإن ذلك لا يكون عن جهل بل عن علم من جهة الوحي والإلهام .

قوله: (**لا الغيوب**) فإنهم لا يحيطون بعلم الغيب كما قال تعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ (البقرة/ ٢٥٥) .

وقد سئل الحبيب الشيخ عبد الله بن علوي الحداد نفعنا الله به عن القطب الغوث هل يعلم جميع المغيبات إجمالاً وتفصيلا أم لا ؟ فأجاب : أنه لا يعلم ذلك لا بالإجمال ولا بالتفصيل إلا بما علمه الله تعالى به ، ويفضل على سائر أهل الدوائر لكونه خليفة الله في أرضه ويتصرف بما شاء بإذن الله تعالى لا على الإطلاق، كما ورد في الرسل في قوله تعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ (الجن/ ٢٦-٢٧) .

قوله : (**وعصموا عن جملة الذنوب**) الكبائر بالإجماع والصغائر على الراجح .

قوله : (**في القصد والأقوال والأفعال**) والقصد ، أي: النية فلا يخطر ببالهم ولا على قلوبهم إلا كل حسن فهم منزهون في مقاصدهم عن القصد القبيح وكذا في أقوالهم وأفعالهم سواء كانت عبادة أو عادة كما يكون ذلك بالحفظ للأولياء ، ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

وقد أتى منهم كرامُ الرسْلِ بكلِّ هَدْيٍ فاضلٍ وفضْلِ

وكلِّ شَرْعٍ فاصلٍ وفَصْلِ فَبَلَّغُوا ما حُمِّلُوا من حالِ

قوله : (**وقد أتى منهم كرام الرسل**) قوله: (**كرام الرسل**) من إضافة الصفة إلى الموصوف والمعنى أن الرسل الكرام منهم أتى ، أي: جاؤوا (**بكل هدى فاضل وفضل**) الفضل معناه : الزيادة في الخير والمعروف والحسن من واجب ومندوب والهدى والاهتداء والدلالة إلى ذلك الاهتداء إلى ذلك العلم والعمل به والهدى والإرشاد إليه .

قوله: (**وكل شرع فاصل وفصل**) الشرع : الطريق المحمود الجامع للأحكام والأعمال ، وقوله فاصل وفصل أي: أنه فاصل بين الحق والباطل وفصل - بالصاد المهملة - أي: موجز ومحكم .

قوله: (**فبلغوا ما حملوا من حال**) أي: فبلغ الرسل ما أمروا بتبليغه من الشرائع وهو الحال الذي حملوا به، أي: حملوه وكلفوه. ثم قال رضي الله عنه:

فـأظهروا كـلَّ منـيرٍ شـارِقِ وأُيِّـدوا بـباهـرِ الخـوارِقِ
فقطعـوا كـلَّ مُعـادٍ مـارِقِ وكـلَّ ذي جحـد وذي إشـكالِ

قوله : (**فأظهروا كل منير شارق**) أي: فأظهروا من الدين كل منير شارق ، أي: أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لما جاهدوا وأظهروا من الدين كل منير شارق ، أي: ظاهر وذلك بعد خفائه وخموله فظهر مناره واستنار شعاره في كل ناد وإقليم فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرا .

قوله: (**وأُيدوا بباهر الخوارق**) وأيِّدوا ، أي: الرسل بباهر الخوارق ، وهو أيضاً من إضافة الصفة للموصوف ، أي: أيدوا بالخوارق الباهرة ، والخوارق جمع خارقة وهي التي تخالف العادة كالمعجزات المذكورة في القرآن ، كانقلاب العصا حيةً لسيدنا موسى عليه السلام وفلق الحجر وكانشقاق القمر للنبي صلى الله عليه وسلم نصفين دخل أحدهما من أحد كميه والآخر من الآخر ثم التئامه ورجوعه ، وغير ذلك مما هو مذكور في جملة من كتب السير والعقائد .

قوله: (**فقطعوا كل معاد مارق**) أي: أنهم بتلك الخوارق الباهرة والحجج الظاهرة قطعوا حجة كل معاد لهم مارق ، أي: مبتدع كذاب متردد شاك في دينه فلم تنهض لهم حجة ولا قامت لهم محجة .

قوله: (**وكل ذي جحد وذي إشكال**) أي: من الكفار والمنافقين الذين جحدوا شواهد الدين المتين وما فيه من الصدق والحق والتبيين باليقين المبين . ثم قال رضي الله عنه:

ففـي الـورى حبـلُ الهـدى موصـولُ بحقِهـم والحـقُّ لا يـزولُ
كـلَّ رسـولٍ بعـدهُ رسـولُ فحجـةُ الحـقِّ بهـم تُـلالي

قوله : (**ففي الورى حبل الهدى موصول**) ففي الورى ، أي: الخلق حبل الهدى ، أي: الحق والصواب موصول ، أي: متصل ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (لا تزال طائفة من أمتي قائمين بالحق لا يضرهم من ناوأهم حتى يأتي أمر الله) وفي رواية : (إلى يوم القيامة) وذلك شائع معروف مذكور في محاله .

وقد ذكر سيدنا الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد باعلوي نفع الله به في «الدعوة التامة» طوائف المجددين للدين من بعد زمانه صلى الله عليه وسلم إلى زمن الحبيب عبد الله المذكور ، وهو والناظم نفع الله بهما من أجل المجددين في وقتهما مع جماعة من السادة آل أبي علوي وغيرهم في كل قطر وزمان .

قوله: (**بحقهم والحق لا يزول**) أي: أن حبل الحق موصول بحقهم ، أي: بحق الأنبياء والرسل وورثتهم وبعنايتهم ورعايتهم له وقيامهم به فهم أساطين الدعوة إليه وسره وحفظه . كما قال رضي الله عنه : (**كل رسول بعده رسول فحجة الحق بهم تلالي**) وذلك لأنهم مؤيدون بالحجج القاطعة والمعجزات الباهرة التي لا يعارضها جحد الجاحدين ولا إنكار المنكرين ، فالرسل من آدم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو بعضهم بعضا وليس بينهم اختلاف في معنى التوحيد والدعوة إلى معرفة الله تعالى وما يجب له من تنزيه الذات والصفات وكمالها له تعالى ، وإنما الاختلاف في الفروع والأحكام التي تتعلق بالعبادات والمعاملات وشواهد ذلك من الكتاب والسنة غير منحصرة .

ثم قال رضي الله عنه :

كلُّ رسولٍ قَامَ يدعو أُمَّهْ إما لوصلِ رحمةٍ أو نعمَهْ

أو لظهور حُجَّةٍ في نِقْمَهْ بالفضلِ أو بالعدلِ في اعتدالِ

قوله : (**كل رسول قام يدعو أمه**) أي: أن الرسل متفرقون في الأزمان فمنهم السابق ومنهم اللاحق كل رسول يدعو أمته ويبلغهم ما أمر بتبليغه ، قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ (إبراهيم/ ٤) ولذلك قال الناظم رحمه الله (**إما لوصل نعمة أو رحمة**) أي: لمن آمن به وصدق واتبع شريعته فتشمله نعمة الله ورحمته في الدنيا والآخرة .

وقوله : (**أو لظهور حجة في نقمه**) وذلك في حق الجاحد المعاند فيقابل بظهور الحجة وإقامة المحجة عليه ونزول النقمه به ، قال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ (الإسراء/ ١٥) .

وقوله : (**بالفضل**) أي : في حق أهل النعمة والرحمة (**أو بالعدل في اعتدال**) في حق المستحقين للعذاب والنقمة فالعذاب والنقمة قد يعجله الله لقوم في الدنيا وقد يؤخر إلى الآخرة ، وعلى كل حال فهم الضالون المغضوب عليهم لأنهم إما عرفوا الحق وأنكروه كاليهود وإما لم يعرفوه كبعض النصارى والمشركين من العرب .

ثم قال رضي الله عنه :

الرشفة التاسعة :

[في ذكر قدوة القوم وصفاته عليه الصلاة والسلام]

رَشْفَةٌ مِنْ بَحْرِ ذِكْرِ أَعْظَمِهِم وَ نَسْمَةٌ مِنْ نَشْرِ عِطْرِ أَكْرَمِهِم

قوله : (**رشفة من بحر ذكر أعظمهم ونسمة من نشر عطر أكرمهم**) وهو رسول الله محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

وقــــد أتانــــا خـــاتم الرســـالهْ	بكـــل مـــا جـــاؤوا بـــه مـــن حالـــهْ
فعَـــمَّ كـــلَّ الخلـــق بالدلالـــهْ	وأشرقـــتْ منـــاهجُ الكـــمالِ

قوله : (**وقد أتانا خاتم الرسالة**) أي: والنبوة فهو الذي ختم الله به الأنبياء والرسل فهو أولهم خلقا وآخرهم بعثا ، ومن خصوصيته صلى الله عليه وسلم أن جعل علماء أمته كأنبياء بني إسرائيل فهم لا يزالون مجددين للدين ويعملون به على تعاقب الأزمان والسنين.

قوله: (**بكل ماجاؤوا به من حالة**) أي: صلى الله عليه وسلم جاء بكل ما جاء به الرسل من قبله من الحالات التي تدعو إلى معرفة الله تعالى وتوحيده ، وقد جمع الله له علم الأولين والآخرين فهو صلى الله عليه وسلم المتبوع في كل ما جاء به من الواجب والمندوب قال تعالى ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (الحشر/ ٧) ، وقال تعالى ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (طه/ ١٢٣) وقال تعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ (النجم/ ٣-٤) وقال صلى الله عليه وسلم : (إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي فاستنطقوا القرآن بسنتي فإنها لا تعمى الأبصار ولن تزل أقدامكم ولن تقصر أيديكم ما أخذتم بها) .

قوله: (**فعم كل الخلق بالدلالة**) أي: أنه صلى الله عليه وسلم عم كل الخلق من أمة الدعوة بالدلالة ، أي: بالبرهان والحجة فأظهر الله به دين الحق حتى بلغت دعوته إلى أرض

قيصر والروم من بلاد الشام ، قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الصف/ ٩) .

قوله: (**وأشرقت مناهج الكمال**) أي: في الدين قال تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة/ ٣) فالحمد لله على دين الإسلام ونعمته يا لها من نعمة !! اللهم اجعلنا عليها من الشاكرين . ثم قال رضي الله عنه:

فكلُّهُ فضلٌ أتى ورحمهْ وكلُّه حُكْمُ هدىً وحِكمَهْ

وهو إمامُ كلِّ ذي مُهِمَّهْ وقدوةٌ في سائر الخصالِ

قوله : (**فكله فضل أتى ورحمه**) فكله أي: النبي صلى الله عليه وسلم فضلٌ تفضل الله به على عباده وجعله رحمة لهم ، كما قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأنبياء/ ١٠٧) أي: الخلق : المؤمن بما يختص به من تفضلاته تعالى من نور الهداية والدراية والعمل بمقتضى الحق والجزاء عليه في دار الثواب ، والكافر والجاحد لكونه صلى الله عليه وسلم رحمة لهم لأن لا يعاجلوا بالعقوبة في الدنيا .

قوله: (**وكله حكم هدى وحكمه**) أي: أنه صلى الله عليه وسلم كله حكم هدى ، أي: يهتدى به في الأقوال والأفعال والأحوال وحكمه ، أي: وأن أفعاله وأقواله وأحواله مبنية على الحكمة، والحكمة : إصابة الحق بالعلم والعمل ، فالحكمة من الله معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام ، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات بها ، قال ابن الكمال : الحكمة علم يبحث فيه عن دقائق الأشياء على ماهي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية فهي علم نظري عبراني ، انتهى من كتاب ((التوقيف)) للمناوي .

قوله:(**وهو إمام كل ذي مهمه**) أي: إمام كل من يهتم بأمورالدين ويتبعهاويعمل بها.

قوله: (**وقدوة في سائر الخصال**) أي: أنه صلى الله عليه وسلم الأسوة والقدوة لسائر المسلمين في سائر خصال الدين . ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

فَهْوَ بحقِّ الشكر ما أولاهُ إذ قام حتى وَرِمَتْ رجلاهُ

وواصـــلَ الصــــوم وقـــد أولاهُ   مــــولاه أولى الفضـــل والإفضـــالِ

قوله : (**فهو بحق الشكر ما أولاه**) أي: فهو صلى الله عليه وسلم قائم بحق الشكر على ما أولاه من النعم والخصوصيات التي انفرد بها عن الأنبياء وغيرهم والشكر جامع لنطق اللسان وعمل الأركان واعتقاد الجنان فهو بكل هذه الثلاثة قائم لله تعالى حسب ما أولاه وأنعم عليه به حتى أنه صلى الله عليه وسلم من غاية ما يحصل له اللذة والاستغراق في الصلاة قام فيها حتى تورمت قدماه كما قال : (**إذ قام حتى ورمت رجلاه**) أي: قدماه ، وكما جاء في الصحيحين : (أنه صلى الله عليه وسلم قام من الليل حتى تورمت قدماه ، فقيل له : أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا؟).

قوله: (**وواصل الصوم**) أي: أنه صلى الله عليه وسلم والى الصوم وتابعه ، فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يظن أنه لا يفطر ويفطر حتى يظن أنه لا يصوم ، وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم لا يتأثر بالصوم كغيره كما ورد عنه (إني لست كهيئتكم إني أبيت عند ربي فيطعمني ويسقيني) وورد في تقلله من الطعام وأخبر أنه بما قل منه يمكث الأيام والليالي لا يشبع فيها من خبز الشعير ويأتدم بالخل ، ومن خصوصياته أنه يواصل الصوم فلا يتخلل صومه بأخذ شيء من الطعام ، فهو صلى الله عليه وسلم لغلبة روحانيته على جثمانيته لذته في الذكر والصلاة وغيرها من أنواع العبادة كما قال : (وجعلت قرة عيني في الصلاة) فعدها من لذات الدنيا لأن كل ما يحصل من لذة في الدنيا وإن تعلق بالآخرة فهو مما يلائم الطبع إلا أن الفرق بينه وبين شهوات النفس ولذاتها أن ما يكون من أعمال الآخرة مع الإخلاص فهو لله تعالى وجزاه في الآخرة وما يكون من شهوات الدنيا والنفس فهو حظها وربما قد يكون تبعة يعاقب عليه في الآخرة .

قوله : (**وقد أولاه مولاه أولى الفضل والإفضال**) أي: أن الله تعالى تفضل عليه صلى الله عليه وسلم من بين سائر البشر بأولى الفضل ، أي: بأحسنه وأكمله والإفضال الزيادة

على غيره من البشر في ذاته وصفاته ، فقد أعطي قوة أربعين نبيا وأعطي المضاعفة في الأعمال له ولأمته إلى غير ذلك من خصوصياته صلى الله عليه وسلم . ثم قال رضي الله عنه :

وفي السخا كأنه البحرُ زَخَرْ — يعطي مئينا وأُلوفا من حَضَرْ

وما اصطفى لنفسه ولا ادَّخَرْ — إلا يسيراً وهو ذو العيالِ

قوله : (**وفي السخا كأنه البحر زخر**) أي: أنه صلى الله عليه وسلم في السخا وهو الجود والكرم كأنه البحر الزاخر ، أي: التيار الجامع للجواهر وما على صنف كل حيوان في البر فهو فيه ، فشبه جود النبي صلى الله عليه وسلم بالبحر الزاخر الذي لا ينقصه نزف الدلاء ولو اجتمع عليه جميع الملأ ، وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم (أجود بالخير من الريح المرسلة) وأنه أعطى رجلا غنماً بين جبلين ، كما قال رضي الله عنه : (**يعطي مئينا وألوفاً من حضر**) أي: وأنه صلى الله عليه وسلم لا يميز بعطائه ولا يخص به أحداً بل من حضر عنده جاد له بما يجده ولا يدخر لنفسه ، كما قال رضي الله عنه : (**وما اصطفى لنفسه ولا ادخر**) أي: أنه صلى الله عليه وسلم ما اصطفى لنفسه ، أي: ما خصها بشيء من المال الذي هو الصفوة وأعزه الذهب والفضة ولا ادخر له شيئا بل في آخر أمره يدخر لبيوته ما يكفيهم السنة كما قال رضي الله عنه (**إلا يسيرا وهو ذو العيال**) ومع ذلك قد لا يجد عندهم طعاما ، وكما ورد أنه (قد يطوف على أبياته التسعة فيقول : هل من غداء ؟ فإذا قالوا : لا ، قال : إذن أصوم) وأنه ربط الحجر على بطنه من الجوع ، وقد ذم صلى الله عليه وسلم الشبع فقال : (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن لم يفعل فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفَسه) .ثم قال رضي الله عنه :

وليس حبُّ الطيبِ والنكاحِ — إلا لجمع القلبِ والأرواحِ

ونسوةٍ عونا على الصلاح — يروينَ عنه أكرمَ الأحوالِ

قوله : (**وليس حب الطيب والنكاح**) أي : ليس حب الطيب والنساء معدودا لديه عليه الصلاة والسلام من الدنيا لأن الطيب غذاء الروح ومطايبة النساء كذلك ، كما قال :

(إلا لجمع القلب والأرواح) ولهذا ورد : (ركعتان من متزوج أفضل من سبعين ركعة من أعزب) أو ما هذا معناه .

قوله : (**ونسوة عونا على الصلاح**) أي: النسوة في حقه صلى الله عليه وسلم وفي حق غيره عونا على الصلاح وهو الاستقامة لأنهن يقمن بمؤن البيت ويستريح الرجل عند تكدر باله وتفريح قلبه فهن من هذا الوجه عون على الصلاح ، قال صلى الله عليه وسلم : (نعم المرأة الصالحة للرجل الصالح) .

وقوله : (**يروين عنه أكرم الأحوال**) التي لم يطلع عليها غيرهن غالبا ، أي: أن نساءه صلى الله عليه وسلم يروين عنه أكرم الأحوال كصلاته بالليل وأخلاقه الفاضلة الحسنة التي لم يشاركه فيها أحد فيقتدى به، فكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ممن ألفت في رواية الحديث عنه ، وقال فيها : (خذوا ثلث دينكم من الحميراء) و مراده بالحميراء أن وجنتيها تتوقد حمرة من حسن وجهها . ثم قال رضي الله عنه :

وأســـوةُ المكـــروب في اصـــطبارِ … في كـــل مـــا قاســـى مـــن الكُفَّـــارِ

حتـــى رُمـــي بـــالفَرْثِ والأحجـــارِ … ومـــا دعـــا إلا عـــلى رجـــالِ

قوله : (**وأسوة المكروب في اصطبار**) أي: أنه صلى الله عليه وسلم أسوة المكروب المقتدى به في صبره على ما حصل له من الكرب وهو كل ما تكرهه النفس ويحصل لها من الغم والضيق ، فإنه صلى الله عليه وسلم له من الصبر ما ليس لغيره .

قوله: (**في كل ما قاسى من الكفار**) فإنه عليه الصلاة والسلام قاسى من الشدائد وكابد من المكابد من طوائف الكفار ومشركي قريش وغيرهم أمورا عظيمة لا يصبر عليها من ذوي العزائم إلا الرسل ، وهي مذكورة في كتب السير ، فقد ورد (أنهم وضعوا السلاسل على ظهره وهو ساجد ورموه بالحجارة) كما قال الناظم رضي الله عنه : (**حتى رمي بالفرث والأحجار**) الفرث: ما في الكرش وذلك لكونه صلى الله عليه وسلم منفردا عن الأعوان والأنصار وكان عمه أبو طالب ينافح عنه ويمنعهم من إيذائه صلى الله عليه وسلم ما استطاع .

قوله: (**ومادعا إلا على رجال**) منهم عقبة بن أبي معيط ، وقد أشار صاحب الهمزية في قوله: خمسة كلهم أصيبوا بداء ..إلخ فلينظر ذلك من الكتب المؤلفة في ذلك .

ثم قال رضي الله عنه:

وسلوةٌ للمعسر المسكينِ إذ صَحَّ لم يشبع ولا يومينِ

وقد أبى جبالَها من عَيْنِ زهدا ومن جوعٍ طوى ليالِ

قوله : (**وسلوة للمعسر المسكين**) أي: أنه صلى الله عليه وسلم يتسلى به المعسر في المضائق لأنه صلى الله عليه وسلم لم يشبع ثلاثة أيام متوالية كما قال رضي الله عنه : (**إذ صح لم يشبع ولا يومين**) وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم اختيارا لا اضطرارا فقد عرضت عليه الدنيا بحذافيرها فردها وأباها وقال : (أجوع يوما وأشبع يوما) .

قوله: (**وقد أبى جبالها من عين زهدا**) وعرف بأنه أخذ أقل الكفاية مما يتيقن حله ، وعرضت عليه جبال مكة وبطحاؤها أن تكون له ذهبا فأباها ورغب عنها معرفة منه عليه الصلاة والسلام بأنها وما فيها لم تزن عند الله جناح بعوضة كما ورد ، لأن حقيقتها عنده صلى الله عليه وسلم وعند خواص أمته كالجيفة يتباعد عنها لنتن رائحتها وفساد لحمها ، وفي البيت معنى ما قاله البوصيري في بردة المديح : وراودته الجبال الشم من ذهب ..إلخ ، وورد عن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام أنه رضي طريق الفقر ولم يتخذ من الدنيا حتى المسكن ولا تزوج مدة حياته فقد رفع في بعض الليالي حجرا ليتوسده ، فقال له إبليس : لقد ركنت إلى الدنيا ، فقال : بماذا ؟ قال : إنك اتخذت حجرا لتتوسده ، فرمى به إليه . وحكي أنه جاء في ليلة ممطرة إلى خيمة فوجد فيها امرأة فعدل عنها إلى مغارة فوجد فيها أسدا فقال: يارب جعلت لكل مأوى ولم تجعل لي مأوى ، فقال له تبارك وتعالى : ياعيسى لأزوجنك من الحور العين ولأطعمن في عرسك كذا وكذا من السنين ، والحديث مشهور .

قوله: (**ومن جوع طوى ليالي**) كما في خبر أنس (أن فاطمة رضي الله عنها أتته عليه الصلاة والسلام بكسرة خبز فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام) وطوى كثير من خواص أمته ثلاثين يوما وأربعين يوما ، ذكره الحجة

الغزالي في ((الإحياء)) وذلك سر بركة الاتباعَ له صلى الله عليه وسلم إذ كان يبيت الليالي المتتابعة طاويا لا يجد عشاء . ثم قال رضي الله عنه :

ولم يــــزل في الحـــق في اجتهـــادِ وبعـــد فـــرض الغـــزو والجهـــادِ

مـــا قَـــرَّ في ظـــل ولا بـــلاد إلا عـــلى الكفـــار في قتـــالِ

قوله : (**ولم يزل في الحق في اجتهاد**) أي: أنه صلى الله عليه وسلم لم يزل في الحق ، أي: في إظهار الدين والعمل به في جهاد ، ومنه جهاد النفس لقوله صلى الله عليه وسلم عند رجوعه من بعض غزواته (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) وهو جهاد النفس.

قوله: (**وبعد فرض الغزو والجهاد**) أي: أنه صلى الله عليه وسلم بعد فرض الغزو والجهاد لم يزل يغزو المشركين ويجاهدهم حتى اتسع الإسلام في جميع الآفاق وبلغ إلى بلاد الروم والشام ، وقد سبق ذلك في علم الله كما ورد عن عطاء بن يسار عن كعب الأحبار قال : علمني أبي التوراة إلا سفرا واحدا كان يختمه ويدخله الصندوق ، فلما مات أبي فتحته فإذا فيه : نبي كريم يخرج آخر الزمان مولده بمكة وهجرته بالمدينة وسلطانه بالشام ، يقص شعره ويتزر على وسطه يكون خير الأنبياء وأمته خير الأمم ...) إلى آخر الحديث .

قوله: (**ما قر في ظل ولا بلاد إلا على الكفار في قتال**) أي: أنه صلى الله عليه وسلم لم يستروح إلى ظل في البلاد بل بذل نفسه في الجهاد ، فإنه غزا الغزوات الكثيرة وأرسل أصحابه بالسرايا فانتشر الإسلام في كل بلاد وأذل أهل الكفر والعناد حتى لم يبق له معاند ولا مضاد . ثم قال رضي الله عنه :

ومـــا مضى حتـــى أقـــامَ الـــدينا وصـــار ســـهلاً واضـــحا مبينـــا

فلـــم تخـــفْ أمتـــه فتُونـــا بـــل عُصِـمُوا في الجمـعِ عـن ضَـلالِ

قوله : (**وما مضى حتى أقام الدينا**) أي: أنه صلى الله عليه وسلم ما مضى إلى الآخرة حتى أقام الدين وأظهر شعائره ولم يترك شيئا من إرشاد المسلمين إلا بين ظاهره وباطنه ، كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة فقال : (إن الله تعالى حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا) .

قوله: (**وصار سهلا واضحا مبينا**) ليس فيه إشكال ولا له معارض لقيامه بالحجج والبراهين من السنة والقرآن الذي عجزت الفصحاء والبلغاء من العرب أن تأتي بسورة من مثله .

قوله: (**فلم تخف أمته فتونا**) أي: بعد ما أوضح لهم الدين وأبان لهم الشرائع لم تخف أمته فتونا في دينها ولا الشبه والشكوك في يقينها ، قال صلى الله عليه وسلم (تركتكم على محجة بيضاء ليلها مثل نهارها) فلم تخف دخول الشبه والشك في الدين إلا من حيث تلبيس علماء السوء على عوام المسلمين .

قوله: (**بل عصموا في الجمع عن ضلال**) لما ورد (أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة) حفظا من الله تعالى لها عن الزيغ والضلال ، وفي الحديث الآخر (لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق لا يضرهم من ناوأهم حتى يأتي أمر الله) .

ثم قال رضي الله عنه :

وصحبُهُ فهم لهم نجومُ — بهم عليهم فاضت العلومُ

كلٌّ له مقدرٌ مقسومُ — من ظاهرٍ أو باطنٍ أو حالِ

قوله : (**وصحبه فهم لهم نجوم**) أي: أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ، أي: لأمته نجوم يهتدى بهم ويستضاء بأنوارهم ، قال صلى الله عليه وسلم (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) ولا سيما الخلفاء الأربعة ، ثم سائرهم رضي الله عنهم .

قوله: (**بهم عليهم فاضت العلوم**) بهم ، أي: بالصحابة رضي الله عنهم ، عليهم ، أي: على الأمة التابعين ومن بعدهم فاضت العلوم من لديهم ، ومعنى الفيض : امتلاء الإناء بالشيء ثم يفيض على جوانبه ، كنى بذلك عن كثرة علوم الصحابة رضي الله عنهم وما تلقوه عنه صلى الله عليه وسلم من أفعاله وأقواله وما قيس عليها مما جمع شروط القياس الجلي والخفي ، وهو مذكور في فنه من أصول الفقه والدين .

قوله: (**كل له مقدر مقسوم**) أي: أنهم رضوان الله عليهم متفاوتون في التلقي عنه صلى الله عليه وسلم فمنهم المكثر ومنهم المقل ، أعني في علم الدراية والرواية والباطن

والظاهر ، فقد قال قائلهم : لوشئت لأوقرت من معنى البسملة سبعين جملا ، ولهم في ذلك مقالات تليق بمقاماتهم في العلم الكسبي واللدني كما قال (**من ظاهر**) وهو ما يجب أو يندب أو يجوز اقتناؤه (**أو باطن**) كذلك (**أو حال**)كذلك إلا أن بعض علوم الأسرار يجب كتمها كعلوم الحقائق التي لا يجوز إفشاؤها للعوام لأنهم قد يفتنون بها وقد لا يفهمون معناها . ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

والخلفاءُ بعده والعترهْ بهم مع القرآن مستمرَّهْ

ملَّتُهُ محفوظةٌ من فترَهْ على الهدى دأباً بلا انفصالِ

قوله (**والخلفاء بعده والعترة**) أي: أن خلفاءه وعترته وهم أهل بيته صلى الله عليه وسلم بهم ، أي: بالخلفاء والعترة مع القرآن مستمرة ، أي: مستمرة بمن ذكر علوم الدين وما يترتب عليها من الأعمال محفوظة من الزيغ والضلال ، والمراد بالخلفاء الأربعة أبوبكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم ملزما لأمته باتباعهم : (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ..) الحديث كما قال رضي الله عنه: (**ملته محفوظة من فتره**) أي: أن دينه صلى الله عليه وسلم محفوظ من أن يحصل فيه فتره يكون بها تعطيل شيء من أحكامه وعلومه وآياته وشعائره للحديث المار : (لا تزال طائفة من أمتي ...)إلخ ، كما قال رضي الله عنه (**على الهدى دأبا بلا انفصال**) بل إن ما ذكر من أعلام الدين مستمر في كل وقت وحال لا تعروه فترة ولا نقص ولا قصور وأهله مؤيدون بالحجج البالغة مستقيمون عليه إلى قيام الساعة .

ثم قال رضي الله عنه :

الرشفة العاشرة :

[في بيان أصل علم القوم وأنه الكتاب والسنة]

رَشْفَةٌ مِنْ مَنْبَعِ عُلُوْمِهِمْ وَ نَسْمَةٌ مِنْ مَطْلَعِ فُتُوْحِهِمْ

قوله : (**رشفة من منبع علومهم**) أي: ما يمتنع على قاصري الفهم والعلم فهْمُ وعلْمُ ما ذاقوه وبلغوا إليه من رقائق العلوم وحقائقها .

قوله: (**ونسمة من مطلع فتوحهم**) من مطلع ، أي: ناحية فتوحهم ، أي: أخذهم العلوم عن ربهم تبارك وتعالى لما حققوه من شأن التقوى ، كما قال تعالى﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة/ ٢٨٢) و في الآية الأخرى﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (البقرة/ ١٥١) وقوله صلى الله عليه وسلم : (من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم) . قال رضي الله عنه :

فإنَّ كلَّ العلم في القرآنِ الدائم الغضِّ مدى الأزمانِ

وسنةُ المختار في البيانِ له لدى الإدماجِ والإجمالِ

قوله : (**فإن كل العلم في القرآن الدائم الغض مدى الأزمان**) أي: أن كل العلم قد حواه القرآن لأن فيه علم الأولين والآخرين وهو الغض الطري في سائر الأزمان لا يَخْلِقُ بالترديد ولا يُمَلُّ بل شرب أهل الله وأهل القرآن من معانيه بالنهل والعل كما ورد في الحديث (فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم) والحديث الجامع في فضائل القرآن وعلومه وخصوصياته ، وهو مارواه الحارث بن الأعور رضي الله عنه : قال مررت في المسجد وإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي رضي الله عنه فأخبرته فقال : أَوَقَدْ فعلوها؟ قلت : نعم ، قال : أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أما إنها ستكون فتنة . قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى

الهدى من غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴾ (الجن/ ١-٢) من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم خذها إليك يا أعور) أخرجه الترمذي .

قوله: (**وسنة المختار في البيان**) أي: أن السنة وهي ماورد عنه صلى الله عليه وسلم من تفسير القرآن وبيان أحكامه قد فصلت ذلك إجمالا وتفصيلا ، والصحابة رضي الله عنهم وتابعيهم بإحسان بينوا ذلك وفرعوه وأصلوه وفصلوه .

قوله: (**له لدى الإدماج والإجمال**) أي: أن السنة النبوية بينت ما أدمج في القرآن ، والإدماج إيهام الكلام ، يقال : أدمج كلامه : أوهمه، وعرفا: تضمين كلام سبق آخر مدحا أو غيره ، والمجمل والإجمال إيراد الكلام على وجه لم يبين تفصيله ، وقيل غير ذلك . ثم قال رضي الله عنه :

فَهْـــوَ كـــوحيٍ دامَ بـــالغيوبِ والعُلَــما في الـــوعي في القلـــوبِ

كالأنبيـــاءِ في بنـــي يعقـــوبِ ومـــن دعـــا منهم كـذي إرسـالِ

قوله : (**فهو كوحي دام بالغيوب**) أي: أن معاني القرآن لا تتناهى بل هي فائضة على قلوب العلماء وألسنتهم في كل زمان ومكان وأنها كالوحي الذي هو مستكن في الغيوب ويتنزل على حسب الوقائع وأخذ العلماء لمعانيه لا ينحصر في زمن ولا في شخص بل في كل عالم منه ما لم يفهمه غيره كما هو ذلك معروف من تفاسيرهم ومعلوم من تقاريرهم فشبه به أنه كالوحي للأنبياء كما قال نفع الله به : (**والعلما في الوعي في القلوب كالأنبياء في بني يعقوب**) أي: أن علوم القرآن في العلماء كالوحي في أنبياء بني إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام فقد روي أن جميع الأنبياء من ذريته إلا نحو عشرة والرسل منهم ومن غيرهم ثلاثمائة وثلاثة عشر كما مر .

قوله: (**ومن دعا منهم كذي إرسال**) أي: أن من دعا منهم إلى الله وإلى توحيده وطاعته فهو كنبي ورسول ومن دعا من العلماء إلى معرفة الكتاب والسنة فهو لاحق بالرسل وله شرف وفضل على من عداه ، كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث : (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل) ثم قال رضي الله عنه :

ولم يــــزل ودينـــه جديـــدُ ... في كـــل قـــرن قـــائمٌ بعيـــد

تحديـــده وعلمـــه يفيـــد ... يـــدفع عنـــه ذا الجفـــاء والغـــالي

قوله : (**ولم يزل ودينه جديد**) أي: أن دين النبي عليه السلام وعلمه وهداه ورشده لم يزل جديدا غضا طريا كما مر .

قوله: (**في كل قرن قائم نعيد**) أي: أن دين النبي وأحكام القرآن لم يزل قائما ، أي: مستقيما لا اعوجاج فيه في كل قرن من القرون كحديث (إن الله يبحث لهذه الأمة في كل قرن من يجدد لها أمر دينها) ، وقد ذكر الشيخ الحبيب عبد الله الحداد في ((الدعوة التامة)) ما ذكره الإمام اليافعي في ((روضه)) العلماء المجددين من القرن الأول إلى عصره مع ذكر الاختلاف بين العلماء في تقسيمهم وعددهم .

قوله: (**تحديده وعلمه يفيد**) أي: أن تحقيق كل عالم مجدد وعلمه يفيد من في زمانه ويورث عنه لمن بعده كما ذكر معروف .

قوله: (**يدفع عنه ذا الجفا والغالي**) أي: يدفع عن الدين والقرآن الجافي له والغالي فيه ، أما الجافي فهو المعرض عنه المثبط للعاملين به ، والغالي فيه الذي يتجاوز الحد في العمل به وبيان معانيه فكلا الرجلين ورد الذم في حقهما . ثم قال رضي الله عنه :

ورحمـــةٌ تســـتُرُ كـــلَّ الأمـــةْ ... عـــن افتضـــاحِ ذي هـــوىً وظلمـــةْ

او اتضـــاحِ ريبَـــةْ أو وصْـــمَهْ ... يَظْهـــرُ عنـــد الـــوحي بابتـــذالِ

قوله : (**ورحمة تستر كل الأمه**) أي: أنه ، أي: القرآن رحمة يستر هذه الأمة عن الافتضاح الذي يحصل لسائر الأمم ، كما قال (**عن افتضاح ذي هوى وظلمه**) فلا يظهر ما أكنوه من الذنوب والمعاصي والأهواءز

وقوله : (**ذي هوى**) وهو المكر (**وظلمة**) وهو اسوداد القلوب والأبدان الحاصل لغيرهم من الأمم الماضية ، والمراد بذلك خصوصياتهم بالستر المذكور ، كما قال الناظم نفع الله به في ((عقيدته)) :

وإنا أمة خصت بستر وتكفير وتخفيف الثقال

فقد ورد : أن بعضهم إذا أذنب ذنبا يصبح مكتوبا على باب داره ، إلى غير ذلك مما ذكر في التواريخ والسير .

قوله: (**أو اتضاح**) أي: وضوح وبيان (**ريبة**) وهي الشك (**أو وصمة**) وهي النقص والعيب . قوله: (**يظهر عند الوحي بابتذال**) أي: إنما تظهر عند الوحي مما شأنه ظهور العيوب والنقائص ويكون المباشر له يوصف بالابتذال وهو عدم احترامه وخرم مروءته وعدالته ، فالأمة من بين سائر الأمم مرعية بالستر والحفظ مما كان يظهر وينكشف من الفضائح في الأمم السابقة وذلك ببركته صلى الله عليه وسلم إذ هو رسول الرحمة المؤيد بالعصمة وأمته مؤيدون بالحفظ والستر لقبائحها والصون لفضائحها ، وذلك كما قال الناظم في ((شرح العقيدة)) : إذ قبض الله نبيها قبلها فجعله فرطا لها وشفيعا لها وجعله خاتم النبيين فلم يبعث بعده نبي يظهر بالوحي إليه بواطن أمور أمته وخفايا أسرارهم فهي تحت ستر الله والإقرار بدينه حتى يلاقوه فتظهر أسرارهم في كفرهم وإيمانهم عنده ، ولذلك قيل : خص سؤال القبر بهذه الأمة ، انتهى والله أعلم . ثم قال رضي الله عنه:

إذ ربما يكفرُ في عصيانِ لمرسلٍ لا عالمٍ رباني

وإنما بالفسق في الطغيانِ يُرمى وقد يُسْتَرُ في أحوالِ

قوله : (**إذ ربما يكفر في عصيان** ... إلخ) أي: أن العلماء في الأمة المحمدية كأنبياء بني إسرائيل إلا أنه يكفر من عصى أو جحد أو كذب رسولا منهم بخلاف العلماء في هذه الأمة كما قال (**يكفر في عصيان لمرسل لا عالم رباني**) أي: أن العاصي لمخالفته لبعض الرسل يكفر بذلك إلا إن خالف عالما في غير مجمع عليه من المتواتر فإنه لا يكفر بذلك .

قوله: (**وإنما بالفسق في الطغيان يرمى وقد يستر في أحوال**) أي: أن العاصي لا يكفر بها وإنما يرمى بالفسق الذي يخرجه عن صفة العدالة ويوصف أيضاً بالطغيان ، وهو مصدر طغى وهو مخالفة أمر الله تعالى بالمعصية واتباع شهوات النفس والميل إلى الدار الفانية وقد ستر الله المبارز بالمعاصي والطغيان في بعض أحواله لأن الدنيا دار ستر وتغطية حتى يأتي الخبر اليقين . ثم قال رضي الله عنه :

بـل في عمـوم الظـنِّ في المسمـوعِ ... وفي اخـتلاف النـاس في الفـروعِ

صـونٌ عـن العصيـانِ بـالمقطوعِ ... والخـرْقِ للإجمـاع بالضَّـلالِ

قوله : (**بل في عموم الظن في المسموع**) أي: أنه يكفي عموم الظن في المسموع غير المقطوع به ، فإن غالب أحكام الشريعة ظني إلا ماورد به القرآن أو تواتر من السنة ، فإنه قطعي .

قوله: (**وفي اختلاف الناس في الفروع**) لأن أكثرها وغالبها ظنية بخلاف الأصول في الدين وهو التوحيد فإنه قطعي إلا النادر من مسائله .

قوله: (**صون عن العصيان بالمقطوع**) أي: أن الاختلاف الواقع الجائز في فروع الفقه ، أي: في أكثرها فيه صون عن العصيان بالاختلاف في المقطوع به من الكتاب والسنة ، لأن الإنسان مجبول على الخلاف والمعارضة في الأمور فجعل له الاختلاف في الفروع رخصة يتسلى بها عن الخلاف في الأصول .

قوله: (**والخرق للإجماع بالضلال**) أي: أن الاختلاف في الفروع فيه صيانة عن خرق الإجماع ، وذلك أن أصول الدين وهي الكتاب والسنة والقياس ، والإجماع صون عن الخرق فيها وهو الطعن في مروياتها ومسموعاتها .

وقوله (**بالضلال**) أي: تضليل رواتها وقائليها والعاملين بها . ثم قال رضي الله عنه:

[في بيان الرحمة في الاختلاف في الفروع]

ورحمـةٌ بعـاجزٍ ضـعيفِ ... قَلَّـد قـولَ عـالم عفيـفِ

وفتنـةٌ لـذى هـوىً سـخيفِ ... يقفـو هـوى الـنفس ولا يبـالي

قولـه : (**ورحمـة بعـاجز ضـعيف**) أي: أن الاخـتلاف في الفـروع رحمـة بالعـاجز الضعيف، فإن مقلدي الأئمة المجتهدين قد جوز لهم تقليد من أرادوا من الأئمة المجتهدين، فان الشافعي إذا قلد أباحنيفة في مسألة أو مسائل من الفروع جاز له ذلك مالم يتبع الرخص أو يقلد إماما في صحة عقد وآخر ببطلانه ، وقـد حقـق أحكـام التقليـد العلامـة السيد نـور الدين السـمهودي والشيخ محمد بـن سـليمان الكـردي ثـم المـدني في مصـنف مستقل سماه ((الفوائد المدنية فيمن يفتى بقوله من الأئمة الشافعية)) .

قوله: (**قلد قول عالم عفيف**) أي: أن العـامي والعـالم إذا قلـد قـول عـالم مـن الأئمـة الأربعة أو غيرهم من المجتهدين أو المرجحين فانه لا يأثم ولا يخرج بذلك بالشرط المار عن الشرع والدين .

قوله: (**وفتنة لذى هوى سخيف**) أي: أن اختلاف العلماء في الفروع قد يكـون فتنـة لصاحب الهوى والسخيف القليل العقل لأن العقل هو المرشد للاتباع ، فإن الاختلاف قـد يكون فتنة له فيتبع الرخص أو غير ذلك مما ذكروه في شروط التقليد .

قوله: (**يقفو هوى النفس ولا يبالي**) يقفو ، أي: يتبع هـوى نفسـه ، أي: ميلهـا لتتبـع الرخص والعمل على ما يفهمه من النصوص وهـو مخـالف لهـا ولا يبـالي أصـاب أم أخطـأ ، فذلك عاص واقع في الخطر ومعرض نفسه للهلاك . ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

ولا يضرُّ الطَّعْـــــنُ في شرعِيَّــــــهْ　　　بـــــالظنِّ في مســـــألةٍ فرعِيّـــــهْ

لأنهـــــا أصــــولها قطعيَّــــهْ　　　محفوظـــــةٌ بأكمـــــل اســـتدلالِ

قوله : (**ولا يضر الطعن في شرعيه بالظن في مسألة فرعيه**) أي: أنه لا يضر الطعن في مسألة من أحكام الشرع فيما يتعلق بالفروع لأن مسائلها ظنية .

قوله: (**لأنها أصولها قطعيه)** لأنها ، أي: المسائل الشرعية أصولها قطعية ، لأنها واردة إما من الكتاب وإما من السنة كالمتواتر منها ، فقد حكي أن مسح الخف في الوضـوء رواهـا نحو السبعين من الصحابة رضي الله عنهم .

قوله: (محفوظة) أي : أن المسائل القطعية محفوظة عن رواتها بحيث إنها تفيد العلم الضروري فيكفر جاحد بعضها ، والعلم الضروري ما لا يلتبس على أحد وقوعه كطلوع الشمس كل يوم .

وقوله : (بأكمل استدلال) أي : أنها رووها عن ناقليها وجعلوها بالمسائل القطعية والظنية دلائل كاملة لا يرتاب الآخذ لها رواية وعملا في صحتها . ثم قال رضي الله عنه ونفع به آمين :

بل فيه في فهمٍ لذي اجتهادِ أجران أو أجرٌ لكلِّ هادِ
وفضلُ ذي جدٍ وذي ازديادِ وذي احتياطٍ عند ذي إشكالِ

قوله : (بل فيه في فهم لذى اجتهاد) أي: أن العلم القطعي قد يقع الاختلاف في مفهومه لذوي الاجتهاد ، كما حكي عن عبد الواحد بن سعيد قال : قدمت مكة فوجدت بها أبا حنيفة وابن أبي ليلى وابن شبرمة ، فقلت لأبي حنيفة : ما تقول في رجل باع بيعا وشرط شرطاً ؟ فقال : البيع باطل والشرط باطل ، ثم أتيت ابن أبي ليلى فسألته ، فقال : البيع جائز والشرط باطل ، ثم أتيت ابن شبرمة فسألته ، فقال : البيع جائز والشرط جائز ، فقلت : سبحان الله ثلاثة من فقهاء العراق اختلفوا في مسألة واحدة هذا الاختلاف ، فأتيت أبا حنيفة فأخبرته فقال : لا ادري ما قالا ، أخبرني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع وشرط ، البيع باطل والشرط باطل ، ثم أتيت ابن أبي ليلى فأخبرته ، فقال : لا أدري ما قالا ، حدثني هشام بن عروة عن عائشة رضي الله عنها قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أشتري بريرة .. وذكر الحديث المتضمن للإذن في شرائها واشتراط الولاء لهم ثم أبطل النبي صلى الله عليه وسلم الشرط وأمضى البيع ، فالبيع جائز والشرط باطل ، ثم أتيت ابن شبرمه فأخبرته ، قال : لا أدري ما قالا وروى حديث جابر أنه باع النبي صلى الله عليه وسلم جملا وشرط ظهره إلى المدينة ، ثم قال: فالبيع جائز والشرط جائز فأخذ كل إمام بظاهر الحديث ، وبهذا السبب وقع اختلاف عظيم بين الأئمة رضي الله عنهم ، وقد توسط إمامنا الشافعي رضي الله عنه في المسألة فلم

يجي شيئا من هذه الأحاديث على إطلاقه بل جمع بين الأحاديث وفصل تفصيلا حسنا كما هو مذكور في كتب الفقه ، فدل ذلك على أن الاختلاف في الفروع جائز بل قد تترتب عليه الأحكام الشرعية فيكون الاختلاف في بعض المسائل واجبا وفي بعضها مكروها وبعضها حراما وبعضها مندوبا ، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم (اختلاف أمتى رحمة) أي: توسعة على الأمة رحمة بهم ، وليس المراد اختلاف في أصل الدين لأن الله تعالى يقول ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (الشورى/ ١٣) ، وفي منظومة الزبد للشيخ ابن رسلان رحمه الله تعالى ونفع به آمين :

والشافعي ومالك نعمانُ	وأحمد بن حنبل وسفيانُ
وغيرهم من سائر الأئمةْ	على هدى والاختلاف رحمةْ

وقال الشيخ العلامة علي بن عبدالرحيم باكثير في كتابه «توجيه الاغتراف من بحر الاختلاف» : كل حكم مختلف فيه فله عند الله جهتان أو ثلاث أو أربع أو خمس لا أكثر بحسب ما ثبت من الاختلاف انتهى . وقال سيدنا الناظم رحمه الله ونفعنا به في كتابه «خلاصة العقيدة» : واعلم أن هذه الشريعة المحمدية والملة الأحمدية ذات مناهج كثيرة وفروع منتشرة ، وقد قيل : إن كل مجتهد فيها مصيب وعلى المختار أن المصيب واحد ، فالمجتهد الباذل وسعه إذا أخطأ معذور بل مأجور ، وينبغي لمن قلد مجتهدا أن لا ينتقل عن مذهبه أصلا للخلاف في ذلك إلا لمقتضى ديني في رضى الله وإلا فيخشى أن يكون ممن باع آخرته بدنياه ودينه بعرض دنيوي إذا كان انتقاله لذلك انتهى .

وقوله (**أجران أو أجر لكل هاد**) كما هو مقرر في الأصول : أن المجتهد المصيب في النقليات له أجران وللمخطئ أجر ، كما جاء في الحديث (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر) .

وقوله : (**وفضل ذي جد وذي ازدياد وذي احتياط عند ذي إشكال**) أي: أن ذي الجد والتحري والاحتياط له زيادة في الفضل والأجر لأنه سلك طريق الورع بالعزم والهمة.

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

فـــالعلما خُصـــوا بُحســـنِ الفهـــمِ ووعـــي كـــلِّ حكمـــةٍ وحُكْـــمِ

ومـــا لهـــم في فضـــلِهِ مِـــن قســـمِ إلا بتقـــــوى اللهِ في الأعـــــمالِ

قوله : (**فالعلماء خصوا بحسن الفهم**) أي: أن العلماء مخصوصون بحسن الفهم عن الله في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما اختلفوا في المفاهيم والمصيب له أجران والمخطيء له أجر كما مر .

قوله: (**ووعي كل حكمة وحكم**) أي: وأن العلماء خصوا أيضاً بوعي ، أي: حفظ وفهم كل حكمة وهي المستنتجة عن الفهم والذوق مع العقل .

وقوله (**وحكم**) أي: من الأحكام الخمسة المار ذكرها .

قوله: (**وماهم في فضله من قسم إلا بتقوى الله في الأعمال**) أي: أن العلماء ليس لهم في فضل العلم قسم إلا إذا انضم إليه العمل بتقوى الله وهي امتثال أوامره واجتناب نواهيه لأن ذلك مقصود العلم وغايته وثمرته وإلا فهو حجة على حامله كما ورد (إن العالم الغير العامل به معذب قبل عابد الوثن) لأن حجة الله عليه أقوى . ثم قال رضي الله عنه :

وَهْـــوَ مِـــنَ الرســـلِ بحكـــمِ الإرثِ للعلـــــما أولي هـــــدى وإِرْثِ

والســـعي في تحصـــيله بالبحْـــثِ مـــن أفضـــل التقـــوى لـــذى الجـــلالِ

قوله : (**وهو من الرسل بحكم الإرث**) وهو ، أي: فهم العلماء ووعيهم للعلم بحكم الإرث من الرسل لأن العلماء ورثة الأنبياء كما ورد (فإنهم لم يورثوا مالا ولا درهما وإنما ورثوا العلم) فالمتبع لهم فيه مهتد وهاد كما قال (**للعلما أولي هدى**) أي: أنه أولى ما يسلك طريقه المسلم فيهتدي به ويتبعه في الواجبات والمندوبات .

وقوله (**وإرث**) لعل لفظة غير الإرث لاتحاد معنى الإرث الأول والثاني ، وهو المسمى بالإيطاء المعيب عند أهل القريض ، ويحتمل أنه عني بقوله (**أولي هدى وإرث**) أي: بقية وملة كما في الحديث : (إنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم) .

قولـه: (**والسـعي في تحصـيله بالبحـث**) أي: ومـن المكاسـب التـي تـورث الأجـر والثواب والعز في الدنيا والآخرة السعي في تحصيل العلم النافع والبحث فيه مع أهلـه بغـير جدال ولا مناقشة .

قوله: (**من أفضل التقوى لذى الجلال**) أي: وذلك ، أي: تحصيل العلم والسعي فيه والبحث عنه كما مر من أفضـل التقـوى لـذي الجـلال ، وقـد مـر تعريفهـا لا سـيما إذا قارنهـا استشعار الخشيه لله تعالى ذي الجلال ، أي: القهر والعظمة .

ثم قال رضي الله عنه :

الرشفة الحادية عشر :

[في فضل أولياء الله]

رَشْفَةٌ مِنْ قَطْرِ مَشَارِبِهِم وَنَسْمَةٌ مِنْ عِطْرِ مَطَالِبِهِم

قوله : (**رشفة من قطر مشاربهم**) المراد بالقطر : المطر ، والمشارب : جمع مشرب ، وهو الكرع منه ، وذلك لأن المعاني التي ترد على قلوبهم والمفاهيم التي تنتجها عقولهم كالمطر والشرب لأن ألذ الأشياء في المطعومات الماء البارد ، كما قال صلى الله عليه وسلم (واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد) شبه رضي الله عنه فهم المعاني ولذتها للنفوس بالكرع من الماء الذي هو حياة الأجسام والأرواح .

قوله: (**ونسمة من عطر مطالبهم**) شبه ذلك أيضاً بالريح الجاري على الروائح الطيبة التي تستأنس وتستروح إليها من مرت عليه . قال رضي الله عنه :

والأوليا بأحسنِ استماعِ لوحيهم وأجمعِ اجتماعِ
في قصدِهم وأكملِ اتباعِ لهديِهم نالوا المقامَ العالي

قوله : (**والأولياء بأحسن استماع**) أي: أن أولياء الله العارفين به يكون لهم أحسن الاستماع إذا وردت عليهم الآيات والأخبار الأمرية والوعظية فيفهمون ويذوقون منها المعاني العزيزة .

قوله: (**لوحيهم**) أي: الرسل المذكورين في الأبيات التي قبل هذه الرشفة ثم والوحي في حق الأولياء هو الإلهام ، كما أن الوحي للأنبياء بواسطة المَلَك .

قوله: (**وأجمع اجتماع**) متعلق بقوله (**في قصدهم**) أي: نياتهم الخالصة الخاصة فهم متبعون في مقاصدهم وأنحائهم لهدي النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته كما قال (**وأكمل اتباع لهديهم**) .

وقولـه (**نـالوا المقـام العـالي**) أي: أن الأوليـاء باستماعهم لـوحيهم واجتماعهم في قصدهم واتباعهم لهديهم نـالوا المقـام العـالي مـن المعرفـة بـالله والعـز والشرف في دار الـدنيا والآخرة . ثم قال رضي الله عنه :

لما رَقَـوا في القـربِ والإحسـانِ	**بسُـلَّمِ الإسـلام والإيـمانِ**
سُقُوا كـؤوسَ الحبِّ والعرفـانِ	**واتصـلوا بأفضـلِ الوصـالِ**

قوله : (**لما رقوا في القرب والإحسان**) أي: أن الأولياء لما رقوا إلى مقام القرب الذي هو مقام الإحسان المفسر بقوله صلى الله عليه وسلم (**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**) وذلك الترقي يكون بالتدريج من مقام الإسلام والإيمان كما قال (**بسلم الإسلام والإيمان**) شبه الإسلام والإيمان بالسلم الـذي يرقى منه مـن السفل إلى العلو لأن طريق المعرفة بالله تحقيق هذه المقامات وسلوكها بالأدب حتى ينتهي المريد إلى غاياتها وإن كانت لا تتناهى إذ معارف الحق لا تنتهي معرفتها لا في الدنيا ولا في الآخرة .

قوله: (**سقوا كـؤوس الحب والعرفـان**) أي: أنهـم لما رقـوا إلى هـذه المعـالي لتحقيـق الحقائق الثلاثة المار ذكرها ، وهي الإسلام والإيمان والإحسان وقفوا على الغايـة القصـوى وهي المحبة لله والمعرفه به ، إذ العرفان رابع المقامات كما حقق ذلك النـاظم نفـع الله بـه في ((الدوائر)) ، فالعرفان درجة فوق إلاحسان ، وأمـا المحبـة لله تعـالى فمشروطـة في جميـع هـذه العلامات .

قوله: (**واتصلوا بأفضل الوصال**) الوصل والإيصال والاتصـال مـن معـاني القـرب والمعرفة وليس ذلك بقرب أجسام ولا اتحاد أجرام بل هي أمور يعبر بها عن المعرفة كما قـال الناظم رضي الله عنه في منظومته المسماة ((مفتاح الأسرار)) التي مطلعها:

سـبحان رب العـزة المتعـالي	عـن كـل مـا يصـفون مـن أقـوال
جـل العظـيم عـن الحـروف ووضـعها	وعـن الحـدود وعـن قيـود البـال
فلقـد تعـالى في سـماء سـموه	عـن وسـمه نسـمات رسـم بـال
سـبحان مـن سـبحات وجـه جلالـه	أعمـت عيـون قوابـل الإقبـال

قال رضي الله عنه في شرح هذا البيت الأخير ، أي: تنزيه لله تعالى يليق بعظيم جلاله وعلو كماله عن أن يكيفه وهم أو يحققه علم فإن سبحات وجهه العظيم ، أي: أنوار ذاته التي دونها سبعون حجابا لو تجلى بها على خلقه لأحرقهم وتلاشى وجودهم عندها ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ (الأعراف/ ١٤٣) فقد أعمت هذه الأنوار قوابل الفهوم المقبلة عليها بالعقول وبالعلوم وطلب الوصول فكل من أقبل بقوته رجع كسيرا وكل من توصل عاد وطرفه كليلا حسيرا ، إذا علمت ذلك علمت أن الله تفضل على عباده فأذن لهم أن يذكروه بألفاظهم المخلوقة القاصرة عن معاني الجلال العظيمة الباهرة فيتلون بها كتابه الكريم ويذكرون بها صفاته العلية عن الفهم والتفهيم ، وقد جاء في الحديث (الحمد لله الذي أذن لي بذكره) والله أعلم ، انتهى ثم قال رضي الله عنه:

وَوَرِثُوا في العلمِ واليقينِ ... ما للنبيينَ بحقِّ الدِّينِ

فخلفوا في الرشد والتبيينِ ... وناسبُوا في الحالِ والأفعالِ

قوله : (**وورثوا في العلم واليقين**) أي: أن العلماء ورثوا الأنبياء في العلم الذي هو يتعلق بالقلوب وهو التوحيد وبالجوارح مع ملاحظة القلوب وهو علم المعاملة ، وأما اليقين فهو غاية العلم ، ومر أنه ينقسم إلى ثلاثة أحوال : علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ، ومثلوا بذلك أن علم اليقين كمن يعلم مثلا أن النار محرقة ، وعين اليقين من يراها ، وحق اليقين الذي يلاقيها شيء من بدنه .

قوله: (**ما للنبيين بحق الدين**) أي: ما للنبيين من الحق الذي للدين الجامع للثلاثة الأمور الإسلام والإيمان والإحسان .

قوله: (**فخلفوا في الرشد والتبيين**) أي: أن العلماء خلفوا الأنبياء من الخلافة في طريق الرشد الذي هو السداد والهداية والتبيين ، أي: ما بينوه فإن الأنبياء لهم في ذلك أعلى مقامات اليقين وأما غيرهم من الأولياء والعلماء خالفوا في الرشد والتبيين ، أي: أن مرتبتهم في إرشاد الخلق وتبيين الأحكام لهم دون مرتبة الأنبياء ودرجاتهم في الحقيقة والصورة ، لأن من له التأصيل بنفسه أعلى ممن له ذلك بغيره من الوسائط ، وقد قيل : أن الولي كالنبي

ويفترقان في العلوم والمعارف بالأصالة وغيرها ، وفي كتاب ((كشف الحق عن علوم الحقيقة)) للناظم نفع الله به: إن آخر نهايات الأولياء أول بدايات الأنبياء ولن يصل ولي قط درجة النبي والوحي المخصوص وإنما حصل له الإلهام ببركة متابعته ، انتهى .

قوله: (**وناسبوا في الحال والأفعال**) أي: أن الأولياء ناسبوا الأنبياء في الحال والأفعال إما في الحال فلما مر ، وأما في الأفعال فبالاتباع لهم في مقامات الدين الثلاث . ثم قال رضي الله عنه ونفع به آمين :

وانشعبوا في شُعَبِ الإيمانِ	**بضعا وسبعين بباري الشانِ**
وكلها قاضٍ لدى الإحسانِ	**إلى حصول الكلِّ باتصالِ**

قوله : (**وانشعبوا في شعب الإيمان**) أي: تفرقوا في شعب الإيمان ، فمنهم الجامع لها، ومنهم بالبعض منها ، وهي كما في الحديث (بضع وسبعون شعبة أعلاها : لا اله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) وقد عدها الطيبي في ((شرح المشكاة)) كما قال (**بضعا وسبعين بباري الشان**) أي: الأمر وهو خالق الشؤون فكلها من شؤونه تعالى التي تعبد بها خلقه ، وهذه الشعب من أعظم شؤونه لأنها من مجملات دينه ، وهي منقسمة ما بين واجب ومندوب ومحرم ومكروه ، والبضع من العدد ما بين الثلاث إلى التسع .

قوله: (**وكلها قاض لدى الإحسان**) أي: أنها كلها حسنة يقتضي الإحسان فيها بأن يراعي الملابس لها والمتخلق بصفاتها الإحسان بأن يقيم الظاهر والباطن منها ، وذلك مشروح في كتب الفقه والحديث والتصوف ، فانظر إلى ما ذكره الإمام الغزالي في كتاب الصلاة من ((الإحياء)) مما فصله من إقامتها وتحسين أفعالها وأقوالها ظاهرا وباطنا ، وما ذكره من السر والثمرة في ذلك .

قوله: (**إلى حصول الكل باتصال**) أي: أن المريد المجتهد السالك طريق الآخرة يحصل له العمل بكلها إذا راعى شروطها وأركانها وسننها لا سيما أركان الإسلام وهي الشهادات المشتملة على أنواع التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج فإذا تحفظ المسلم

على ما يراعى فيها حسبما ذكره الأئمة كان ذلك قاضيا له بالنجاة والفوز والسعادة ثم بعد ذلك من باقي الشعب . ثم قال رضي الله عنه :

وحققــوا منــاهجَ الإســلامِ   فــافترقوا في ظــاهرِ الأحكــامِ
واتفقــوا في القصــدِ والمــرامِ   وقصـدِ وجـهِ الحقِّ ذي الجـلالِ

وقوله : (**وحققوا مناهج الإسلام**) التحقيق أخذ العلم إلى أن ينتهي إلى مراتب اليقين الثلاث ، ومناهج : جمع منهج وهو الطريق الواضح ، وأتى بصيغة الجمع فيه إذ الطرق إلى الله كثيرة عدد أنفاس الخلائق .

قوله: (**فافترقوا في ظاهر الأحكام**) أي: العملية لا الاعتقادية فإن الخلاف جار فيها بين العلماء فقد يجمع المسأله الواحدة أقوال كثيرة وذلك معدود كله من الحق والصواب ، وقد قال صلى الله عليه وسلم:(اختلاف أمتي رحمة) لا سيما في الفروع .

قوله: (**واتفقوا في القصد والمرام**) أي: أن الطرق كلها وقاصديها ترجع إلى قصد واحد وهو طلب رضا الله تعالى ومجاورته في بحبوح جنته وكما قيل :

مقالاتنا شتى وحسنك واحد   وكـل إلى ذاك الجـمال يشـير

قوله : (**وقصد وجه الحق ذى الجلال**) أي: وفي قصد وجه الحق ، أي: ذاته فهم متوجهون إليه وملتمسون معرفته والوصول إليها كل على قدر ما قسم له ، ثم قال رضي الله عنه:

فَهُــمْ كــذا الرســلُ بنــو عَــلاَّتِ   طـــريقهُم واحـــدةٌ بالـــذاتِ
تعــــدَّدتْ بالرســـم والهبـــاتِ   في كـــلِّ تفصـــيلٍ بـــلا انفصـــالِ

قوله : (**فهم كذا الرسل بنو علات**) أي: أن العلماء بالله والأولياء لله كالرسل الثلاثمائة والثلاثة عشر ، كل واحد منهم مبعوث بشرع ودين وحال ومقام .

وقوله : (**بنو علات**) أي: بنو أمهات متفرقة إشارة إلى الطرق والأب واحد وهو المقصود بكل شريعة ، أي: أن كل رسول خص بشرع يعمل به أمته وهي تجمع التشديد والتسهيل كالأحكام السبعة التي جمعتها شريعة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهم

ومتبعوهم على هدى من ربهم وبصيرة من دينهم صلوات الله وسلامه عليهم وعلى متبعيهم بإحسان .

قوله: (**طريقهم واحدة بالذات**) أي: أن ذات طرائقهم واحدة وهو قصد وجه الله وامتثال أوامره وإنما بالرسوم والمقاصد كما قال (**تعددت بالرسم والهبات**) جمع هبة وهي العطية كالأنبياء فإن سليمان عليه السلام أُعطي مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده وداود عليه السلام أوتي لين الحديد إلى غير ذلك من أحوالهم الآتية في النظم .

قوله: (**في كل تفصيل بلا انفصال**) أي: في كل تفصيل بالإجمال كما سيأتي أيضاً بلا انفصال ، أي: انقطاع فان مشاربهم وأذواقهم وهباتهم التي هي نتائج الرسوم والطرائق متصلة الهبات من جانب الحق سبحانه وتعالى أبدا سرمدا غير منقطعة لا في الدنيا ولا في الآخرة وذلك بفضل الله تعالى ورحمته وأن ذلك الرسوم في الأحكام والتفاصيل في القصد والمرام غير موصوفة بالانفصال والانصرام ولا بالحلول والاتحاد والالتحام بل هي جارية على مراد الله تعالى في الأجناس والأنواع والأجسام ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ (الأعراف/ ١٦٠) . ثم قال رضي الله عنه :

[في بيان أقسام أولياء الله الكرام]

وانقسموا لقسمةِ المراتِبْ ... فقَلَّ أَن يجمعها في الغالبْ

بظاهرٍ وباطنٍ مطالبْ ... إلا رسولٌ جاء بالإكمالِ

قوله (**وانقسموا لقسمة المراتب**) أي: أن العلماء والأولياء انقسموا في المراتب كالأنبياء والرسل قال تعالى ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ (البقرة/ ٢٥٣) .

قوله: (**فقل أن يجمعها في الغالب**) أي: فقل أن يجمع تلك المراتب واحد منهم لكونها خصوصيات لكل واحد منهم ما ليس للآخر وذلك دليل على عظم جلال الحق سبحانه وتعالى .

قوله: (**بظاهر وباطن مطالب**) أي: أنه لا يجمع ما هم من المراتب طالب لها لا بالظاهر ولا بالباطن .

قوله: (**إلا رسول جاء بالإكمال**) أي: أنه لا يجمع المراتب التي للأقطاب والأوتاد والأفراد وسائر الأولياء إلا رسول جاء بالإكمال ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه جمع مقامات الأنبياء والرسل وأحوالهم ، ثم تلقاها عنه خلفاؤه من أمته ، فكل خليفة منهم له مقام نبي من الأنبياء وإن بعض الأولياء يرث مقام بعض الأنبياء والرسل .

ثم قال رضي الله عنه :

فبعضُهم ظِلٌّ هدىً ورحمهْ ... داعٍ إلى الله بكل همَّهْ

يَحمدُ في كل ابتلا ونعمهْ ... كأحمدَ المحمود في الخصالِ

قوله (**فبعضهم ظل هدى ورحمه**) أي: أن بعض الأولياء حاله محض هدى ورحمه ، شبهه بالظل المانع من حر الشمس وإيذائها فلا يكون منه أذى للمسلمين .

قوله: (**داع إلى الله بكل همه**) أي: أنه يدعو العباد إلى الله تعالى بكل همة بحاله ومقاله وأفعاله لا يبخل على أمة محمد صلى الله عليه وسلم بشيء مما ينفعهم في دينهم وآخرتهم .

قوله: (**يحمد في كل ابتلا ونعمه**) فإنه جمع مقامي الصبر والشكر فعند البلاء والأذى والامتحان يصبر وعند ورود النعم يشكر وهما مقامان من مقامات الأولياء الموروثة لهم عنه صلى الله عليه وسلم ، فإن حاله في ابتداء الأمر معتمد فيه على الصبر وفي آخره على الشكر ، وقد فسر الأئمة الشكر بأنه اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان وهو مقام شريف من أعلى مقامات الأولياء .

قوله: (**كأحمد المحمود في الخصال**) أي: أنه من جمع هذه المقامات والمراتب كان وارثا له صلى الله عليه وسلم ولكن لا يصل إليها إلا بالمجاهدة والرياضة فمن أخلاقه التواضع والإيثار وحسن الظن وغير ذلك مما ذكره الإمام الغزالي في «الإحياء» وغيره . ثم قال رضي الله عنه :

وبعضُهمْ بقلبه السَّليمِ ... قد اكتفى بالعلم من عليمِ

فحالُه بالصبر والتسليمِ ... قد أشبه الخليل في خلالِ

قوله : (**وبعضهم بقلبه السليم قد اكتفى بالعلم من عليم**) أي: أن بعض الأولياء في وراثته وقسمته من الله تعالى بحسن ظنه في ربه فكان حاله ومقامه مكتفيا بعلم الله تعالى فيرضى بما قسمه له وقدره من الحال والمقام ويفوض أمره إليه تعالى ، كما قال : (**فحاله في الصبر والتسليم قد أشبه الخليل في الخلال**) فإنه عليه الصلاة والسلام لما ألقي في النار عارضه جبريل عليه السلام في الهواء ، وقال له : هل من حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا ، فقال : إلى الله أو اسألِ الله ، فقال : علمه بحالي يغني عن سؤالي ، وقد روي أنه قيل لجبريل عليه السلام : هل أدركك النصب والتعب في حال من الأحوال ؟ فقال : نعم في ثلاثة ، وذكر منها ما كان منه لإبراهيم من الإدراك في الهواء ، إذ قال الله تعالى له : إن لم تدرك خليلي محوتك من ديوان الملائكة ، مع أنه له من القوة والقدرة ما قلب المدائن بريشة من أجنحته ، وهذه الأحوال لا يسعها إلا حسن الظن والتسليم ، كما مرت الإشارة إلى ذلك .

ثم قال رضي الله عنه :

وبعضهم أَحْرَقَ بالأنوارِ شُبْهَةَ كلِّ جاحد جبارِ

وأظهرَ الأحكامَ في الأطوارِ في السَّمْتِ من موسى وبالأعمالِ

قوله في هذا البيت : (**وبعضهم أحرق بالأنوار** ..إلخ) أي: أن بعضهم كان وارثا لسيدنا موسى عليه السلام ، فإنه أحرق بأنوار الحق وجلاله كل جبار عنيد كفرعون وقومه وأظهر الأحكام وهي ما بعث به من أحكام شريعته فألزم أمته القيام بها فمن خالفه عاقبه على ذلك .

وقوله (**في الأطوار**) أي: كل طور من أطوار الأحكام التي أوجبها الحق عليه وعلى أمته .

وقوله (**في السمت من موسى**) أي: البعض المذكور اقتفى موسى عليه السلام في السمت ، أي: في الخلق والأعمال التي أوجبها الحق عليه وعلى أمته كما مر ، ولذلك لما كانت أحكام شريعته شاقه على مثل البشر نصح مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء لما فرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة وصيام ستة أشهر ، فكان إذا أخبره صلى الله عليه

وسلم: فُرِضَ عليَّ وعلى أمتي كذا يقول : إن أمتك أمة أمية لا تطيق ذلك ، فيعود إلى ربه فيسأله التخفيف ، حتى بلغ التخفيف إلى القدر الذي مر ، فورثته صلى الله عليه وسلم من الأولياء والعلماء يكون لهم من الأخلاق والآداب ما كان له صلى الله عليه وسلم ، فلهم كمال الاتباع والانتفاع والإرتفاع . ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

وبعضهم قد ساحَ في فسيحِ ... في فُسحةِ التقديسِ والتسبيحِ

ولازمَ التجريدَ كالمسيحِ ... قد صارَ في الزُّهدِ بكَلِّ حالِ

قوله : (**وبعضهم قد ساح في فسيح** ..) إلى آخر البيت ، أي: أن بعض الأولياء تجرد في معاملاته مع ربه وانفرد عن الخلق وساح في البراري والقفار يعبد الله سبحانه وتعالى بالأذكار في جميع الأطوار ويأكل من ثمار الأشجار ما يقيم صلبه متأسياً في ذلك بحال سيدنا عيسى المسيح فإنه كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم أزهد الأنبياء ، وقد مر أنه في بعض سياحاته وقعت عليه المطر فجاء إلى خيمة فوجد فيها امرأة ، ثم إلى مغارة فوجد فيها أسدا ، فقال : يارب جعلت لكل مأوى ولم تجعل لي مأوى آوي إليه ، فأوحى الله إليه أن يوم القيامه أزوجك من الحور العين كذا وكذا وأضيف الناس في عرسك كذا وكذا ، هذا معنى الحديث ، وهو مشهور ، وقد قيل : إنه أخذ حجرا ليتوسد به ، فقال له إبليس : قد ركنت إلى الدنيا ، فرمى الحجر إليه ، وقال له : خذه ، وترك التوسد به ، إلى غير ذلك من أحواله عليه الصلاة والسلام ، مما هو مذكور في محله ومعروف عند أهله .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

وبعضهم بالفَصْلِ في الأحكامِ ... والجمعِ في الخلق على نظامِ

كحالتي داودَ في الأنامِ ... والطيرِ والأوحاشِ والجبالِ

قوله : (**وبعضهم بالفصل في الأحكام**) أي: أن بعض الأولياء أعطي الحكمة فيفصل بها بين المتخاصمين ، وقد أثنى الله على من أوتيها فقال : ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ

فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (البقرة/ ٢٦٩) وقال تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل/ ١٢٥) .

قوله: (**والجمع في الخلق على نظام**) أنه لما تولى وظيفة الحكم يستعمل فيها الشهود والمبلغين الجرح والتعديل على نظام كما هو شأن الحكام.

قوله: (**كحالتي داود في الأنام   والطير والأوحاش والجبال**) أي: أن هذا الولي أو العالم يكون وارثاً لنبي الله داود عليه الصلاة والسلام فيكون حاله في الخلق كحاله وكذا الطير والأوحاش والجبال ، فإن الجبال يسبحن معه والطير تظله والوحش تحيط به ويسبحن معه أيضاً كما ذلك مذكور في محله. ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

وبعضهم في مُلكهِ القويمِ   أظهَرَ معنى حكمةِ الحكيمِ
حُكْمُ سليمانَ على عظيمِ   جنودهِ بِأمثلِ امتثالِ

قوله : (**وبعضهم في ملكه القويم أظهر معنى حكمة الحكيم**) أي: أن بعض الأولياء والعلماء فيما ملكه الله بحسن حاله مستقيم في ذلك الرسم والحقيقة فلا يزال يظهر الحكمة له تعالى في خلقه مما في خلق السموات والأرض من عجائب وغرائب وتفصيلها لا يتناهى وهي على قدر المعرفة بالله واختلاف مراتبهم .

قوله: (**حكم سليمان على عظيم   جنوده بأمثل امتثال**) أي: أن حكم هذا الوارث في أهل عصره كحكم نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام فيما ولاه الله سبحانه وتعالى وأعطاه من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده على عظيم جنوده من الجن والإنس والوحش والطير وغير ذلك فهو حاكم عليهم بأمثل امتثال لمن ولاه عليهم فهو تابع لمرادات الحق سبحانه وتعالى ، ومن الحكايات الواردة عنه : أنه أصاب قومه قحط فخرج يستسقي بهم ، فلما جاء إلى الصحراء وجد نملة مستلقية على ظهرها ناظرة إلى السماء مادة يديها فقال لقومه : ارجعوا فقد سقيتم بغيركم فرحمهم الله برحمة تلك النملة في الظاهر تربية منه تعالى لهم . ثم قال رضي الله عنه :

وبعضُهم دعا بكشفِ الغُمَّهْ   لما عصته إذ هداها أُمَّهْ

صـــار عليهـــا حجـــة في النقمـــهْ　　كحـــالِ نـــوحِ مـــع ذوي الضَّـــلالِ

قوله : (**وبعضهم**) أي: بعض الأولياء والعلماء يكون حاله كحال نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام فإنه دعا قومه إلى التوحيد والإيمان بالله فلم يجيبوه إلى ذلك وعصوه وأتعبوه فدعا عليهم بالهلاك كما حكى الله ذلك عنه في قوله: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (نوح/٢٦) إلى آخر الآيات ، فأهلكهم الله تعالى كما قال الناظم قدس الله سره : (**دعا بكشف الغمه　لما عصته إذ هداها أمة　صار عليها حجة في نقمه　كحال نوح مع ذوي الضلال**) . ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

وبعضـــهم أظهـــرَ أســـنى صـــبرِ　　وعفـــــةٍ في محنـــــةٍ وضرِ

راضٍ بقهـــرِ مـــرتضى في الأمـــرِ　　كالحـــال في أيـــوب في اعـــتلالِ

قوله : (**وبعضهم أظهر أسنى صبر ..**) إلى آخرها ، حاكية حال نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام فيما ابتلي به من الضر وصبره على ذلك ومقاساته لشدائد ألمه مع نفرة الخلق عنه ، وقصته مع زوجته مشهورة فإنه لم يتضجر ولم يتبرم ، وله ورثة من الأولياء والعلماء فإنهم ابتلوا بالأذى وبالأمراض والآلام فصبروا واحتسبوا فجميع ما ذكره رضي الله عنه فائدته التأسي والاقتداء بالأنبياء في النعم وغيرها ، فإنهم إن أولاهم الله النعم كالصحة والاستقامة في الأحوال شكروا وإن ابتلاهم بشيء من الأمراض والأسقام والآلام صبروا ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾ (الأنعام/ ٩٠) . ثم قال رضي الله عنه :

وبعضـــهم أُقـــيمَ في تصريـــفِ　　في بـــاطنِ الأحـــوالِ بـــالتوقيفِ

فهـــو عـــلى التعريـــفِ والتـــأليفِ　　كـــالخضرِ البـــاقي بـــلا إبـــدالِ

قوله : (**وبعضهم أقيم في تصريف ..**) إلى آخره ، أي: أن بعض الأولياء حاله كحال الخضر عليه السلام فانه أقيم في التصريف في باطن الأحوال وإن خالف الظاهر ، كما وصفه القرآن من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار فإنه مأذون له في ذلك فهو تابع للإذن .

وقوله : (**في باطن الأحوال بالتوقيف**) أي: الإذن في التصرف أيضاً لا مطلقا كما مر (**فهو**) أي: الوارث للخضر واقف بحسب (**التعريف**) له في علوم الغيب من الحق تعالى (و) في (**التأليف**) أي: وفي الجمع لما سخره الله له وأذن له فيه .

وقوله (**الباقي بلا إبدال**) أي: أن الخضر عليه السلام باق إلى آخر الزمان بلا إبدال ، وأنه خضر موسى خلافا لمن زعم أن لكل عصر خضر ، وهو نبي وصحابي أيضاً لاجتماعه بالنبي صلى الله عليه وسلم كما قال الناظم نفع الله به في ((عمدة المحقق)) عند ذكره للأنبياء :

ومنهم الخضر الباقِيْ الصحابيّ لا لقمان والبر ذوالقرنين بل فضلا

ثم قال رضي الله عنه ونفع به آمين :

الرشفة الثانية عشر:

[في بيان اختلاف مقاماتهم ووظائفهم]

رَشْفَةٌ مِنْ مَوْرِدِ مَذَاهِبِهِمْ وَ نَسْمَةٌ مِنْ وَارِدِ مَوَاهِبِهِمْ

قوله : (**رشفة من مورد مذاهبهم**) أي: طرائقهم .

قوله: (**ونسمة من وارد مواهبهم**) المورد محل الشرب ، والوارد عليه هو الشارب ، فالوِرْد هو كناية عن توجه السالك إلى ربه ، والوارد ما يرد من الحق عليه من المواهب والعطايا التي لا تكيف ولا تعرف إلا لمن ذاقها ووصل إليها ، قال رضي الله عنه ونفع به :

واختلفوا في الفتح والمواهبِ وفي حصولِ القُربِ والمطالبِ

بسِرِّ حقٍّ باطني غالبِ أو ظاهرٍ بأفضلِ الأفضالِ

قوله : (**واختلفوا في الفتح والمواهب**) أي: أن الأولياء والعلماء الذين هم ورثة الأنبياء مختلفون في الفتوحات الإلهية والمواهب الربانية على حسب مراتبهم وتفاوت درجاتهم في القابلية .

قوله: (**وفي حصول القرب والمراتب**) أي: وأنهم مختلفون في حصول القرب منه تعالى بحسب المعرفة له والمرتبة كما سيأتي تفصيل ذلك .

قوله: (**بسر حق باطني غالب**) أي: أن مراتبهم مختلفة بحسب السر الذي يودعه الله في سرائرهم فهو حق باطني مكنون لا يطلع عليه غيرهم ولا يطلعونه على غيرهم غالب مستولي على سرائرهم ، ومنه ظاهر كما قال (**وظاهر بأفضل الأفضال**) أي: ظاهرة شعائره عليهم يعرفون به من بين الطوائف بأفضل الأفضال ، أي: أعز ما يؤتيه الله لخواص عباده من المواهب والمراتب .

ثم قال رضي الله عنه :

فمنهم القومُ ذوو الدوائرِ يَبْصُرهم فيها ذوو البصائرِ

بهـــم يســـيرُ السِّرُّ في السرائـــرِ ويحصـــلُ التحويـــلُ في الأحـــوالِ

قوله : (**فمنهم القوم ذووا الدوائر**) أي: من الأولياء العلماء بالله القوم ذووا الدوائر هم المشار إليهم في البيت الآتي .

قوله: (**يبصرهم فيها**) أي: في مراتبهم ودوائرهم (**ذووا البصائر**) أي: يطلع عليهم أهل الكشف والتجلي بالنور الذي يقذفه الله في قلوبهم فيعرف بعضهم بعضا .

قوله: (**بهم**) أي: برؤيتهم ومجالستهم وصحبتهم (**يسير السر في السرائر**) أي: يسري سرهم إلى سر ذلك الشخص فيصير منهم وفيهم .

قوله: (**ويحصل التحويل في الأحوال**) أي: لاتساع معرفتهم بالله يحصل التحول لهم من حال إلى حال وذلك على دوام الترقي كما مر أن معرفة الله تعالى لا تتناهى . ثم قال رضي الله عنه :

كـــالغوث والأقطـــاب والأوتـــادِ وســـبعةٍ يُـــدْعَون بـــالعِمادِ

والنَّجبَـــا والأَمَنَـــا الأفـــرادِ والنُّقبَـــا والـــذُّخْرِ والأبـــدالِ

قوله : (**كالغوث والأقطاب والأوتاد...**) إلى آخر البيت ، كالغوث وهو القطب الفرد الجامع الذي جميع أهل الدوائر من تحته إلا الأفراد .

وقوله : (**والأقطاب**) جمع قطب، وهم غير الغوث ، فيقال قطب الأحوال وقطب المقامات إلى غير ذلك من مراتبهم (**والأوتاد**) أي: أوتاد الأرض .

وقوله (**وسبعة يدعون بالعماد**) وهم العرفاء والنجباء ، وعددهم سبعون ، والأمناء الأفراد (**والنقباء والذخر والأبدال**) وقد ذكرهم الإمام اليافعي في ((روضه)) فقال : وهذه أحاديث رواها جماعة من الأئمة بأسانيدهم في كتبهم ، من ذلك ما روي عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (بدلاء أمتي أربعون رجلا اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق كلما مات واحد أبدل الله مكانه آخر فإذا جاء الأمر قبضوا) وروي عن ابن مسعود قال : قال رسول الله عليه وسلم (إن لله في الأرض ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم ، وله أربعون قلوبهم على قلب موسى ، وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم ، وله خمسة

قلوبهم على قلب جبريل ، وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل ، وله واحد قلبه على قلب إسرافيل ، فإذا مات الواحد أنزل الله مكانه من الخمسة، فإذا مات الخمسة أنزل الله مكانه من السبعة ، فإذا مات السبعة ، أبدل الله مكانه من الأربعين ، وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة ، فإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة ، يدفع الله بهم البلاء عن هذه الأمة) .

والواحد المذكور في هذا الحديث هو القطب وهو الغوث ، ومكانه كالنقطة من الدائرة التي هو مركزها به يقع صلاح العالم ، وروي عن سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : (البدلاء بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق والنقباء بخراسان والأوتاد بسائر الأرض والخضر عليه السلام سيد القوم) وعن الخضر عليه السلام أنه قال : (ثلاثمائة هم الأبدال وسبعون هم النجباء وأربعون هم أوتاد الأرض وعشرة هم النقباء وسبعة هم العرفاء وثلاثة هم المختارون وواحد وهو الغوث) .

وروي عن أبي الدرداء أنه قال : (إن لله عبادا يقال لهم الأبدال لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتخشع وحسن الحلية ولكن بلغوا بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدور والرحمة لجميع المسلمين اصطفاهم الله تعالى بعلمه واستخلصهم لنفسه وهم أربعون رجلا على مثل قلب إبراهيم صلى الله عليه وسلم لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه) واعلم أنهم لا يسبون شيئا ولا يلعنونه ولا يؤذون من تحتهم ولا يحقرونه ولا يحسدون من فوقهم أطيب الناس خبرا وألينهم عريكة وأسخاهم نفسا لا تدركهم الخيل المجردة ولا الرياح العواصف فيما بينهم وبين ربهم إنما قلوبهم تصعد في السقوف العلى ارتياحا إلى الله تعالى واستباق الخيرات أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ، انتهى ما ذكره اليافعي رضي الله عنه .

وقوله (والذخر) أي: المختار كما في ((المختار)) ومر في نقل اليافعي في حديث الخضر عليه السلام الثلاثة المختارون .ثم قال رضي الله عنه ونفع به آمين :

فكلّهم تمدُّهم رقائقْ ... بما أرادَ الحقُّ في الحقائقْ

يظهـــرُ فيهـــا الأمـــرُ في الخلائـــقْ بالعـــدلِ أو بالفضـــلِ والنـــوالِ

قوله : (**فكلهم تمدهم رقائق**) أي: أن كل طوائف الأولياء المذكورين في البيت الأول (**تمدهم**) أي: تواصلهم (**رقائق**) جمع رقيقة ، قال المناوي في كتابه المسمى «بالتوقيف في مهمات التعاريف» الرقيقة : اللطيفة الروحانية وقد تطلق على الواسطة اللطيفة الرابطة بين الشيئين كالمدد الواصل من الحق إلى العبد ، ويقال لها : رقيقة النزول ، وبالوسيلة التي يتقرب بها العبد إلى الحق من العلوم والأعمال والأخلاق السنية والمقامات الرفيعة ، ويقال لها : رقيقة العروج ورقيقة الارتقاء ، وقد تطلق الرقائق على علوم الطريقة والسلوك وما يلطف به سر العبد وتزول كثافة النفس ، والرقة كالدقة لكن الدقة تقال اعتبارا لمراعاة جوانب الشيء والرقة اعتبار لعمقه ، فمتى كانت الرقة في جسم يضادها الصفاقة ...إلى آخر ما ذكره ، انتهى .

قوله: (**بما أراد الحق في الحقائق**) أي: تمدهم الرقائق بحسب مراد الله تعالى في تفضلاته عليهم ، وأما الحق الذي هو ضد الباطل فهو لغة : الشيء الثابت الذي لا يسوغ إنكاره ، وعرفا : الحكم المطابق للواقع ، يطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك ، ويقابله الباطل ، والحقائق : جمع حقيقة ، وهي عند أهل الحق : سلب آثارك عنك بأوصافه ، وحقيقة الحقائق هي المرتبة الإنسانية الكاملية الإلهية الجامعة لجميع المراتب ، وهي المسماة بحضرة الجمع وبأحدية الجمع وبمقام الجمع ، ذكره المناوي في «توقيفه» عن الشيخ مرداس إلى آخر ما ذكره فلينظر منه .

قوله: (**يظهر فيها الأمر في الخلائق**) أي: أن هذه الرقائق الممدودة من حضرة الفضل والعدل يظهر فيها أمر الله تعالى في خليقته ، أما أهل الفضل فيعاملهم باللطف والحفظ والرحمة والوقاية ، وأما أهل العدل فيعاملهم بالانتقام والعقوبة والأخذ بالجرائم ، كما قال (**بالعدل أو بالفضل والنوال**) والنوال هو العطاء عاملنا الله بفضله ورحمته وأجارنا من عدله وعقوبته .ثم قال رضي الله عنه :

وكلُّهـــم في رتبـــةٍ قُرْبيَّـــهْ معقـــودةٍ بنســـبةٍ رَبِّيَّـــهْ

مشـــــــهودةٍ في سُـــــنَّة قلبِيَّـــــهْ   في ســـــائرِ الأفعـــــال بانفعـــــالِ

قوله : (وكلهم في رتبة قربيه) أي: أن الطوائف المار ذكرهم من الأولياء في مرتبة قربية من الحق تعالى من فضله عليهم ورحمته بهم .

قوله: (معقودة بنسبة ربيه) أي: ان هذه الرتبة القربية معقودة وثابتة بالنسبة الرِّبِّية المشار إليها في الحديث القدسي المار ذكره (لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل ...) إلى آخره.

قولـه: (مشـهودة) أي: أن تلـك الرتبـة القربيـة والنسبة الربيـة (مشـهودة) أي: حاضرة (في سنة قلبية) والمراد بالنسبة هنا ما يعتاده القلب من منازلات الرب بالألطاف المتقدم ذكرها .

قوله: (في سائر الأفعال بانفعال) أي: وأن الرتبة والنسبة مشهودة في جميع الأفعال المنسوبة إلى العباد مجازا وإلى الرب حقيقة ، والفعال المراد به الانفعال وهو الذي يقع بغير قصد من العبد . ثم قال رضي الله عنه :

وبعضُـــــــهُم بنفحـــــةٍ حِبِّيَّـــــهْ   عـــــلى بُـــــراق بَرْقَـــــةٍ جَذْبِيَّـــــهْ

سرى إلى أعـــــلى الـــــذرى القُرْبِيَّـــــهْ   فأصـــــبحتْ مِـــــن تحتِـــــه المعـــــالي

قوله : (وبعضهم بنفحة حبيه) أي: أن بعض العارفين لم يسلك بعد ثـم تحصل لـه الجذبة الربانية فيسلك طريق المجاهدة المعروفة عند الصوفية إلا أن السلوك بعدها يكـون سهلا بخلاف السالك قبل الجذب فإنه يعسر عليه وإن كان لا يخلو من جذب في سلوكه، ومن دعاء بعضهم اللهم اجعلني ممن سلك فملك وممن ملك فسلك .

وقوله : (بنفحة حبيه) أي: أن الجذب يحصل بنفحة حبية ، أي: تتقدم محبة منه تعالى للسالك المجذوب أو المجذوب السالك فإنه لم يكن بشيء ولا كان إلا بقضاء وقدر وسابق عناية ربانية .

قوله: (على براق برقة جذبيه) شبه نفع الله به هذه الجذبة بالبراق الذي رقى عليه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج واخترق به السبع الطباق ، وشبهها أيضاً بلامع البرق لأن أولها نور يضيء للمجذوب فيتأهل للتوجه والإقبال على الله تعالى .

قوله: (**سرى إلى أعلى الذرى القربية**) أي: أن هذا العارف سرى بالنفحة الحبية والبرقة الجذبية المشبهة بالبراق الذي خطوه مد النظر إلى أعلى الذرى القربية ، والذرى جمع ذروة ، وهي أعلى الشيء ، القربية : الذي تدني من الحضرات الحبية الأنسية ، وهي معروفة عند أهل الله وصحيحة لا تشاب بالشك والاشتباه .

قوله: (**فأصبحت من تحته المعالي**) أي: هذا العارف المحب المحبوب لما ارتقى إلى أعلى الذرى ، أي: الأحوال والمقامات أصبحت من تحته المعالي ، أي: درجاتها ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾ (المجادلة/ ١١) ثم قال رضي الله عنه:

أضحى عروسا في رياض الأنسِ — يروي أحاديثَ الجنابِ القدسِي

لم يدرِ ما طعمُ جهادِ النَّفْسِ — ولا عناءَ السيرِ والتّرحالِ

قوله : (**أضحى عروسا في رياض الأنس**) أي: هذا العبد الواصل إلى الله تعالى أضحى عروسا ، شبهه بذلك لأنه صار مرعيا ملاحظا بعين العناية غير متعن في توجهاته إلى مولاه بل محمولاً لكونه منعما في رياض الأنس ، والأنس مقام للأولياء ليس فوقه مقام بل هو دائم السرور لا يخالطه حزن ولا هم .

قوله: (**يروي أحاديث الجناب القدسي**) أي: أن هذ الواصل إلى الله تعالى يروى أحاديث الجناب القدسي من الحرف والصوت بل يوحى إليه بإلالهام فيخبر عن الإلهيات والمغيبات .

قوله: (**لم يدر ما طعم جهاد النفس ولا عناء السير والترحال**) أي: أنه وصل إلى الله تعالى بالجذب فلم يعن ولم يتعب بما يكون عليه المريدون السالكون سبيل الله ، فإنهم لا يصلون إلا بالمجاهدة التي هي إثبات النفس لتحملها المشاق من تكليف الطاعات واجتناب المخالفات وترك الشهوات .

ثم قال رضي الله عنه :

لم يُمْتَحَنْ بالفَتْحِ في انتظارِ — ولا بأورادٍ ولا أَذْكارِ

كقصد موسى جذوةً من نارِ — إذ عاد بالإنباء والإرسالِ

قوله : (**لم يمتحن بالفتح بانتظار ...**) إلى آخر البيت ، أي: أن حال المجذوب غير السالك لم يمتحن بانتظار الفتح ولا بترتيب الأوراد والأذكار آناء الليل والنهار وإلزام النفس لها بل جاءه الفتح ووصل ، كما وقع لسيدنا موسى عليه السلام إذ طلب الجذوة من النار فناداه العزيز الغفار بدأ رحمة وإيثار ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾ (طه/ ١٢) إلى آخر الآيات ، فعاد صلى الله عليه وسلم بالإنباء إلى قومه والإرسال ، وهذا المجذوب المناوى بالفتح والإلهام عاد بالإنباء لنفسه وإلى أبناء جنسه فهدى الله به من شاء من عباده على قدر حاله وإمداده . ثم قال رضي الله عنه :

فَهْـوَ مُـرادُ الحـق والمريـدُ ... مـن لم يـزل وجِـدُّهُ جديـدُ

وقربُـهُ مـن ربـه يزيـدُ ... وقلبُـه في قِبلـةِ الإقبـالِ

قوله : (**فهو مراد الحق والمريد**) (فهو) أي: هذا العارف الواصل (مراد الحق والمريد) أي: أنه لما كان مرادا من الله تعالى كان مريدا له فمراد الله به الهداية والدراية ، ومراده لله الإخلاص له في معاملاته وتوجهاته .

قوله: (**من لم يزل وجده جديد**) أي: أن إقباله لا يعتريه فترة ولا صبوة .

قوله: (**وقربه من ربه يزيد**) أي: ولم يزل قرب هذا العارف من ربه إلى زيادة لا تتناهى لأن مواصلات الحق له غير منحصرة بوقت بل دائمة مستمرة (**وقلبه في قبلة الإقبال**) أي: أن قلبه متوجه إلى قبلة الإقبال عليه تعالى لا يلتفت إلى غيره ولا يرجو سواه . ثم قال رضي الله عنه :

يقطـعُ كـلَّ عـائقٍ شـديدِ ... بالصـبر والعـزم عـلى التجريـدِ

فجـازَ كـلَّ عَقَبَـةٍ كَـؤُودِ ... وحـازَ كـل رافـعٍ وعـالي

قوله : (**يقطع كل عائق شديد**) أي: أن هذا العارف لما توجه إلى مولاه بالهمة القوية قطع كل عائق له يمنعه عن السير إلى الله والإقبال عليه كعوائق النفس والهوى والشيطان والدنيا .

قوله: (**بالصبر والعزم على التجريد**) أي: أن ذلك الإقبال والتوجه وقطع كل عائق مقرون بالصبر الذي هو قاض بالمراد كما وعد الله به النجاح وهو تعالى لا يخلف الميعاد والعزم وهو قوة الإقبال على التجريد ، أي: التجرد عن القواطع والعوائق والعلائق التي تصد عن ذلك .

قوله: (**فجاز كل عقبة كؤود**) المراد بتلك العقبات المذكورة في كتاب «منهاج العابدين» للحجة الغزالي إذ هذا السالك في سيره جاز تلك العقبات والكؤود شديدة السير لكونها متعبة للسائر في صعودها أو نزولها فمثل بها للمريد الصادق في سيره أنه يتعب أولا ثم يظفر بالنجاح ثم لما جاز العقبات الموصوفة المتاعب حاز المطالب الرفيعه والمراتب المنيعة فائقا على أقرانه علما في أبناء زمانه ، وعبر بالرفيع العالي والغالي لأن الرفعة تكون في مقام والغالي عبارة عن الثمن ، أي: أنه يكون عالي القدر عزيز الثمن لا يساويه غيره في ذلك . ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

صَفَا وصَفَّى القلب في علاجِهِ ... بكلِّ ما يشفي من اعوجاجِهِ

حتى استوى بالصدقِ في احتياجِهِ ... على الغنى بالحقِّ ذى الجلالِ

قوله : (**صفا وصفى القلب في علاجه**) أي: بواسطة سلوك هذا العارف صفا واتصف بأوصاف القلب الحميدة المرضية .

قوله: (**بكل ما يشفي من اعوجاجه**) أي: أنه اتصف بالأخلاق التي تشفي القلب من اعوجاجه ، فإنه لما اتصف بالإخلاص بعد عن الرياء وشومه وهو المعني بالاعوجاج فإنه بديل عن الصواب والحق في كل ماتوجه إليه من أمور الدين .

قوله: (**حتى استوى بالصدق في احتياجه**) أي: لما صفا القلب واتصف بالأخلاق الحميدة صار صدقه مع الله لا يلتفت إلى سواه ولا ينزل حاجاته إلا به تعالى كما قال نفع الله به (**على الغنى بالحق ذي الجلال**) أي: أنه استوى على الغنى فصار كاملا لغناه بالله وافتقاره إلى الله تعالى ذي الجلال ، أي: العظمة والكبرياء لأنه سبحانه وتعالى يغار أن يرجع عبده إلى

غيره أو يستغني بسواه أو يستمد إليه ، فالعبد بالنسبة إلى ربه فقير دائم الاحتياج لا ينفك عن ذلك ولو ملك الدنيا بأسرها . ثم قال رضي الله عنه :

وأوردَ النفسَ من الرياضهْ من كل ما تكرَهُهُ حِياضَه
فأصبحت على الرضا مُرتاضَهْ مرضيةً بأشرف الخصال

قوله : (**وأورد النفس من الرياضة**) أي: أكره النفس على أنواع الرياضة وهي ، أي: الرياضة مذكورة ومشروحة في الكتاب والسنة وكلام الصوفية كالإحياء وغيره ، ولا سيما كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات .

قوله : (**من كل ما تكرهه حياضه**) أي: أوردها على كل ما تكره حياضه ، أي: حياض ذلك الشرب المر لأنها تميل وتهوى المخالفة للحق إذ هي موصوفة بالأمارة بالسوء فلما اطمأنت ورضيت أذعنت للحق ورغبت فيه كما جاء بذلك نص القرآن العزيز .

قوله : (**فأصبحت على الرضا مرتاضه**) أي: أنها أصبحت هذه المطمئنة الراضية على الرضى ، أي: موصوفة بمقام الرضى مرتاضة ، أي: موافقة له بغير استثقال ففي الخبر (إن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا) فما بالك بالرضا والطمأنينة إلى الحق .

قوله: (**مرضية بأشرف الخصال**) أي: أنها راضية في ذاتها مرضية من مولاها في الدنيا بالزهد والقناعة وموافقته تعالى فيما أمر به وفي الآخرة بالنعيم الدائم المقيم وتلك ، أي: الرضا عن الله وما يثمره من الأخلاق الحميدة أشرف الخصال للمتصف بذلك .

ثم قال رضي الله عنه :

مِنْ بعد عَقْدِ أحسنِ اعتقادِ وعلمِ ما يحتاجُ وازديادِ
وعلمِ طِبِّ القلبِ واجتهادِ يطوي المقاماتِ لكل حال

قوله : (**من بعد عقد احسن اعتقاد**) أي: من بعد الإيمان الجازم بالتنزيه للحق والتقديس له وشهود الكمال له تعالى والإيمان بملائكته وكتبه ورسله فذلك هو أحسن الاعتقاد إذا جرى ووافق اعتقاد أهل السنة والجماعة .

قوله: (**وعلم ما يحتاج وازدياد**) أي: أن ذلك مشروط لعلم ما يحتاجه المؤمن في عباداته ومعاملاته لربه فلا بد منه لأن العمل بلا علم هباء منثور ويكون على العامل لا له والازدياد من العلم غير الواجب فضل وقربةٌ إليه لكنه مشروط بالعمل ، قال صلى الله عليه وسلم : (من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم) .

قوله: (**وعلم طب القلب واجتهاد**) أي: أن المقدم على علم المعاملة علم طب القلب والاجتهاد في تطهيره وتنويره لأنه الأساس في الأعمال فبصلاحه تصلح وبفساده تفسد كما في الحديث .

قوله: (**يطوي المقامات لكل حال**) أي: أنه إذا سعى في صلاح القلب وتطهيره يطوي المقامات ، المعنى أنه يتيسر له الانتقال من مقام إلى مقام فوقه حتى يطويها ويصل إلى مولاه وذلك هو مقصود الرب من العبد لكل حال من الأحوال فإن الأحوال أول المقامات فإذا ثبت الحال واستقر صار مقاما ، وهذه علوم مشروحة في كتب القوم يطول النظر فيها ، وإنما الكلام هنا لمعنى المنظومة . ثم قال رضي الله عنه :

فهـــــذهِ طريقــــــةُ التقــــــديسِ	**قويمــــــةُ التفريـــــعِ والتأســـــيسِ**
بريَّـــــةٌ مــــــن ســـــائر التَّلْبْـــيسِ	**شَرَحَهــــــا إمامُنــــــا الغــــــزالي**

قوله : (**فهذه طريقة التقديس**) أي: أن هذه الطريقة التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد الأكبر فإنه قال عند رجوعه من بعض الغزوات : (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) وهو جهاد النفس ، فهو أي: طريق إلى التقديس المراد به تقديس النفس ، أي: تنزيهها عن رذائلها وبه يقع تنزيه الحق عن كل ما لا يليق بجلاله .

قوله: (**قويمة التفريع والتأسيس**) أي: أن هذه الطريقة وهي طريقة التقديس لتأسيس أصولها وهي أمهات العقائد وتفريعها وهي ما يتفرع عنها من المسائل فإنها طريقة قويمة لا اعوجاج فيها وأصلها ما كان عليه صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون ومن بعدهم من أئمة السنة الحنفاء .

قوله: (**برية من سائر التلبيس**) أي: أنها صافية من تلبيس الملبسين وإدخالهم شوب الشبه عليها فإنها محفوظة من جميع ذلك بحفظ علماء السنة وتقريراتهم لها في مؤلفاتهم .

قوله: (**شرحها إمامنا الغزالي**) أي: أن هذه الطريقة والسنة والحجة قد شرحها إمام الأئمة وحبر الأمة الذي شهد له أهل النبوة بأنه إمام الحق وكتبه شرح السنة ، وهو الإمام محمد بن محمد بن محمد الغزالي نفعنا الله به وبعلومه ، وقد ترجمه وذكر مناقبه واتساعه في العلوم وبراعته فيها واعتماده على العمل كثير من أئمة الشافعية وغيرهم سيما ساداتنا آل أبي علوي ، فإنهم اتخذوه كعبة توجهاتهم وأسوة في تحقيق علومهم وأعمالهم ، وأثنوا عليه نثرا ونظما مما يحتاج نقله إلى الإطالة والإسهاب ، فمناقبه مشهورة ، ويشهد له بعلو المرتبة وأنه وارث كامل كتاب ((إحياء علوم الدين)) الذي فاق في ترتيبه وتقريبه وبيانه لتخليص العلوم والأعمال عن الشوائب المحبطات لنفعها وثوابها رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به وبعلومه في الدارين .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

الرشفة الثالثة عشر:

[في بيان اختلاف طرقهم في الوصول إليه سبحانه وتعالى]

رَشْفَةٌ مِنْ غَيْثِ مَنَاهِلِهِمْ وَ نَسْمَةٌ مِنْ قُرْبِ مَنَازِهِمْ

قوله : (**رشفة من غيث مناهلهم**) الغيث : هو المطر النازل من السماء ، والمنهل الذي يستقر فيه الماء ويعد للشرب (**ونسمة من قرب منازلهم**) أي: ونسمة تهب من قرب منازلهم فتأثر في ناشقها الأرياح الطيبة . قال رضي الله عنه :

وبعضهُمْ سارَ بأَوْلَى سيْرِ فاقتصروا عنه قصورَ العُمْرِ
واختصروا طُوْلَ فروعِ الأمرِ ولاحظوا وُجْهَةَ وَجْهِ البالِ

قوله : (**وبعضهم سار بأولى سير**) أن بعض الأولياء العارفين ساروا بأولى سير ، أي: بأحسن ما يكون السير به من على الأمور الكلية الجملية ليحوز ما يقع في العمر الطويل في العمر القصير ، وقد ذكروا أنه ينبغي للإنسان غير المتجرد أن يتعاطى ويعمل على الأوراد والأذكار التي فيها المضاعفة كصلاة التسبيح وصدقة السر وصيام الأيام الفاضلة والأذكار الجامعة للمضاعفة كذكر (سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا) وكذا (سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته) وغير ذلك من الأذكار التي فيها المضاعفة كما قال نفع الله به (**فاقتصروا عند قصور العمر واختصروا طول فروع الأمر**) فإنه إذا قال ذلك سبحان الله ألفا أو لا إله إلا الله أو الحمد الله كذلك مثلا فانه يقع له ثواب ذلك كأنه كرر هذا الذكر ألفا على معتمد الجمهور ، قال بعضهم – وهو المخالف –: إن الفرق بين التقرير والتكرير في قول القائل لزوجته أنت طالق ثلاثا مراده يقرر عليها الثلاث ، وأما قوله: (سبحان الله مائة أو ألفا) مثلا لا يراد منه التقرير بل لا يحصل له الثواب إلا بالتكرير لأن المراد في الأذكار دوامها واستمرارها ودوام الحضور مع الله فيها وكلما اتسع العدد كثر الحضور والمدد ، والأول أصح كما قرر ذلك السيد يوسف البطاح الأهدل في بعض رسائله .

قوله: (**ولاحظوا وجهة وجه البال**) أي: أن الملازمين للذكر والقائمين بالعبادات لم يزالوا ملاحظين ومراعين وجهة ، أي: التوجه إلى وجه البال ، أي: الخاطر فلا يوجهونه إلا إلى ما فيه صفاء قلوبهم والقرب من ربهم وصلاح آخرتهم .

ثم قال رضي الله عنه :

وخرجـوا مـن جُمْلَـةِ التَّـدبيرِ ... إلى انتظـارِ الفـيض في التقـديرِ

وأسسـوا في الحـقِّ كُـلَّ سَـيْرِ ... عـلى الهـدى بأصـدقِ اتكـالِ

قوله : (**وخرجوا من جملة التدبير**) أي: أن هؤلاء المفوضين أمورهم إلى الله والمعتمدين على التوكل عليه خرجوا عن تدبير أنفسهم ورضوا بتدبير الله لهم فما اختار لهم تعالى رضوا به وأنسوا إليه لأنه فعل محبوبهم فيرون أنه لا يختار لهم إلا ما فيه صلاحهم وإن كان لا يجب عليه شيء لأحد من خلقه بل ذلك بفضل الله ورحمته .

قوله: (**إلى انتظار الفيض في التقدير**) أي: أن هؤلاء لما خرجوا عن التدبير انتظروا فيض الله عليهم ورحمته وتقديره لهم فأعطاهم تعالى فوق ما يرجون ويأملون لحسن تفويضهم إذ الإنسان إذا أراد لنفسه شيئا من محبوباتها فهو غير مفوض ولا راض ، قال ابن عطاء الله رحمه الله تعالى في ((الحكم)) : إرادتك التجريد مع إقامة الله لك في الأسباب من الشهوة الخفية وإرادتك الأسباب مع إقامة الله لك في التجريد انحطاط عن الرتبة العلية ، يشير إلى أن تلك الإرادات ليست من أعلى أحوال العارف .

قوله: (**وأسسوا في الحق كل سير**) أي: أنهم لا يدخلون في شيء من العبادات والعادات إلا بتأسيس النية فيه وإرادة الحق به فليس لهم اختيار في شيء إلا فيما أراد الله به لهم .

قوله: (**على الهدى بأصدق اتكال**) فتأسيسهم لأمورهم على هدى من ربهم وبصيرة من دينهم فلا يكون لهم مع ذلك شهوة ولا إرادة بل هم صادقون في اتكالهم عليه تعالى وتفويضهم له ورد مراداتهم إليه . ثم قال رضي الله عنه ونفع به وبعلومه :

تَوَجَّهـوا حقـا لوجـه الـربِّ ... وقصـدُهُمْ نيـلُ الرضـا والقُـرْبِ

وهَمُّهُمْ في جَمْعِ هَمِّ القَلْبِ   في خُلْطَةٍ كانوا أو اعتزالِ

قوله : (**توجهوا حقا لوجه الرب**) أي: أن توجهاتهم إلى مولاهم كانت حقا وصدقا فعاملوا ربهم معاملة صحيحة غير ملتفتين إلى نفس ولا هوى ولا دنيا .

وقوله (**وقصدهم نيل الرضا والقرب**) أي: أن هؤلاء القوم لما عاملوا مولاهم بهذه المعاملة الخالصة الصادقة قصدوا نيل رضى الله تعالى والقرب منه لا غير .

قوله: (**وهمهم في جمع هم القلب**) أي: وأن همتهم وعزمهم في جمع هم القلب على الله تعالى لأنه المقصود الذي عليه المعول وبه يحصل الإقبال وبذل الوسع فيما به تحمد العاقبة من الأمور المسنونة والواجبة حسب الاستطاعة وعلى قصد الطاعة .

وقوله (**في خلطة كانوا أو اعتزال**) أي: أنهم مداومون وملازمون على ذلك الهدي النبوي في مخالطة الناس أو الاعتزال عنهم فإن من له إلمام بالتوجه لا يختص ذلك منه بخلوة ولا في جلوة إلا أن القوي في إيمانه ومعرفته لا تضره المخالطة والضعيف بضده فينبغي له العزلة عن الخلق. ثم قال رضي الله عنه :

فراقبوا في القُربِ للمَعِيَّهْ   وأَخْلَصُوا في الذِّكْرِ للجَمْعِيَّهْ

والتزموا في السِّيْرَةِ الشَّرْعِيَّهْ   خُلاصَةَ الآدابِ والأعمالِ

قوله : (**فراقبوا في القرب للمعيه**) أي: أن هؤلاء العارفين بالله المقبلين عليه لا يزالون مراقبين لله تعالى في قربهم منه وشهود معيته معهم فإنه تعالى قائم على كل نفس بما كسبت ومشاهد ورقيب على قلب العبد وعمله وناظر إليه ، قال تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (الحديد/ ٤) .

قوله: (**وأخلصوا في الذكر للجمعيه**) أي: أنهم أخلصوا أعمالهم في الذكر وغيره بالجمعية بجمع الهم على ذلك الجناب الأقدس فاستغرقوا في ذلك الأنفاس واللحظات وظفروا بالمطلوب والمسرات في الحياة وبعد المهات .

قوله: (**والتزموا في السيرة الشرعية خلاصة الآداب والأعمال**) أي: أن السيرة الشرعية والآداب المحمدية والأعمال البدنية والمالية كثيرة الانتشار غير محدودة بالعد والحد

والإحصار أخذوا منها خلاصتها من أنواع الطاعات وسائر القربات واجبة ومسنونة . ثم قال رضي الله عنه :

وهـــذهِ طريقـــةُ التقريـــبِ لقُــربِ غَــوْثِ العبــدِ مِــنْ قَرِيْــبِ

بنفحـــةٍ مـــن صُــحْبَةٍ أو غَيْــبِ للشـــاذِليْ ومَـــنْ لـــه يُـــوالي

قوله : (**وهذه طريقة التقريب**) لما شرح الناظم رضي الله عنه طريق المجاهدة التي ذكرها الإمام الغزالي في كتبه أشار إلى ما كان عليه الأئمة الشاذلية من ترويح النفوس وجذبها إلى الطاعات ومعاملات الحق بزمام الرجاء والاتساع في المأكل والمشرب والملبس مع التزام الشكر واستشعار المنة وهي طريقة التقريب للرجاء الذي هو قائد وتلك طريقة الخوف الذي هو سائق .

قوله: (**كقرب غوث العبد من قريب**) أي: أن هذه الطريقة سميت بطريقة التقريب لقرب غوث العبد من قريب ، أي: إنها يكون مددها بالتوجه على قرب الزمن لأن الرجاء والطمع في فضل الله ورحمته أحب إليه تعالى من الخوف الذي قد يفضي إلى الإياس ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (يونس/٥٨) .

قوله: (**بنفحة من صحبة أو غيب للشاذلي ومن له يوالي**) أي: أن ما ذكر من طريقة التقريب حاصل للشاذلي ، أي: للإمام القطب أبي الحسن الشاذلي المنسوبة إليه هذه الطريقة ومن له يوالي ، أي: ومن تبعه عليها . ثم قال رضي الله عنه :

وبعضُـــهُمْ مَلامَتِـــيُّ الســـيرهْ أخفـــى جميـــعَ الأمـــرِ في السَّريـــرهْ

مســـــتتراً في حالـــــةٍ مُنـــــيرهْ مـــن خلـــوةٍ أو خدمـــةٍ أو حـــالِ

قوله : (**وبعضهم ملامتي السيره**) أي: بعضهم طريقته وسيرته من الطائفة الملامتية وهو من لا يظهر خيراً ولا يضمر شراً كما قال صاحب كتاب ((العوارف)) : فالملامتية لهم اختصاص بالتمسك بالإخلاص ويرون كتم الأعمال والأحوال ويتلذذون بكتمانها حتى لو ظهرت أعمالهم أو أحوالهم لاستوحشوا من ذلك كما يستوحش العاصي من ظهور معصيته،

فالملامتي عظم وقع الإخلاص وموضعه وتمسك به مقيدا به ، والصوفي غاب في إخلاصه عن إخلاصه .

وقوله : (**أخفى جميع الأمر في السريره مستترا في حالة منيرة من خلوة أو خدمة أو حال**) يشير إلى ما مر من كتم الأعمال والأحوال ، لأن سريرته مع الله حسنة وإن ظهر للناس من علانيته خلاف ذلك فلا يبالي ، كما قيل :

ولست أبالي من رماني بريبة إذا كنت عند الله غير مريب

ثم قال رضي الله عنه :

وبعضهم قد جَرَّدَ اجتهادَهْ لربه في الصَّوْمِ والعِبَادَهْ

مُلازِمَاً في عُمْرِهِ أوراده موزِّعاً في الوقتِ باستعمالِ

قوله : (**وبعضهم قد جرد اجتهاده**) أي: أن بعضهم وهم أهل التجريد فرقوا أنفسهم عن كل ما يشغلهم عن الله تعالى ووزعوا أوقاتهم في أنواع العبادات مقبلين عليه سبحانه وتعالى .

قوله: (**لربه في الصوم والعباده**) أي: أن هذا المتجرد فرغ نفسه لربه في الصوم والعبادة بجمع كل ما يتقرب به المريد إلى الله تعالى مع النية والإخلاص .

قوله: (**ملازما في عمره أوراده موزعا في الوقت في استعمال**) أي: أن هذا السالك الموصوف بهذه الطريق لازم للأوراد العملية الذكرية بأنواعها المشروحة في كتبهم مستغرقا فيها العمر ينتقل فيها من ذكر إلى ذكر في كل وقت من أوقات ليله ونهاره لا يتعداه ولا يؤثر فيه سواه قال الدميري في كتابه ((سبيل النجاة)) فمنهم من لزم الماء والمحراب والنوافل والأوراد ، وهي أسلم الطرق ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ (الزمر/ ١٨) .

ثم قال رضي الله عنه :

وبعضُهُمْ في العلمِ والتعليمِ والجمعِ في التأليفِ والتفهيمِ

مجتهداً في دينِهِ القويمِ فحَلَّ ما قد حل مِن إشكالِ

قوله : (**وبعضهم في العلم والتعليم** ...)إلى آخره ، أي: أن بعض العاملين صرفوا أوقاتهم في التعلم والتعليم وتأليف العلوم النافعة وتفهيم معانيها من حل معضل منها وفك مشكل مجتهدا بذلك في دينه ومعاملاته مع ربه ، قال الشيخ العارف بالله علي بن عبد الله باراس رضي الله عنه في كتابه ((شرح : ما لذة العيش إلا صحبة الفقراء)) : ومنهم من يقام في العلوم واستخلاص دقائقها واستكشاف حقائقها والاطلاع على أغوارها واقتباس أنوارها انتهى ، قال الدميري : ومنهم من سلك طريق العلم والمسائل ومجالسة العلماء وهي طريق ظاهرة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾ (البقرة/١٥٧) . ثم قال رضي الله عنه :

وبعضُهم قام مقاماً بَاهِرْ وأظهرَ الأحكامِ في الظَّواهِرْ
بالشَّرْعِ فيها آمرٌ وقاهرْ حتى استوتْ مناهجُ العُمَّالِ

قوله : (**وبعضهم قام مقاما باهر**) أي: أن بعض من ولاه الله وأولاه شوكته قام بها مقاما باهرا للعقول لكونه أتى بشيء لم يعهد في أهل عصره .

قوله: (**وأظهر الأحكام في الظواهر**) أي: أنه أظهر أحكام الحق الظاهرة وأكره على فعلها المضادين والمعاندين حتى أذعنوا لها وعملوا بمقتضاها .

قوله: (**بالشرع فيها آمر وقاهر**) على فعلها لمن خالفها ، وذلك كسيدنا عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما وكل من نحى نحوهما من الولاة أهل العدل العاملين بمقتضى الشرع .

قوله: (**حتى استوت مناهج العمال**) أي: حتى استقامت طرق العمال السالكين لأحكام الشرع ومناهجه فلم يعارضهم في ذلك معارض ولا مخالف ، وفي معنى من هذا حالة أئمة من العلماء العاملين والأولياء العارفين قاموا بهذا الأمر بغير شوكة ظاهرة بل بأحوالهم وقوة عزائمهم كالشيخ الإمام أحمد بن عيسى بن محمد جد السادة العلويين الحضرميين ، فإنه لما انتقل من بلاد سلفه البصرة إلى حضرموت أقام شوكة العدل والشرع وأخمد البدع فلم تظهر عند ذلك بدعة ، وصارت كلها من الخاصة والعامة أهل سنة وجماعة

، وتبعه أولاده كالشيخ الفقيه المقدم ومن بعده حتى انتشرت مناهج الشريعة والطريقة وظهرت الاستقامة والقيام بالحق كما ذلك مشهور عنهم ومذكور في تراجمهم ، وقد سلك مسلكهم غيرهم من الفقراء والعامة إلى الآن.

ثم قال رضي الله عنه:

وبعضهمْ في حفظ أمرِ الدِّينِ عن كيدِ ذي جَحْدٍ وعن ذي مَيْنِ

بنورِ بُرْهانِ الهدى مُبينِ عنِ المرا يغنيهِ والجدالِ

قوله : (**وبعضهم في حفظ أمر الدين عن كيد ذي جحد وعن ذي مين**) أي: أن بعض العلماء العاملين لهم عناية في حفظ أمر الدين عن كيد الجاحدين لأوامره ونواهيه أو لبعضها فيسعون في رده وردعه بالحجج الواضحة والبراهين اللائحة كما قال (**بنور برهان الهدى مبين**) أي: بنور الدلائل القرآنية والنبوية المبين لحجج أهل الحق الداحض من خالفهم .

قوله: (**عن المرا يغنيه والجدال**) أي: أنه يعين الحق وينصره بتلك البراهين لا بالمراء المذموم ولا بالجدال الذي هو من شيمة الجاهل الغشوم . ثم قال رضي الله عنه :

وبعضهم أُقِيْمَ في الأسبابِ قضى بها بأحسن الآدابِ

وانتظَرَ الإفضالَ مِنْ وَهَّابِ أقامه في الكسب والعيالِ

قوله : (**وبعضهم أقيم في أسباب**) أي: وبعضهم أقامه الله تعالى في الأسباب الكسبية من الحلال فهو يعانيها ويصابرها ويبعث فيها مأجورا بذلك لكونه سلك طريقة أصحاب اليمين فهو ناج وفائز لما ورد في فضل الكسب الحلال وتحمل المشاق فيه من أجل الأهل والعيال .

قوله: (**قضى بها بأحسن الآداب**) أي: قضى بهذه الطريقة شغله المحمود لما سلكها بأحسن الآداب التي يراعي فيها حكم الشرع .

قوله: (**وانتظر الإفضال من وهاب**) أي: وكونه من هذه الحالة منتظرا فيض الكريم الوهاب المعطي بغير حساب فيفيض عليه من الرزق ما يكفيه ويعينه ويستعين به على محاب الله وما خلق لأجله .

قوله: (**أقامه في الكسب والعيال**) أي: وذلك لإقامة الله له في الكسب على العيال فينيله من الرزق بقدر ما قسم له ذلك في الأزل ، لما ورد في الحديث القدسي من : (إن الأجل والرزق والعمل كل ذلك بتقدير وقسمة قديمة فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط) قال الشيخ علي بن عبد الله باراس : فمن المريدين من يصلح للتجريد ومنهم لا يصلح ولا يسعه إلا التسبب . انتهى . ثم قال رضي الله عنه :

فأفضلُ العَبديةِ الإقامَهْ بما له مولاه قد أقامَهْ

على هدىً بأحسنِ استقامَهْ بكلِّ ما يَرضى من امتثالِ

قوله : (**فأفضل العبدية الإقامة بما له مولاه قد أقامه**) أي: أن أفضل أحوال العبد أن لا يكون له اختيار مع مولاه بل يختار ما اختاره له من الاقامة في كسب أو تجريد أو غيرهما فإن من اختار لنفسه حالا من الأحوال كان غير راض بما قسمه الله له ، ومر نقل كلام ابن عطاء الله في ((الحكم)) وهو : إرادتك التجريد مع إقامة الله لك في الأسباب من الشهوة الخفية وإرادتك الأسباب مع إقامة الله لك في التجريد انحطاط عن الرتبة العلية ، والأولى بالعبد أن يكون مع ربه في أحد الحالين مفوضا إليه أمره وراضيا عنه ، كما قال صاحب الزبد :

والحق أن تمكث حيث أنزلك حتى يكون الله عنه نقلك

قوله : (**على هدى بأحسن استقامه**) أي: أن العبد إذا أقيم في أحد المقامين واستقام فيه وراعى آدابه ورضي بذلك فذلك هو مقصود الحق منه وهو في ذلك على هدى من ربه .

قوله: (**بكل ما يرضى من امتثال**) أي: أنه ممتثل بكل ما يرضاه الله منه وبذلك يرضى عليه فالتفويض والرضا أعلى أحوال العبد عند الله وفيه راحة القلب والبدن .

ثم قال رضي الله عنه :

فإنـــــه ســـــبحانه بـــــالحقِّ أعطـــى لكـــل مـــا لـــه مـــن خَلْـــقِ

ثـــم هـــدى ثـــم دعـــا بـــالرِّفْقِ كـــلاً بـــما يصـــلِحُهُ مِـــنْ حـــالِ

قوله : (**فإنه سبحانه بالحق أعطى لكل ماله من خلق**) أي: أنه إذا أظهر عبده في مظهر من المظاهر الدينية التي يرضاها فإنما ذلك قد سبق في سابق علمه ورعايته به فليس له فعل في ذلك وإنما هو مسخر لما خلقه الله لأجله فحينئذ يلزمه الشكر ودوام العمل مع الإخلاص وأن لا ينسب لنفسه فعلا بل يشهد الله في جميع أحواله وأفعاله .

قوله: (**ثم هدى ثم دعا بالرفق كلا بما يصلحه من حال**) ففي هذين البيتين تقرير وشرح لما مر أن الأصل في الأحوال الجميلة الموافقة للشرع إنما هي بهداية الله ورعايته لعباده بالرفق كوعده الكريم لجزائهم على أعمالهم في دار النعيم فإن ذلك معدود من الرفق لأنه ترغيب لهم ودعاء إلى مافيه صلاحهم وكل واحد بما يصلح له من الحال والعمل والجزاء عليه بحسب السابقة ، قال تعالى ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا ﴾ (الزخرف/ ٣٢) ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا ﴾ (الواقعة/ ٦٠)

ثم قال رضي الله عنه :

فبعضُـــــهُمْ كمالُـــــهُ في صـــــبرِه وبعضـــــهم ينالُـــــهُ مـــــن شُـــــكْرِه

وبعضـــــهم عطـــــاؤُهُ في فَقْـــــرِه وبعضـــــهم صـــــلاحُهُ بالمـــــالِ

قوله : (**فبعضهم كماله في صبره**) أي: أن بعض من ذكر من الأولياء العارفين والعلماء العاملين وكذا المؤمنين أصحاب اليمين يكون كماله واستقامة حاله دينا ودنيا في صبره على الشدائد والمضائق وكل ما يلم به من جناب الحق أو الخلق مما هو معتمده الصبر فهو عامل به .

قوله : (**وبعضهم يناله من شكره**) أي: أن بعض من ذكر ينال الكمال بقيامه لمقام الشكر الذي هو أعلى مقامات اليقين وأرفع منالات الصادقين فالشكر على النعماء حال رفيع ومقام منيع ، وقد فسره العلماء بأنه صرف جميع ما أنعم الله به على عبده إلى ما خلق لأجله ، فخرج بذلك ما صرف لغير ذلك من دنيا وهوى وشهوة وحظ فإن ذلك ليس من

حال الشكر ولا من مقامه ، ولذلك رد الله على من ادعى الشكر وهو غير متصف به فقال تعالى ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الأنعام/ ٥٣) وقال تعالى ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ (سبأ/ ١٣) وقال تعالى في معرض طلب الشكر على النعم ﴿ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ (الزمر/ ٧) وقال تعالى ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ (إبراهيم/ ٧) .

قوله: (**وبعضهم عطاؤه في فقره**) أي: أن بعض من ذكر يعطى الأحوال والمقامات والمعرفة والنور بالفقر الذي هو حال أولي العزائم من الأنبياء والأولياء فمن صبر على الفقر واحتسب ورضي كان مقامه عزيزا شريفا ومناله عظيما .

قوله: (**وبعضهم صلاحه بالمال**) أي: وأن بعضهم يكون صلاح قلبه وآخرته ودينه بوجوه المال في يده لكنه خارج عن قلبه فهو يصرفه في وجوه البر والخير محتسبا راضيا .

قال الشيخ عبد الله بن علوي الحداد باعلوي ، نفعنا الله به في كتابه ((الفصول العلمية)) : فيختلف السالكون والطالبون للحق في ذلك اختلافا كثيرا ، فبعضهم يصلح له ويحسن به هذا الأمر ، وآخر يصلح له أمر آخر ، وهذا يصلح له هذا العلم وآخر يصلح له علم آخر ، وكذلك في الأعمال ، وكم من طالب تصلح له العزلة ويستقيم فيها حاله وآخر لا تصلح له إلا الخلطة ، وطالب لا يصلح له إلا التجرد عن الأسباب وآخر لا يصلح له إلا التلبس بها ، وكذلك في السفر والإقامة وغير ذلك من الأحوال والأمور المتغايرة ..إلى آخر ما ذكره وأطال فيه ، فلينظر دليل هذه الأطوار ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي (إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لفسد حاله وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لفسد حاله) أو كما قال .

ثم قال رضي الله عنه :

الرشفة الرابعة عشر :

[في بيان اختلاف أذواقهم في الإقبال عليه سبحانه وتعالى]

رَشْفَةٌ مِنْ تَسْنِيْمِ مَشَارِبِهِمْ وَ نَسْمَةٌ مِنْ نَسِيْمِ مآرِبِهِمْ

قوله : (**رشفة من تسنيم مشاربهم**) التسنيم هو الماء البارد الصافي (**من مشاربهم**) أي: أذواقهم .

قوله: (**ونسمة من نسيم مآربهم**) النسيم هو روائح تسهيل المطالب وتيسيرها ، ومآربهم أي: مطالبهم . قال رضي الله عنه ونفعنا به وبعلومه :

واختلفوا في صفة القربيَّهْ وفي اتصال القُوَّةِ الكَسْبِيَّه

أو انعطافِ نفحةٍ جَذْبِيَّه ترفعُ عنه كُلْفَةَ الأثقالِ

قوله : (**واختلفوا في صفة القربيه**) أي: أن مشايخ الصوفية وأرباب السلوك اختلفوا في صفة القرب من الله تعالى فما الأفضل منها الكسب ثم الجذب ؟ أو الجذب ثم الكسب ؟ فذهب قوم إلى أن الطريق الأول أفضل وآخرون إلى أن الطريق الثاني ، وقالوا: إن الكسب لا بد له من الجذب الذي يعين عليه ، والجذب لابد له من الكسب وقد مر معنى ذلك كما قال : (**وفي اتصال القوة الكسبية أو انعطاف نفحة جذبيه**) .

وقوله : (**ترفع عنه كلفة الأثقال**) أي: أن الجذبة الربانية لمن حصلت له رفعت عنه أثقال السير إلى الله تعالى وسلوك طريق القوم فيصير محمولا فيها غير شاقة عليه ولا مستثقلا لأعبائها . ثم قال رضي الله عنه :

فبعضُهُمْ ما زال في تقييدِ في جدِّه وزُهدِهِ الشديدِ

مراقباً زواجرَ الوعيدِ مرتقباً للموت والمآلِ

قوله : (**فبعضهم مازال في تقييد في جده وزهده الشديد**) أي: أن بعض من ذكر من الأولياء والعلماء يسعى في تقييد النفس وحبسها عن الشهوات والخطرات التي هي غير

متعلقة بالذكر والفكر وحافظها عن كل ما لا يعني مما لا يتعلق بالآخرة ملازما مقام الخوف الذي هو أسلم وكانت ملازمته الخوف والخشية لله تعالى في جده ، أي: اجتهاده في الطاعات وفي زهده الشديد ، أي: القوي لأن الزهد في الدنيا من أعلى مقامات اليقين ويحتاج إلى إيمان وثقة بما عند الله تعالى من الرزق والعمل والجزاء عليه ، وللزهد في الدنيا شروط ومراتب ودرجات وقد عقد لذلك الإمام الغزالي رضي الله عنه كتابا مستقلا من ((الإحياء)) سماه كتاب الزهد في الدنيا .

قوله: (**مراقبا زواجر الوعيد**) أي: أن هذا الزاهد المقتصر من الدنيا على ما لابد له منها مراقبا زواجر الوعيد ، أي: أن زواجر الوعيد حملته على الخوف وعلى الجد والاجتهاد والزهد في الدنيا .

قوله: (**مرتقبا للموت والمآل**) أي: أن المتصف بالانزجار مراقبٌ لهجوم الموت في كل ساعة وحال من الأحوال وذلك يحمله على العمل للمآل وإخلاصه لذي الجلال، وقد ورد في فضل ذكر الموت من الآيات والأخبار والآثار ما لا يحصى ، وقد قال صلى الله عليه وسلم (عليكم بذكر الموت فإنكم إن ذكرتموه في ضيق وسعه عليكم) .

وفي ((الإحياء)) كتاب مستقل سماه كتاب ذكر الموت وما بعده ، وهو آخر كتب المنجيات ، وقد مرت الإشارة إلى الوسيلة الفريدة من ديوان الحبيب الشيخ عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به التي مطلعها :

ألا يا نفس ويحك كم تواني ... وكم طول اغترار بالمحال

وكذلك ديوانه وكتبه حافلة بذلك ، والموت أول مسافر ينتظر ، ختم الله لنا بالحسنى وجعلنا من الفائزين في العقبى . ثم قال رضي الله عنه :

وبعضهم في البسطِ في الوجودِ ... في بسطةٍ مِن نعمةٍ وجُودِ
شاهدَ فضلَ الربِّ في الوجودِ ... فعمَّهُ مولاه بالإفضالِ

قوله : (**وبعضهم في البسط في الوجود**) لما ذكر رضي الله عنه مقام الخوف وهو يقتضي للقبض والحذر والاحتراز ذكر بعده مقام الرجاء وهو يقتضي البسط ، أي: أن من

غلب عليه الرجاء ينطلق ويتسع في الأحوال والعادات ولا يتقيد إلا فيما قيده الشرع به فهو رافل في بيداء النعماء شاكر على ذلك وذلك مقام من مقامات الأولياء ، وقد مر أن الخوف سائق والرجاء قائد وأن الكامل من اعتدل خوفه ورجاؤه وحينئذ فينبغي لمن غلب عليه الخوف أن يميل إلى جانب الرجاء ومن غلب عليه الرجاء أن يميل إلى جانب الخوف .

وقد نقل الشيخ محمد بن عمر باجمال في كتابه ((مقال الناصحين)) عن الشيخ الحبيب عبدالله العيدروس نفع الله به أنه قال : نحن لنا أحوال قد نتعاطى أمورا لا تصلح لغيرنا ولنا فيها نيات صالحة وعندنا فيها علوم دقيقة قد يخفى أمرها فلا ينبغي لأحد أن يقتدي بنا فيما خفي أمره واشتبه عليه ظاهره ، فانصح لنفسك فللأولياء الصديقين انغمار بأنوار اليقين وانغماس في بحار القرب والتمكين .

قوله : (**في بسطة من نعمة وجود**) أي: مقام البسط بجامعه النعمة والجود لأنه فائض منهما وجار عنهما وهو الغالب وهو صاحبه في حال الرجاء .

قوله : (**شاهد فضل الرب في الوعود**) أي: أن المتحلي بمقام البسط لا يزال مشاهدا ما ورد من الدلائل الواردة بوعد المولى الكريم من المعاملة بالإحسان وإفاضة النعم والامتنان في كل وقت وأوان فهو في روح وراحة وحبور واستراحة لا ينفكان ، قال تعالى ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (يونس/٥٨) .

قوله: (**فعمه مولاه بالإفضال**) فعمه ، أي: شمله مولاه ، أي: سيده بالإفضال، أي: الزيادة لأنه لما شكر ما أفاضه الحق عليه من النعم المتنوعة زاده الله . ثم قال رضي الله عنه :

وبعضهم في كُلْفَةِ التكليفِ ... بين ترجِّي الفضلِ والتخويفِ

قضى بذاكَ العُمْرِ في شَريفِ ... مِن صبرِهِ ففازَ في المنالِ

قوله : (**وبعضهم في كلفة التكليف**) أي: أن بعض العباد المصطفين اختار الله له كلفة التكليف وهي المجاهدة فيما كلفوا به من الأوامر والنواهي صابرين على ذلك عاكفين عليه كما أمر الله رسوله في قوله: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾ (الشرح٧-٨) .

قوله : (**بين ترجّي الفضل والتخويف**) أي: أن حالهم اقتضى شدة التوجه إليه تعالى لكون مقامهم بين الرجاء والخوف فهم يعملون دائبين رجاء في فضل الله وخوفا من عقوبته وهذا هو المقام الأحمد الأحوط إلا من غلب خوفه أو رجاءه فينبغي له الميل إلى الجانب الآخر .

قوله: (**قضى بذاك العمر في شريف**) أي: أن هؤلاء الخائفين الراجين قضوا أعمارهم الشريفة وزجوها بين الخصلتين ليستمروا على ما هم عليه من الأعمال التي يرجون ثوابها في الدار الآخرة وتكون لهم في الدنيا حلية وزينة .

وقوله (**من صبره**) أي: استعماله الصبر في كل أحواله وأموره لأن الصبر يحتاج إليه المريد الصابر في صبره على الطاعة وتركه المحرمات والمشتهيات .

وقوله (**ففاز بالمنال**) أي: أن هذا الصابر يفوز بمنالاته ومطالبه ، قال صلى الله عليه وسلم : (إن النصر مع الصبر) وفي الآية ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (الزمر/ ١٠) ، وكم وردت في الصبر وفضله وحسن عاقبته من الآيات والأخبار ما لا يحصى وهو مذكور في محاله . ثم قال رضي الله عنه :

وبعضهم إذ جَدَّ في اجتهادِهِ	**أعانه الحقُّ على مرادِهِ**
بجذبةٍ فانحلَّ من قيادِهِ	**ونال أسنى الفتحِ والآمال**

قوله : (**وبعضهم إذ جد في اجتهاده** ...)إلى آخره ، ذكر في هذا البيت حال المكتسب المجتهد وقد مر أن الكسب لابد لصاحبه الجذب ، والجذب لابد له من الكسب ، ومعنى الإعانة هنا هي الجذب ، إذ بهذه الإعانة والجذبة الربانية ينحل قيد الكسل والتقاعد والتقاعس والملل عن طلب المعالي والاجتهاد فيها وبها ، أي: بالجذبة والإعانة في الاجتهاد (**نال أسنى الفتح**) والفتح هو أن ينفذ من طريق المعاملة إلى المكاشفة فيحصل لها الفتح والتجلي وتنزل الأنوار التي تزيد في إيمانه ويقينه وأحواله وأعماله فيكون عبدا محضا ، كما مر عن الشيخ عبد الله بن علوي الحداد أنه قال : الشيخ الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس نفع الله به : صار قلبا وربا لا نفسا وهوى .

وقوله(**والآمال**)هي كل مرغوب فيه ديني وأخروي وما أعانه عليهما . ثم قال رضي الله عنه :

فبعضهم في لاعجِ الأشواقِ　　برهبةٍ في غايةِ الإشفاقِ

أو رغبةٍ في حالةِ الإملاقِ　　أو نسبةٍ من مُخْلِصِ الأعمالِ

قوله : (**فبعضهم في لاعج الأشواق**) قسم رضي الله عنه السالكين والمجذوبين في هذا البيت إلى ثلاثة أقسام : فالأول لاعج الأشواق وهو شدة الشوق إلى المشتاق إليه من أي أمر كان ، ولكن المراد هنا لاعج الإرادة التي تقذف في قلوب المريدين بقوة الهمة إلى رب العالمين ، قال الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به في خطبة ((رسالة المريد)) : الحمد لله الذي قذف في قلوب المريدين لاعج الإرادة ، ثم ذكر رضي الله عنه فيها آداب المريدين وما يتعلق بالإرادة المعروفة عند الصوفية .

قوله: (**برهبة في غاية الإشفاق**) أي: أن هذا المشتاق صاحبته الرهبة خوفا من أن يبلغ رؤية المشتاق إليه والوصول إلى جنابه فلا يزال في غاية الإشفاق وهو الخوف .

قوله: (**أو رغبة في حالة الإملاق**) أي: أنه يكون هذا المشتاق في رغبة ورجاء إلى بلوغ مقصده وحصول الوصول إليه في حالة الإملاق ، أي: غاية التذلل والخضوع والخشوع لمن هو مشتاق إليه ليرحمه وينيله مقصوده ، وهو القسم الثاني .

قوله: (**أو نسبة من مخلص الأعمال**) ولعل هذا القسم الثالث أنه أراد بمخلص الأعمال الذي لا يكون له مقصدا ولا مطلبا في جزاء ولا ثواب ولا غيرهما إلا مجرد محض العبودية وشهود الربوبية فقط وهذا أكمل الثلاثة . ثم قال رضي الله عنه :

وبعضهم غريقُ بحرِ الجودِ　　شهيدُ سيفِ الكشفِ والشهودِ

قد صارَ تحتَ العِزِّ كالمفقودِ　　وليس عنه مخبرٌ بقالِ

قوله : (**وبعضهم غريق بحر الجود**) أي: بعض مَنْ مَنَّ الله عليهم بهذه الجذبة ودعاهم إليه وقربهم منه يكون غريقا في بحر المحبة والمعرفة فإنه بربه غائب عن نفسه وعن غيره وذلك لأنه مسربل بمعرفة الجود والكرم من النعم والعطايا والمنن .

قوله: (**شهيد سيف الكشف والشهود**) أي: أنه لما أطلعه الله على الغاية من جوده وكرمه وفتحه ومنحه غلبت عليه الدهشة وربما غلبه الحال فألقى نفسه في المهالك فكان شهيدا مقتولا بسيف الكشف للمغيبات وشهود الحق في الموجودات وهو غائب بالمكون عن الأكوان.

قوله: (**قد صار تحت العز كالمفقود وليس عنه مخبر بقال**) أي: أنه لما غاب عن الأكوان بالمكون وشهد قهر الحق وعزه وعظمته صار كأنه مفقود تحت العز لا يشهد غير الله ومثَّله بالمفقود لكونه بائنا عن الخلق بقلبه وإن كان معهم بجسمه فليس مخبر بقال لأن حال هذا العارف مستتر عن غيره فلا يعبر عن حاله بمقال قائل لعزة الكشف وظهور حاله على غيره منه تفضلاً منه تعالى عليه وذلك لأن علومه وحقائقه غيبية يجب سترها ، كما قال أبو هريرة رضي الله عنه : (حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين أما أحدهما فبثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته فيكم لقطع مني هذا البلعوم) ولهم في ذلك مقالات لا نطيل بنقلها . ثم قال رضي الله عنه :

وبعضهم غاب عن الخليقَهْ وذابَ لما شاهَدَ الحقيقَهْ

إذ عَلَّ من راح الهوى رحيقَهْ راح به في طلعة الجمالِ

قوله : (**وبعضهم غاب عن الخليقه**) أي : أن بعض العارفين فني بالله وغاب عن الخلق .

قوله: (**وذاب لما شاهد الحقيقه**) أي : أنه لما شاهد حقيقة الحق وعظم جلاله وكبريائه تلاشى واضمحل ، فقد روي أن جبريل عليه السلام إذا نظر إلى جلال الحق يتصاغر حتى يصير كالعصفور مع ما ورد من عظم خلقته ، وقد مر أنه صلى الله عليه وسلم سأل الله أن يريه جبريل على خلقته فسد الأفق وغشي عليه لذلك ، وغيره من الأولياء يكون تصاغره وتلاشيه بجلال الله وكبريائه على قدر حاله ومعرفته به .

قوله: (**إذ عل من راح الهوى رحيقه**) أي: أن تلاشي هذا العارف لكونه علّ وشرب من راح الهوى الذي هو ميل النفس واستغراقها في شهود المحبوب إذ العل هو الشرب بعد الشرب ولا يروى ذلك الشارب من ذلك الرحيق ولو شرب بحار الدنيا ما روي .

قوله: (**راح به في طلعة الجمال**) أي: أن هذا الحال المعبر عنه بالشرب راح به ، أي: أوصله إلى طلعة الجمال الباهر الذي يسبي العقول وينشيء السكر والغيبة والمحو والفناء .

ثم قال رضي الله عنه :

وكلهم لم ينتهوا للعصْمَهْ ... بل حُفِظُوا بحفظهم للحُرْمَهْ

وأُكْرِمُوا بنسبةٍ وخِدْمَهْ ... فهم رجالُ الحقِّ في الرجالِ

قوله : (**وكلهم لم ينتهوا للعصمه**) أي: وكلهم ، أي: جميع طوائف الأولياء لم ينتهوا إلى العصمة عن الذنوب والمخالفات إذ العصمة لم تكن إلا للأنبياء وما حصل منهم من ما ظاهره ذنب ومعصية فإنما هو صورة لا حقيقة كما هو مقرر في محاله ، وأما الأولياء فليس لهم من ذلك وإنما لهم الحفظ ، كما قال رضي الله عنه : (**بل حفظوا بحفظهم للحرمه**) أي: باحترامهم عن أن ينتهكوا محارم الله تعالى وذلك في معنى العصمة .

قوله: (**وأكرموا بنسبة وخدمه**) أي: ومع ذلك الحفظ عن المخالفات أكرموا بنسبة إليه تعالى لورود ذلك في الآيات كقوله تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ (يونس/ ٦٢-٦٤) وكفاهم بذلك نسبة وفخرا ، ومن احترامهم وعناية الله بهم ماورد عنه صلى الله عليه وسلم: (إن الله لم يتخذ وليا جاهلا ولو اتخذه لعلمه) .

قوله: (**فهم رجال الحق في الرجال**) أي: أنهم منسوبون للحق تعالى فيقال : رجال الله وأهل الله ، فهذه رجولية خاصة لأولئك الأحباب . ثم قال رضي الله عنه :

ليس لهم وحيٌ ولا أحكامُ ... إلا علومُ الدين والإسلامُ

نَعَمْ لهم من لطفِهِ إلهامُ ... يَحِلُّ ما قد حل من أحوالِ

قوله : (**ليس لهم وحي ولا أحكام**) أي: أنه ليس للأولياء وحي كالأنبياء ولا اختراع أحكام ، أي: اختراع أحكام الشرع لأن ذلك لا يكون إلا لنبي فإنه أيضاً لا يتحكم بعقله بل بما أوحي إليه ، لقوله تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم/ ٣-٤) نعم ذكر أهل الأصول من أئمتنا الأصح جواز الاجتهاد للنبي صلى الله عليه وسلم ووقوعه واجتهاده لا يخطئ ، وقالوا أيضا : المختار أنه يجوز من قبل الله تعالى أن يقال لنبي أو عالم على لسان نبي : احكم بما تشاء وهو حق، انتهى.

قوله: (**إلا علوم الدين والإسلام**) أي: لأنهم مجتهدون في علوم الدين والإسلام بالفهم في القرآن وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يتفقون وقد يختلفون في ذلك ، ففي «الفوائد المدنية» ما معناه : أن بعض المجتهدين روى حديثا أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع وشرط وقال آخر : أنه صح عنه عليه الصلاة والسلام صحة بيع وشرط ، وقال آخر : أنه يصح البيع ويبطل الشرط ، وكل منهم استدل بدليل وقد مر ذلك .

قوله: (**نعم لهم من لطفه إلهام**) أي: أن الأولياء لهم من لطف الله الإلهام يهتدون به إلى ما يريده الحق منهم فيعملون عليه وتنشرح له صدورهم .

قوله: (**يحل ما قد حل من أحوال**) أي: أن هذا الإلهام يحل ما حل في صدورهم وقلوبهم من الإشكال الذي يختلف باختلاف الأحوال منهم ويكون على قدر مراتبهم حتى أنه ذكر الإمام الشعراني في «العهود» أن بعض الأولياء أبلغ من بعض في الكشف فيخبر بالشيء ويبعد وقوعه فهذا كشفه أقوى وأمكن ، وذلك مذكور في الكتب المعقودة لذلك .

ثم قال رضي الله عنه :

وربما طافتْ بهم لطائفْ ... من علم كشفِ الحقِّ والمعارفْ

وذوق معنى قائلٍ وواصِفْ ... والفهمِ في القرآن والإنزالِ

قوله : (**وربما طافت بهم لطائف**) إلى آخره ، قد فصل في هذا البيت ما أجمله قبله فاللطائف : جمع لطيفة ، قال المناوي : اللطيفة كل إشارة دقيقة المعنى تلوح للفهم لا تسعها العبارة كعلوم الأذواق انتهى ، والطوفان هو المرور المتكرر حسا أو معنى ، أي: أن هذه

اللطائف تطوف على خواطرهم فيحصل لهم بها الذوق والشوق إلى كشف علوم الحق والمعارف فيحصل لهم أيضاً بذلك (**ذوق معنى قائل وواصف والفهم في القرآن والإنزال**)، أي: القائل وإن لم يكشف له المعنى والواصف هو الذي تكشف له معناها وذوقها ، ويحصل له أيضاً الفهم في معاني القرآن التي لا تتناهى مفهوماته ولا تنحصر معلوماته ، والإنزال يحتمل أنه صفة للقرآن ، أي: ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحتمل أن المراد بالإنزال الإلهام المار ذكره . ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

وربما بنظرةٍ قُدْسِيَّهْ — ومِنْ سَنَى فَراسةٍ حِسِّيَّهْ

رأوا خفايا حالةٍ حِسِّيَّهْ — تَصِيرُ في القلبِ بلا استعمالِ

قوله : (**وربما بنظرة قدسيه**) النظرة القدسية منسوبة إلى القدس ، وهو ما يقع من جناب الحق .

قوله: (**ومن سنى فراسة حسيه**) السناء هو النور ، والفراسة ما يقع في قلب الإنسان من خطور الخواطر فيخبر بها ويقع بحسب ما أخبر ، قال صلى الله عليه وسلم : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) وقوله حسية هي ما يقع في الحس من الأمور الظاهرة .

قوله: (**رأوا خفايا حالة حسيه تصير في القلب بلا استعمال**) أي: أنهم تظهر لهم في الحالة الحسية خفايا أذواق لا تظهر لغيرهم تصير في قلب كل واحد منهم بلا استعمال حيلة ولا تقديم وسيلة بل بمحض الكرم الجاري من فيض فضل الله الجاري من حضرة الألطاف . ثم قال رضي الله عنه :

[في الكرامات التي تظهر على أيديهم]

وقد بدت من بعضهم خوارقْ — عوناً لكل مستجيبٍ صادِقْ

وحجةٌ على معادٍ مَارِقْ — تكونُ عند الهَمِّ بانفعالِ

قوله : (**وقد بدت من بعضهم خوارق**) أي: ظهرت من بعضهم خوارق عادات ، وتسمى من المستقيم السالك لطريق الهدى والصلاح كرامة ومن المؤمن معونة ولغير المستقيم والمتظاهر بالمعاصي مكرا واستدراجا ، وقد مر أنها للنبي معجزة .

قوله : (**عونا لكل مستجيب صادق**) أي: أنها تكون عونا للمستجيب لما دعاه الحق إليه صادق ، أي: في نيته وعمله فهي مما تقوي همة المريدين وعقيدتهم في مشايخهم وسائر الأولياء .

قوله: (**وحجة على معاد مارق**) أي: وقد يكون خارق العادة المسمى بالكرامة حجة على المعادي لأولياء الله المارق عن الدين لأنه لا يعادي أولياء الله إلا مكذب بآيات الله ، وقد ينتهي هذا التكذيب بصاحبه إلى الكفر والعياذ بالله .

قوله: (**تكون عند الهم بانفعال**) أي: أن الكرامة إذا توجهت همة الولي إلى فعل شيء خارق للعادة فضة أو ذهب ينفعل إذ همة الإنسان تقلب الأعيان ، وقد مر أن العين والسحر يؤثران ويكون لهما ما للكرامة ، غير أنهما يقعان على يد غير مستقيم . ثم قال رضي الله عنه :

بـــل كلـــما يجـــوز مـــن نبـــيِّ ... معجـــــزةٌ تجـــوزُ للـــــوليِّ

كرامـــــةٌ بِوَفْقِـــهِ المرعـــــيِّ ... كحجـــةٍ للرُّسْـــلِ في الإرســـالِ

قوله : (**بل كلما يجوز من نبي**) بل : كلمة يؤتى بها للإضراب أو لتأكيد اللفظ ، كلما: كلمة تكرير ، جاز للنبي من خوارق العادات وإن عظمت وجلت ، والمراد بالنبي : كل نبي فـ(أل) فيه للاستغراق .

قوله: (**معجزة تجوز للولي**) أي: من المعجزات التي هي خوارق العادات كإحياء الموتى ونطق الصبي الرضيع والجمادات والحيوانات كالبعير الذي كلمه صلى الله عليه وسلم والجذع والحجر وغير ذلك من الخوارق والإخبار بالمغيبات فيجوز ذلك للولي ولو إيجاد ولد من غير أب كما اعتمدوه.

قوله: (**كرامة بوفقه المرعي**) أي: يكون كرامة للولي بوفقه المرعي كما شرطوا أنه لابد أن يكون مستقيما إلا في حق الملامتي إذا صحت ولايته وإن خالف حاله الظاهر ولكن رأوا ولايته أرباب الباطن فما يجري منه من الخوارق فهو كرامة .

قوله: (**كحجة للرسل في الإرسال**) أي: كالحجج الداحضة للمرسلين فإنها حجة على المكذبين .

ثم قال رضي الله عنه :

وجلهـــم يكــره فعــل الخَــرْقِ   لأن فيــه هَتْــكَ سَــتْرِ الحَــقِّ

لأن بالأســبابِ جــريُ الخَلْــقِ   وحكمــةُ العــاداتِ نظــمُ الحــالِ

قوله : (**وجلهم**) أي: أكثرهم (**يكره فعل الخرق**) أي: إظهار الكرامة لأنها تخالف الأسباب الظاهرة كالري بالماء والشبع بالأكل وفي حق الولي قد يكون الري بلا ماء والشبع بلا أكل والمشي على الماء والطيران في الهواء فكل ذلك من الخوارق غير المعتادة ولكنهم يكرهون ظهور ذلك ويحرصون على إخفائه لكونه من سر القدر المأمور بكتمه كما قال : (**لأن فيه هتك ستر الحق**) وإن جرى منهم بلا اختيار كان ذلك معدودا عندهم من العار كالعورات التي تنكشف بغير اختيار وانما يظهر الكرامة لتقوية مريد أو إدحاض حجة معاند كما مر قوله: (**لأن بالأسباب جري الخلق**) لأن بالأسباب جرت العادة أنها مؤثرة لكن ليس بنفسها بل بوفق القضاء والقدر فتنفعل .

قوله: (**وحكمة العادات نظم الحال**) أي: جعل الله تعالى حكمة العادات والأسباب الظاهرة نظم ، أي: انتظام الأمر ، فإن المطر وتنزلها سببه السحاب وهو سبب السيل والسيل سبب النبات من البذر ولكل شيء سبب يعطي القدر ، وقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد نبع الماء من بين أصابعه أوتي بركوة أو بقدح فيه ماء كما مرت الإشارة إليه في بيت الهمزية في قوله:

وتغــدَّى بالصــاع ألــفٌ جيــاع   وتــروَّى بالصــاع ألــفٌ ظــماءُ

ثم قال رضي الله عنه :

كــذاك مــا لا تفهــم الإشــارَهْ   ولم تَسَــعْهُ رِبْقَــةُ العِبــارَهْ

فإنـــه جـــلَّ خُفَـــى أسرارَهْ   بشرعِــهِ صــوناً عــن ابتــذالِ

قوله : (**كذاك ما لا تفهم الإشاره**) كذاك ،أي: في علوم الكتاب والسنة والمعاني الخفية ما لا تفهمه الإشارة ، أي: الإيماء إليه بفعل أو قول فهو كالمبهم ولا يتبين إلا بالإيضاح من أرباب العلوم العرفانية .

قوله: (**ولم تسعه ربقة العبارة**) الربقة - بالموحدة المكسورة والقاف - العروة الضيقة شبه رضي الله عنه العبارة لضيقها بالربقة ، أي: العروة فلا يحتمل التعبير بها الأسرار الربانية ولا الحقائق العرفانية لأنه إذا أريد إيضاحها زاد الإشكال فيها .

قوله: (**فإنه جل خفى أسراره**) أي: فإن الله جل وعلا خفى أسراره من العلوم العرفانية و الأسرار والأذواق الإيمانية حتى لا تبتذل لأنها لا تدرك بالعقل إذ هي فوق طوره ولا يعرفها إلا أهلها ولا يحل إفشاؤها على غيرهم ، قال الناظم نفع الله به في ((كشف الحق من الحقائق)) : فإن فهمهم ، أي: غيرهم مقصور على ظاهر العبارة قاصر عنه إدراك دقائق المعاني ومواضع الإشارة ، ومن هنا تتفجر من الكتاب والسنة لأهل الأسرار العلوم والمعارف وتنكشف لهم بالنور الإلهي الحقائق واللطائف التي إذا سمعها غيرهم أنكرها وانتقدها على قائلها وزيفها وغيرها لأنه لم يذق حلاوتها لمرارة فهمه ولم يعرفها لقصور علمه وتقصير فهمه ، إلى آخر ما قال وبه أطال .

قوله: (**بشرعه صونا عن ابتذال**) أي: أنه سبحانه وتعالى أخفى معاني الشرع وخبأها عن القاصرين في العلم والأعمال صونا بخبايا أسرارها عن ابتذال القاصرين لأنهم ربما اطلعوا على أسرار فأفشوها وابتذلوها . ثم قال رضي الله عنه :

ومن بها باحَ استباحَ ذَمَّهْ ۞ وربما الشرُع أباحُ دَمَّهْ

وحسبها الله بها وعلمهْ ۞ وحسن ظن خير ما يوالي

قوله : (**ومن بها باح استباح ذمه**) أي : أن من باح بها ، أي: بأسرار الشريعة والحق استباح ذمه ، أي: تنقيصه لأنه تعدى بإفشاء ذلك ، وقد مر عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين إلى آخر ما مر ، وكذلك حكي عن الحلاج الصوفي أنه لما ظهرت منه حقائق قتل بحكم الشرع ، وغيره مما هو مذكور في محله ، (**وربما الشرع أباح دمه**) أي: قتله كما مر .

وقوله : (**وحسبها الله بها وعلمه**) أي: أن الله يعلم تلك الحقائق و الأسرار التي تفصل عليه بها وأولاه إياها فيكفيه علمه تعالى ، فإذا أفشاها كان مسيئا ومخالفا لما أمر به وقد مر قول القائل:

من أطلعوه على سر فباح به   لم يطلعوه على الأسرار ما عاشا

قوله : (**وحسن ظن خير ما يوالي**) أي : أن حسن الظن بأرباب هذه العلوم وتفويضها إلى علم الله ثم إليهم خير ما يوالي به العبد المؤمن أهل الله وخاصته .

ثم قال رضي الله عنه :

[في تأويل ما يرد عن الأولياء مما هو مخالف للشرع ظاهراً]

وكلما ننقلُ من مقالَهْ   في الشطح عمن يرتضي خِصَالَهْ

رُدَّتْ بحسن الظَّنِّ والإقالَهْ   وصينَ وجهُ الحق عن إشكالِ

قوله : (**وكلما ننقل مقالة في الشطح عمن يرتضي خصاله**) أن كل من قال مقاله من الشطح الذي لا يرتضيها ظاهر الشرع وقد يفسق الشرع قائلها وقد يكفره ولكنها إذا كانت ممن ثبتت عند أهل الحق والمعرفة والكمال من العلماء ولايته ومعرفته بالله فيأويلونها بتأويلات حسنة كما قال رضي الله عنه : (**ردت بحسن الظن والإقالة وصين وجه الحق عن إشكال**) أي: أنهم يردونها إلى حسن الظن فكأنها كانت كالعثرة فيقيلونها بالتأويلات التي تعذر قائلها ، قال الإمام الغزالي رضي الله عنه في كتاب العلم من ((الإحياء)) :

وأما الشطح فنعني به صنفين من الكلام أحدثه بعض المتصوفة ، أحدهما : الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله والوصال المغني عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي بعضهم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب ، فيقولون : قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ، ويستشهدون بقوله : أنا الحق ، وبما حكي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال : سبحاني سبحاني، وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوى ، فإن هذا الكلام يستلذه

الطبع إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال فلا يعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مرجوحة ، فمهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا أن يقولوا : إن هذا الإنكار مصدره العلم والجدال والعلم حجاب والجدال عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق ، فهذا ومثله عامر استطار في البلاد شرره وعظم ضرره في العوام حتى أن من نطق بشيء منه فقتله أفضل في دين الله من إحياء عشرة ، وأما أبو يزيد البسطامي فلا يصح عنه ما حكي عنه ، وإن سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام يردده في نفسه ، كما لو سمع وهو يقول : إني أنا الله لا اله إلا أنا فاعبدني ، فإنه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية .

الصنف الثاني من الشطح : كلمات غير مفهومة لها ظواهر زائغة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله ووسواس في خياله لقلة أحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر ، وإما ان تكون مفهومة ولكنه لا يقدر على تفهيمه وإيراده بعبارة تدل على ما في ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالألفاظ الرشيقة ، ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان أو يحمل على أن يفهم منها معاني غير ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد منهم على مقتضى هواه وطبعه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : (ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفهمونه إلا كان فتنة عليهم) وقال صلى الله عليه وسلم : (كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله) إلى آخر ما ذكره رضي الله عنه .

ثم قال رضي الله عنه :

الرشفة الخامسة عشر :

[في بيان طريقة الصوفية الكرام]

رَشْفَةٌ مِنْ مَبَانِيْ تَصَوُّفِهِمْ وَ نَسْمَةٌ مِنْ عَرْفِ تَعَرُّفِهِمْ

قوله : (**رشفة من مباني تصوفهم**) المراد بالمباني ما يعتمده الصوفية من أركان الرياضة والتخلي والتحلي ، وقد مرت الإشارة إلى ذلك .

قوله: (**ونسمة من عرف تعرفهم**) العرف الرائحة التي تدل على ما ينتشر من الروائح الطيبة وأعلاه المسك ، كنى بالرائحة عن الدلالة على تعرف اصطلاحاتهم في سلوكهم كما مر. قال رضي الله عنه :

وسـابقُ التخصيص والعنايـهْ خَصَّتْ ذوي الإخلاصِ بالرِّعايَـهْ

وأوجبَـتْ عَقْـدَ لِـوا الوِلايَـهْ لمـن حُظِـيْ بـأشرف الخصـالِ

قوله نفع الله به : (**وسابق التخصيص والعناية**) أي: ما سبق لأولئك الخواص من الاختصاص والعناية في الأزل ورعاية الله لهم عز وجل في كل حال ومقام أجل كما قال : (**خصت ذوي الإخلاص بالرعاية**) والرعاية : مأخوذة من الرعي وهو إرادة ما يختص الله به بعض عباده من الاهتداء والاجتباء والاصطفاء ومعنى العناية قريب من ذلك .

قوله: (**وأوجبت عقد لوا الولايه**) ثم إن هذه العناية والرعاية أوجبت لمن خصه الله بهما عقد لواء الولاية ، والمراد باللواء مظهر الولاية التي يكون بها كمال الدعوة ونشر الأخلاق المحمودة للخاص والعام .

وقوله : (**لمن حظي بأشرف الخصال**) أي: لمن حظي وولي وأوتي أشرف الخصال المحمودة من البر والتقوى والزهد والإخلاص والمروءة والفتوة وكذا سائر الأحوال والمقامات المحمودة فإنها تشرف المتصف بها وترفعه فيكون من أعطى ذلك إماما به يقتدى وعلما به يهتدى . ثم قال رضي الله عنه :

وكـلُّ مَـنْ هَـبَّ إلى الشريعـهْ واتخـذ الصـدقَ بهـا ذريعـهْ

لنيـــــلِ أيِّ رتبـــــة رفيعَـــــهْ نـــالَ بهـــا كـــلَّ مقـــام عـــالي

قوله : (**وكل من هب إلى الشريعه**) أي: أن كل من هب واستيقظ وتوجه إلى جانب الشريعة والعمل بها وذلك مع الصدق مع الله والإخلاص له كما قال : (**واتخذ الصدق بها ذريعه**) أي: جعل الصدق بها وسيلة إلى مقصوده وإخلاص العبادة لمعبوده .

قوله: (**لنيل أي رتبة رفيعه**) أي: أنه عمل بالشريعة وجعل الصدق بها ذريعة لأجل نيل الرتبة الرفيعة عند الله تعالى ، وهي المعرفة والمحبة له تعالى فتلك أعلى المراتب وأسنى العطايا والمواهب كما قال (**نال بها كل مقام عالي**) وهي ما ذكر من المحبة والمعرفة ونتائجها العلية ومواردها الهنية التي لا يزاحمها رياسات الدنيا وعزها وجاهها إذ هي كافية وما ذكره بها يتعلق بشأن الأولياء الأتقياء المخصوصين بالرتبة العليا لا يزال نفعه وشرفه يتزايد في دار الدنيا وللآخرة خير وأبقى . ثم قال رضي الله عنه :

فمـــن وَفَى جِـــدّاً وعَهْـــداً أوُفي ومـــن صـــفا قَلْبـــاً وحُبّـــاً صُـــوفي

وصـــارَ للحـــق صَـــفِيا صُـــوْفي وفقـــرُه يغنيـــه عـــن سُـــؤال

قوله : (**فمن وفى جدا وعهدا أوفي**) أي: أن من سبقت له العناية أيضاً فوفى بما أخذه الله عليه من الميثاق في عالم الذر من التوحيد ثم جد في الأعمال المرضية والأفعال السنية وفى له بأوفى مكيال وأعلى منوال فلا يزال على توالي الأحوال ملازما ما للجد على المنهج القويم وفاء بالعهد القديم .

قوله: (**ومن صفا قلبا وحبا صوفي**) أي: أن ذلك الوفاء والجد لا يكون إلا من صفاء القلب وشرح الصدر وامتلاء القلب بالحب لله تعالى وإرادة القرب منه فذلك هو الصوفي ، وللصوفي والتصوف والصوفية اعتبارات وشرائط ولوازم مذكورة في محالها من كتب الصوفية العارفين رضي الله عنهم أجمعين ، فمعنى قوله: صوفي أي: خص بمحبة الله من المصافاة وهي الموادة بين المتحابين واشتراح صدورهم بها .

وقوله (**وصار للحق صفيا صوفي**) أي: صار هذا السالك الصادق المجتهد للحق تعالى صفيا أي: ممن اصطفاه له صوفي من جملة الصوفية الذين سلكوا طريق الإرادة

واجتهدوا في نيل مراتب السعادة فهم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم ويكون نظرهم إليه إكسير وجلوسه معهم تعطير كما مر في كلام الغزالي رضي الله عنه .

وقوله : (**وفقره يغنيه عن سؤال**) أي: أن هذا الصوفي إذا تحقق بالفقر الذي هو شان المحققين منهم المعنيين بقوله صلى الله عليه وسلم (الفقراء الصبر جلساء الله) فهو غني به عن السؤال لغير الله والرجوع لما سوى الله ومن أراد شرح فضل الفقر والفقراء ، فلينظره من كتاب ((إحياء علوم الدين)) .

ثم قال رضي الله عنه :

فـــــإنما طريقـــــةُ الصـــــوفيهْ　　　لـــــزومُ كـــــلِّ همـــــة وفيَّـــــهْ

وصِـــفَةٌ مـــن الهـــدى صَـــفِيَّهْ　　　إلى علـــومِ القصـــدِ والكـــمالِ

قوله : (**فإنما طريقة الصوفية**) إلى آخر البيت حاصله مع الاختصار والإيجاز ، فمن أعظم أخلاقهم رضي الله عنهم التواضع وهو رعاية الاعتدال بين الكبر والضعة إذ الكبر رفع الإنسان نفسه فوق قدره والضعة وضع الإنسان نفسه مكانا يزرى به ويقضي إلى تضييع حقه وحفظ الحق محمود وهو العزة قال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ ﴾ (المنافقون/ ٨) الآية ، فالتواضع محمود والكبر مذموم والضعة مذمومة ومن أخلاق الصوفية المداراة واحتمال الأذى من الخلق والمداراة غير المداهنة ومنها الإيثار والمواساة ومنها التجاوز والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة ومنها البشر وطلاقة الوجه والسهولة ولين الجانب والنزول مع الناس إلى أخلاقهم وطباعهم وترك التعسف والتكلف ومنها الإنفاق من غير إقتار وترك الادخار والقناعة باليسير من الدنيا .

ومنها ترك المراء والمجادلة والغضب إلا بحق واعتماد الرفق والحلم ومنها التودد والتألف والموافقة مع الإخوان وترك المخالفة ، ومنها شكر المحسن على الإحسان وبذل الجاه للإخوان والمسلمين كافة ، وقد عز في مثل هذه الأزمان حقيقة الفقر وطريقه والفقراء وإذا كان الشيخ شعيب أبو مدين المغربي رضي الله عنه في زمانه يشير إلى هذه العزة فكيف في زماننا .

قال رضي الله عنه :

واعلم بأن طريق القوم دارسة ... وحال من يدعيها اليوم كيف ترى

وكذلك لم ير نفسه أهلا لمواجيدهم وصفاتهم ، فقال نفع الله به :

من لي وأنى لمثلي أن يزاحمهم ... على موارد لم آلف بها كدرا

ثم قال رضي الله عنه :

فكلُّها بسُنَّةٍ سَنِيَّةْ ... على اتباع المصطفى مَبْنِيَّةْ

والأخذُ في كل اقتدا ونِيَّةْ ... بالعزمِ والإخلاصِ في الأعمالِ

قوله : (**فكلها بسنة سنية فكلها**) أي: كل طريق الصوفية ورسومهم سنة سنية ، أي: على السنة المحمدية السنية الحسنة المنيرة التي فاقت جميع السنن والشرائع .

قوله: (**على اتباع المصطفى مبنيه**) أي: فهؤلاء القوم متبعون لسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام مع الإخلاص والصدق .

قوله: (**والأخذ في كل اقتداء ونيه**) أي: والأخذ منهم في الاتباع في الأفعال والنيات في اقتدائهم به فيما ندبهم إليه قاصدين بذلك رضى الله تعالى ومحبته قال تعالى آمرا له ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران/ ٣١) .

قوله: (**بالعزم والإخلاص في الأعمال**) أي: أن توجهاتهم وإقبالهم في العبادات آخذين في ذلك بالعزم القوي والهمة إذ هما اسم الله الأعظم تنفعل معهما الأمور وتتيسر المشاق وتنفك الأغلاق ، وقد مر أن المعجزة والكرامة والسحر والعين من همة ابن آدم ، ومن شأنهم الإخلاص وهو إفراد الحق تعالى بالأعمال دون إرادتهم حظا من الحظوظ الدنياوية النفسانية فبذلك وصلوا إلى المراد وخصوا بالمزايا من بين العباد .

ثم قال رضي الله عنه :

فهو كمالُ الصدق بالتصديقِ ... والجدُّ في الحقِّ على التحقيقِ

في الجمعِ والفرقِ بلا تفريقِ ... للهمِّ بل جمعُ الهوى والبالِ

قوله : (**فهو كمال الصدق بالتصديق**) أي: فهو ، أي: الأخذ في الاقتداء والاهتداء كمال الصدق ، أي: الصدق مع الله الذي هو أعلى مراتب الدين بالتصديق الذي هو سببه والموصل إليه فالعمل بالصدق مع الله الذي معناه الإخلاص والنية والتصديق بما جاء عن الله بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أصل الإيمان واليقين إذ كل ما جاء به حق فإنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

قوله: (**والجد في الحق على التحقيق والجد**) أي: العزم والقوة على فعل ما هو حق من مأمورات الشرع ويكون على تحقيق وعلم بما يقول ويفعل من الواجبات والمندوبات صفة وكيفية وهيئة .

قوله: (**في الجمع والفرق بلا تفريق للهم بل جمع الهوى والبال**) أي: يكون الفرق على تحقيق ومعرفة بلا تفريق ، أي: بلا تفريق لأحد الحالين والفرق والجمع حالان من أحوال الصوفية .

قال المناوي في ((تعريفاته)) : الجمع عند أهل الحقيقة إشارة إلى حق بلا خلق ، وقيل : مشاهدة العبودية ، وقيل : الفرق ما نسب إليك والجمع ما سلب عنك ، ومعناه : أن ما يكون كسبا للعبد من إقامة وظائف العبودية وما يليق بأحوال البشرية فهو فرق وما يكون من قبل الحق من إبداء معان وابتداء وظائف وإحسان فهو جمع ولابد للعبد منهما ومن لا تفرقة له لا عبودية له ومن لا جمع له لا معرفة له فقول العبد ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ (الفاتحة/ ٥) إثبات للتفرقة بإثبات العبوديه ، وقوله ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ (الفاتحة/ ٥) طلب الجمع ، والتفرقة بداية الإرادة والجمع نهايتها وجمع الجمع مقام أتم وأعلى من الجمع فالجمع شهود الأشياء بالله والتبري من الحول .

وجمع الجمع : استهلاك بالكليه والفناء عما سوى الله وهو المرتبة الأحدية .

والفرق الأول عند أهل الحق : الاحتجاب بالخلق عن الحق وبقاء رسوم الحقيقة بحالها .

والفرق الثاني : شهود قيام الخلق بالحق ورؤية الوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة من غير احتجاب بأحدهما عن الآخر .

وفرق الوصف : ظهور الصفات الأحدية بأوصافها في الحضرة الواحدية .

وفرق الجمع : تكثر الواحد بظهوره في المراتب التي هي شؤون الذات الأحدية وتلك الشؤون في الحقيقة اعتبارات محضة لا تحقق لها إلا عند نزول الواحد بصورها .

وقوله (**للهم بل جمع الهوى والبال**) أي : بلا تفريق للهم بل جمع الهوى ، أي : فيما يستحسن ويرتضي وجمع البال ، أي: القلب والخواطر وقد مر معنى ذلك من كلام المناوي .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

وبـاختلافِ الـذَّوقِ والمواهـبْ بحسَـبِ الأحـوال والمراتِـبْ

تحسـبها بـين الـورى مـذاهبْ مـع اتحـادِ القصـدِ والمنـالِ

قوله : (**وباختلاف الذوق والمواهب**) أي: أن أرباب الجمع والفرق مختلفة مذاهبهم وأذواقهم ومطالبهم ومواهبهم .

قوله: (**بحسب الأحوال والمراتب**) وذلك أن ما ذكر من اختلاف الأذواق والمواهب بسبب أحوالهم ومراتبهم ، قال تعالى ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ ﴾ (الأنعام/ ١٣٢) فقد تكون المواهب بحسب المكاسب وقد لا يكون لها سبب ولا تقديم طلب بل تفاجيء من أراد الله له الوصول إليها والوقوف عليها ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (يونس/ ٥٨) .

قوله: (**تحسبها بين الورى مذاهب**) أي: بحسب تلك التوجهات والتفرقات والمواصلات مذاهب متفرقة وإنما هي متحدة المقاصد والمآرب والمشارب كما قال : (**مع اتحاد القصد والمنال**) أي: الذي ينيلهم الله به من الجزاء والثواب على ذلك القصد المتحد ، كما قيل : الجزاء من جنس العمل . ثم قال رضي الله عنه :

فإنهـا تحقيـقُ حَـقِّ العلـمِ والجـدُّ في الخُلْـق بـأولى عَـزْمِ

ولا خــلافَ لاخـتلافِ الرَّسْـمِ ... في وصـف حـالٍ واخـتلافِ قـالِ

قوله : (**فإنها تحقيق حق العلم**) فإنها طريقة الصوفية في المقاصد والمشاهد تحقيق حق العلم في الخارج واللاحق للعلم السابق ، فإن الخواتيم على حسب السوابق في العلم الأزلي القديم .

قوله: (**والجد في الخُلق بأولى عزم**) أي: والجد الذي هو نتيجة السابقة يكون في الخلق - بضم الخاء - أي: تحسين الأخلاق وتزيينها بأولى عزم من التوجه على مولاه بلا فتور ولا عثور بل قياما بالحق وله وفيه وبه ومنه ومعه على أوفى وجه من الإحسان والإقبال وأعلاه في العلوم والأعمال .

قوله : (**ولا خلاف لاختلاف الرسم**) أي: ولا خلاف بينهم وبين حقائق طرائقهم وإن اختلفت رسومهم وحكت الرسوم علومهم فإن الحقائق هي الأصل وبها الاتصاف بالفضل وقد مر ذكر شيء من ذلك .

قوله : (**في وصف حال واختلاف قال**) أي: وإن اختلف وصف الأحوال وتباين الأقوال وكانت شتى فالحقيقة واحدة والمقصود واحد . ثم قال رضي الله عنه :

فكلُّهـم فَـرُّوا مـن التَّقْييـدِ ... ومـن بقـا في رِبقَـة التقْلْيـدِ

فطلبـوا التحقيـقَ بالمزيـدِ ... مـن الهـدى في صـالح الأعـمالِ

قوله : (**فكلهم فروا من التقييد فكلهم**) أي: كل القوم الصوفية والعلماء العاملين فروا ، أي: هربوا من التقييد بالرسوم وجردوا نفوسهم لإخلاص العبودية للحي القيوم فهم منطلقون في فيافي الطلب رجاء لبلوغ الأرب .

قوله: (**ومن بقا في ربقة التقليد**) أي: وفروا أيضا من البقاء في ربقة التقليد والربقة في الأصل عروة في حبل يجعل في عنق البهيمة أو يدها ليمسكها فاستعارتها للإسلام يعني ما يشد المسلم به نفسه من عرى الإسلام ، أي : حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه ، أي: أنهم خرجوا وفروا عن ربقة التقليد للنفس والهوى والشيطان أو أنهم صاروا مجتهدين في أحكام الكتاب والسنة عاملين بها على وفق ما ظهر لهم من معانيها غير مقلدين للغير في

ذلك لأن الاجتهاد سائغ في كل وقت والمتأهلون له لا يعدمون بالكلية لأن الأمة المحمدية الخير موجود في أولها وآخرها فطلبوا التحقيق بالمزيد ، أي: أن هؤلاء الموصوفين بهذه الأحوال لم يزالوا يطلبون التحقيق في المزيد ، أي: مع المزيد فيما ذكره بقوله : (**من الهدى في صالح الأعمال**) والهدى موافقة الحق في صالح الأعمال التي تراد وتطلب للآخرة وثوابها.

ثم قال رضي الله عنه :

وما ارتضوا في عُقْدَةِ الإسلامِ أحكامَ أهلِ البحثِ والكلامِ

بل قَلَّدُوا الحقَّ بلا إيهامِ في كلِّ ما صَحَّ من الإنزالِ

قوله : (**وما ارتضوا في عقدة الإسلام**) أي: أنهم مجتهدون في عقائد الإسلام الإيمانية أخذا لها من القرآن والسنة ولم يرضوا بالتقليد في ذلك لغيرهم بما قال نفع الله به (**أحكام أهل البحث والكلام بل قلدوا الحق بلا إيهام في كل ماصح من الإنزال**) وقد قرر معنى هذا البيت وحققه في كتابه ((خلاصة العقيدة)) فقال ما معناه وينطق على ما في قلبه ، قال نفع الله به :

السابعة : كل من عبر بعبارة أو أفاد بإشارة فهي على قدر مقامه ومبلغ كلامه ، فأما عوام الإسلام فتلقوا الواردات من الأنوار بالإثبات والأقدار ونزهوه عما عرفوه من الحادثات والأغيار ، وأما أهل الكلام فقبلوا تلك الأنوار واستقبلوها بالأفكار وقيدوها بالنظر في الأقدار فوقعوا في الآثار والاعتبار بالأقدار ، فمنهم من وقف ومنهم من دار وحار ومنهم من سار إلى مسالك الاستبصار .

وأما خواص أهل الإيمان والإلهام فقبلوا تلك الأنوار كما جاءت به الأسرار وقلدوا الحق فيها على ما أراد في التنزيه والإقرار فوافقوا الحق بالتقليد وعرفوه كما عَرَّفهم بلا تقييد ولا تحديد واعترفوا بالعجز والافتقار مع التقصير والانكسار فقابل إقبالهم بالقبول وتجلى لهم من معرفته ما شرح الصدور وبهر العقول فلم يزالوا سارين في منازل العرفان ومناهل الإيقان يتلون كل حين قوله تعالى : ﴿ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الرحمن/٢٩)، وأما من فوق

ذلك من الأعلام والأنبياء والملائكة الكرام فأولئك عند ربهم في أقوم مقام لا يعبر عنه كلام ولا يفيد فيه رقم الأقلام والله أعلم، انتهى . ثم قال رضي الله عنه :

فَــرُّوا مــن التعطيــلِ والتشـبيهِ وقَـــرَّرُوا الإثبــاتَ بالتنـــزيهِ

وذو اشـــتباهٍ لم يخوضـــوا فيـــهِ بـــل فَوَّضُــوا فيــهِ لــذي الجــلالِ

قوله : (**فروا من التعطيل والتشبيه**) أي: أن الموحدين له تعالى فروا من التعطيل والتشبيه وقالوا : أنه سبحانه وتعالى واحد في ذاته وصفاته وفعاله وأن ذاته تعالى ليست مشبهة بالذوات ولا معطلة من الصفات ، فالموحدون فروا عن التعطيل ، أي: نفي الصفات القائل به فرقة من أهل الضلال ، وفروا عن التشبيه القائل به فرقة أخرى ، والحق أنه سبحانه وتعالى يستحيل في حقه تعالى وجود مثل له أو نظير في الذات أو في الصفات أو في الأفعال ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى/ ١١) .

قوله : (**وقرروا الإثبات بالتنزيه**) أي: أن علماء الكلام قرروا إثبات الصفات ولم يذهبوا إلى التعطيل كبعض المبتدعة ، وقالوا : إنه سميع بلا سمع وبصير بلا بصر ..إلى آخرها ، وأهل السنة أثبتوا له الصفات بالتنزيه وهو التقديس له تعالى عن أن يكون صفاته تشابه صفات المخلوقين بل هو سميع بسمع من غير أصمخة وآذان وبصير ببصر من غير حدقة وأجفان ..إلى آخرها .

قوله: (**وذو اشتباه لم يخوضوا فيه**) أي: المشتبه من الصفات مما ورد في كتاب والسنة لم يخوضوا فيه بل وكلوا علمه وبيانه إليه تعالى كما قال : (**بل فوضوا فيه لذي الجلال**) هذا مذهب السلف ، وأما الخلف فأولوا ما ورد من اليد بالقدرة والنزول في قوله صلى الله عليه وسلم : (ينزل ربنا في كل ليلة إلى سماء الدنيا وينادي هل من مستغفر فأغفر له) الحديث ، وكذا سائر ما ورد من هذا القبيل . كما قال رضي الله عنه :

فطـــابقوا للحـــقِّ في اعتقـــادِهْ وصـــدَّقُوا المنقـــولَ بـــاعتمادِهِ

وفَوَّضُـــوا المعنـــى إلى مـــرادِهِ في واضـــحِ الحـــالِ وفي الإشـــكال

قوله : (**فطابقوا للحق في اعتقاده**) فطابقوا ، أي: وافقوا للحق في اعتقاده في كل حق من العقائد الدينية الإيمانية .

قوله: (**وصدقوا المنقول باعتماده**) أنهم صدقوا المنقول باعتماده فيما هو ظاهر المعنى وأجروه على حسب ما ورد وما أشكل عليهم مما هو غير ظاهر المعنى فوضوه إليه تعالى كما قال (**وفوضوا المعنى إلى مراده في واضح الحال وفي الإشكال**) وقوله : (في واضح الحال) أي: بما هو وارد في الصفات للذات العلية من واضح الحال فوضوه أيضاً إليه تعالى لأن صفاته تعالى لم يحصرها تعديد ولا يضبطها تحديد ، فاللائق تفويض علمها إليه تعالى .

وأما قوله: (**وفي الإشكال**) فقد مر بيان ذلك ، وقد حقق ذلك الناظم نفع الله به في كتابه ((خلاصة العقيدة)) فقال : المقدمة السادسة : معرفة كل عبد لربه بقدر طاقته وقابلية قلبه على قدر إيمانه وقربه ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾(الأحقاف/ ١٩)﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ (المجادلة/ ١١) والله سبحانه فوق معرفة العارفين وأعلى من وصف الواصفين ولا يحيطون به علما ، بل لو ظهرت سبحات وجهه لأحرقت ما انتهى إليه بصره ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ (الأعراف/ ١٤٣) فهناك تنقطع العبارة وتكل الإشارة والعارف الخبير يعترف بحده ويغترف من بحره على قدر مده والعالم البصير يتكلم على قدر قسمه وسهمه ولا يكذب من لم يحط به علما ولم يدرك كنهه بفهمه وأن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا العارفون وإنما يذكرونه لأهله بالرمز والإشارة ومن رام إظهار الحق فيه والتحقيق بالعبارة وقع في الشطح والتحريف والتمزيق والنكارة ومن هنا يقع الاعتراض عليهم من علماء الشريعة المثبتة للسبب والأسباب والوقوع في عرضه بحسب ما خلع من ذلك التفات فإن صدق كل في كلامه على قدر مقامه فيما له وعليه فهو معذور وإلا فمغرور .

واعلم أنه قد يقع للمنكر الوقوع في عين ما أنكر فالتجلي الذي أنكره المتكلمون على الصوفية عين معناه مفهوم من كلامهم في المسألة الكلامية ، وترى أهل التنزيه إذا حاولوا الإثبات في الصفات الظاهرة عجزوا عن ذلك إلا بالعبارة القاصرة فيقولون : أزلي وأبدي ،

والأبد والأزل زمنان ، ويقولون : كان قبل الخلق وبعد الخلق والقبل والبعد طرفان ، فالقدرة لله الباري والعجز عن ماسواه ساري لا يكلف العبد إلا بقدر قدره الاعتباري ، ومن رزق المعرفة والاعتراف واتصف بالإنصاف بريئ من التعسف والاعتساف وتحقق بالتحقيق فجمع وفرق وعرف الحق من الباطل في كلام كل فريق ، انتهى.

ثم قال رضي الله عنه :

الرشفة السادسة عشر :

[في بيان أصول الطريقة]

رَشْفَةٌ مِنْ مَنْهَلْ أُصُوْلِهِمْ وَ نَسْمَةٌ مِنْ مَبْذَلِ وُصُوْلِهِمْ

مر معنى الرشفة ، والمنهل المحل المعد للشرب مع الكثرة ، ومعنى الأصول هي ما يعتمدونه من قواعد سلوكهم في طريق الصوفية ، ومر معنى النسمة ، وقوله (**مبذل**) لعله بالذال المعجمة أي: طيب وصولهم لأن المبذل نوع من الطيب و(**وصولهم**) قربهم من ربهم. قال رضي الله عنه :

وأجمعوا أَنْ ليس من وصُولِ إلا بحفظِ الشَّرْعِ والأُصُولِ

وكنْسِ سِرِّ السِّرِّ عن فُضُولِ ليستعِدَّ القلبُ للإفضالِ

قوله : (**وأجمعوا أن ليس من وصول**) أي: أجمع السادة العارفون أن ليس للسالك المريد وصول إلى مشاربهم الهنية وأذواقهم الإلهية التي ترد من العوالم العلوية أنها لا تحصل ولا يصلون إليها (**إلا بحفظ الشرع والأصول**) أي: الأحكام والمأمورات الشرعية والأصول الإيمانية ، فالحفظ لها والعمل بمقتضاها هو الذي يوصل إلى عرفان الحق وحضرات القرب لأن المعاملة له تعالى إذا كانت مع الإخلاص والصدق أثمرت الأحوال والمقامات المعروفة عند الأئمة الصوفية ، المذكورة في كتبهم تفصيلا وإجمالا .

قوله: (**وكنس سر السر عن فضول**) الكنس : إزالة الأوضار كناية عن إزالة أوضار السر والقلب المكدرة له فإذا زالت صفا وتأهل للتنزلات الإلهية .

قوله: (**ليستعد القلب للإفضال**) أي: أنه إذا صقل عن ما يكدره استعد لقبول الإفضال أي: للتخلق بالفضائل وهي الصفات المحمودة، وقد بلغوها إلى نحو السبعين ، وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم :

(إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) الحديث ، وقد قالوا : القلب موضع نظر الرب ، كما قال عليه الصلاة والسلام : (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) .

ثم قال رضي الله عنه :

والشرطُ تطهيرُ صفاتِ النَّفْسِ ... من كلِّ طَبْعٍ ناقصٍ ورِجْسِ

لينجلي في كل وصفٍ قُدْسِي ... ويَعْتلي في طلعةِ الكمال

قوله : (**والشرط تطهير صفات النفس**) أي: أن من الواجب المتعين على كل إنسان مسلم مكلف أن يسعى في تطهير صفات نفسه عن الرذائل والخبائث كالحسد والبخل والرياء والعجب والكبر وجميع الصفات المذمومة التي تقدح في كمال الإيمان وتؤذن بنقص الدين وتخالف مقام الاحسان والعمل به ، فإن النفس أصلها أمارة بالسوء والرياضة لها من الواجبات الشرعية العينية حتى تصير لوامة ، أي: تكون إذا وقعت في ذنب وخطيئة أو مخالفة ونقص تلوم نفسها وتعود إلى الاستقامة حتى تبلغ الغاية وتكون راضية مرضية .

قوله: (**من كل طبع ناقص ورجس**) أي: يجب تطهير النفس عن كل ما جبلت عليه من النقائص والرجس وهو الشيء القذر .

قوله: (**لينجلي في كل وصف قدسي**) أي: ليطهر بالأوصاف الحسنة الموصوفة بالقدسية وتصقل عن الران الذي يورث الطبع على القلب والقساوة فلا يجدي فيه موعظة ولا يؤثر فيه تعليم ولا تفهيم فتحقق بالأوصاف القدسية المنزهة عن النقص كالنية والصدق والإخلاص والرحمة لكل مسلم والقيام بالحقوق للأقارب من الأرحام والإعانة لجميع المسلمين خصوصا وعموما كالجيران والأصحاب وأصدقاء الوالدين .

قوله: (**ويعتلي في طلعة الكمال**) أي: الغاية من الأخلاق المحمودة الظاهرة والباطنة.

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

وأنَّهُ لا بابَ للسعادَهْ ... إلا اتباعُ العلمِ والعبادَهْ

مَعَ العبوديَّةِ والزَّهادَهْ ... والجِدُّ في الأعمالِ والأحوالِ

قوله : (**وأنه لا باب للسعاده إلا اتباع العلم والعبادة**) أي: أنه لا بـاب للسعاده في الدنيا والآخرة إلا اتباع العلم الـذي هـو أصـل الأصـول سـواء تعلـق بالعقائـد أو بـالأعمال والعبادة ، أي: العمل بالعلم بشرطه الـذي ذكـروه في كـل عبـادة يتقـرب بهـا العبـد إلى ربـه ويرجو بها ثوابه في الدار الآخرة ، وقد ورد (إن الله كتب الإحسان على كل شيء) والعبادة أحق بذلك لأن فيها تحصيل ما مر من صلاح القلب وحفظ الجوارح ، وأكملهـا مراعـاة مـا في الحديث القدسي[1] : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) .

قوله: (**مع العبودية**) من العبد بأن يشهد كونه لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعـا فيعبـد الله على أنه عبد مسخر ليس له من الأمر شيء ، وعند الصـوفية : مقـام فـوق العبوديـة وهـو مقام الفناء بأن لا يشهد نفسه ولا عمله (**والزهادة**) كانت مع شهود العبودية يعني بالزهـد في الدنيا ، إذ العبادة مع الرغبة في الدنيا لا تكون كاملة .

قوله: (**في الأعمال والأحوال**) أي: الاجتهاد في الأعمال الصالحة وبالشروط التي مر بعضها ومع الأحوال التي تزكو بها العبادة كالتطهير للنفس المار ذكره ، قال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ (الشمس/ ٩-١٠)

ثم قال رضي الله عنه :

كـأنْ يـدومَ الـذِّكرُ بالحضـورِ	**بغفلـةٍ عـن مـا سـوى المـذكورِ**
بحيـثُ يَفْنـى العبـدُ عـن شُـعُورِ	**بنفسـه أو ذكـرِهِ أو حَـالِ**

قوله : (**كأن يدوم الذكر بالحضور**) أي: أن الاجتهاد في العبادة وإشغال الوقت فيها ودوام الذكر مستغرقا في ذلك الأوقات والنفائس لا يمل مـن ذلـك ولا يغـتر مـع الحضـور وإرادة وجه الله والدار الآخرة هو باب السعادة ، وقد ورد في فضائل الذكر بالكتاب والسنة ما لا يحصر ، جمع بعض علماء زبيد وهو الشيخ العرني في كتابه المسمى ((بهجة الأنـوار)) مـن

---

(١) لا يخفى على القارئ الكريم أن هذا ليس بحديث قدسي وإنما هو حيث نبوي مشهور يفسر معنى الإحسان وهو جزء من حديث جبريل عليه السلام .

ذلك جملة صالحة ، وذكر عن الإمام الغزالي في تأثير تنوير القلب وصلاحه وكذلك عن غيره ما لا يسع المريد جهله ، وشرط الذكر : الحضور من الذاكر للمذكور ، فإن الذكر مع الغفلة لا يحصل به كثير جدوى إلا أنه لا يخلو عن فائدة كما قال بعضهم : الحمد لله الذي زين جارحة من جوارحي بذكره .

قوله: (**بغفلة عن ما سوى المذكور**) أي: أن الحضور مع الله لا يحصل إلا مع الغفلة والإعراض عن غيره تعالى .

قوله: (**بحيث يفنى العبد عن شعور**) أي: أن الحضور في الذكر يكون كماله بحيث أن الذاكر يفنى عن شعوره بنفسه وبما سواه من الأغيار .

قوله: (**بنفسه أو ذكره أو حال**) أي: أن هذا الذاكر الصادق في ذكره غائب عن نفسه وفان عن ذكره وحاله. ثم قال رضي الله عنه :

وقَلَّ نَيْلُ هذه المَعَاني إلا إذا مُدَّتْ قُوَى المُعاني

بنورِ سِرٍّ جاذبٍ رَبَّاني يَرْقَى به العبدُ لكل عالي

قوله : (**وقل نيل هذه المعاني**) أي: أنه قل نيل السالك المريد والذاكر المخلص للمعاني المار ذكرها من الأحوال والمقامات إلا إذا كان على ما ذكره بقوله (**إلا إذا مدت قوى المعاني**) أي: أمد الله قوى المُعاني - بضم الميم - أي: المباشر والملازم لها بالشروط المارة.

قوله: (**بنور سر جاذب رباني**) بنور سر ، أي: هداية ورشد وشرح صدر لموافقة الحق مراداته من عبده . قال تعالى ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ (الزمر/ ٢٢) والحديث المار : (إذا دخل النور في القلب انشرح له وانفسح) إلى آخره ، والجذب الرباني مر أنه قد يتقدمه السلوك وقد يتأخر عنه ، فيقال: سالك مجذوب ، ومجذوب سالك ، فالكل كائن بعناية الله المولى الكريم المتطول على عبده الذميم فله الفضل والمنة.

قوله: (**يرقى به العبد لكل عالي**) أي: أن هذه الجذبة بالنور والسر الرباني يرقى بها العبد المجذوب إلى المقامات العلية والأحوال السنية وذلك بالأعمال الصالحة والاجتهاد والملازمة لها مع الإخلاص فيها فهي وسيلة إلى نيل الدرجات عند الله تعالى والقرب منه والفوز برضوانه في دار المقامة. ثم قال رضي الله عنه:

ونيلُهُ من صحبةِ الأخيارِ أو في لُزومِ الذِّكْرِ باستهتارِ

وبارتقابِ الحقِّ بالإسرارِ في سائرِ الحالاتِ والأفعالِ

قوله : (**ونيله من صحبة الأخيار**) أي: أن نيل هذا الرقي المار ذكره يكون من صحبة الأخيار من العلماء العاملين والأولياء العارفين ، قال سيدنا الشيخ الحبيب عبدالله الحداد نفع الله به في ((نصائحه)) : وأصل الصحبة صدق المحبة وصفاء المودة ومهما كان ذلك في الله ولله فثوابه عظيم ، قال عليه الصلاة والسلام : (قال الله تعالى : وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ المتزاورين فيّ والمتباذلين فيّ) وقال عليه الصلاة والسلام : (يقول الله تعالى أين المتحابون بجلالي ؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي) وبالجملة فصحبة المتقين والصالحين قربة إلى الله تعالى وهي الصحبة المحمودة المشكورة ، وفي فضلها وردت الأخبار والآثار الكثيرة وهي المحبة لله وفي الله التي عظم فضلها وثوابها وارتفع قدرها ومحلها من الدين ، انتهى مع حذف بعض العبارة .

[في الحث على ملازمة الذكر مع التحلي بآدابه]

قوله: (**أو في لزوم الذكر باستهتار**) أي: ويحصل القرب والترقي والمحبة لله والأنس به بدوام الذكر وملازمته في سائر الأوقات والأنفاس واللحظات إذ الذاكر الصادق لا ينفك عن الذكر ولا يغيب عن المذكور وإن كان حاضرا بجسمه مع غيره أو يباشر شيئا من الأعمال العباديات والعاديات .

وقوله : (**باستهتار**) أي: باستغراقه ، أي: الذاكر بالمذكور مع الوله والغيبة ، قال الشيخ عبد الله بن علوي الحداد باعلوي نفع الله به:

وإن شئت أن تحظى بقلب منور نقي عن الأغيار فاعكف على الذكر

وثـابر عليـه في الظـلام وفي الضـيا | وفي كـل حـال باللسـان وبـالسر
فإنـك إن لازمتـه بتوجـه | بدا لك نور ليس كالشمس والبدر
ولكنـه نـور مـن الله وارد | أتـى ذكـره في سـورة النـور فاسـتقر

وقال نفع الله به في ((النصائح)) : وقد ورد في فضائل الذكر وخصوصياته ونفعه عاجلا وآجلا من الآيات والأخبار والآثار ما لا يحصى ، قال الله تعالى ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ (البقرة/ ١٥٢) ، وقال تعالى ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ (الأحزاب/ ٣٥) ، وقال تعالى ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (العنكبوت/ ٤٥) أي : أن ذكر الله أكبر من ذكركم إياه ، وقال صلى الله عليه وسلم : (من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين).

وقال عليه السلام : (قال الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) .

وقال عليه الصلاة والسلام : (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ، قالوا : بلى يارسول الله ، قال : ذكر الله تعالى) وقال عليه السلام : (ما عمل ابن آدم عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله) .

وقال عليه الصلاة والسلام : (لذكر الله بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سُحاً) وقال عليه السلام : (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يذكرون الله يريدون بذلك وجه الله تعالى إلا غفر الله لهم وبدل سيئاتهم حسنات) .

وقال عليه الصلاة والسلام : (ما قعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده) وقال عليه والسلام : (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قيل : وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر) وفي رواية : مجالس الذكر ، ثم ساق الحديث إلى أن قال في آخره (فيقول الله تعالى للملائكة : أشهدكم أني قد

غفرت لهم) أي: للذاكرين وأعطيتهم ما يسألون وأعذتهم مما يستعيذون ، فتقول الملائكة : فيهم فلان خطّاء إنما مرّ بهم فجلس معهم، فيقول الله تعالى : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) الحديث ، وهو مشهور .

وفي ملازمة الذكر والمداومة عليه طرد للشيطان وقطع لوسوسته ، كما ورد أن الشيطان جاثم على قلب العبد فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس له ، فتنبغي وتتأكد المواظبة والملازمة لذكر الله على دوام الأوقات في عموم الأحوال ، وقال عليه الصلاة والسلام للرجل الذي قال : يارسول الله كثرت علي شرائع الإسلام فمرني بشيء أتشبث به ، فقال : لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله .

وقد عد العلماء رحمهم الله تعالى من فضائل الذكر وأرجحيته على غيره من الأعمال الصالحة لأنه يمكن المداومة عليه في جميع الأوقات والأحوال لأنه غير مؤقت بوقت بل هو مأمور به على الدوام ويتعاطاه المحدث والجنب والمشغول والفارغ ، ولا هكذا غيره من الصلاة والتلاوة فإن لها شرائط تتوقف عليها وأوقاتا لا تصح إلا فيها ، وقد اختار جماعة من أهل طريقة التصوف الجهر بالذكر والاجتماع لذلك ولهم في ذلك طرائق معروفة ، واختار آخرون الإسرار به ، والجميع على خير من ربهم وسداد من طرائقهم رحمهم الله ونفع بهم ، ثم إن أهل الطريق يعني طريقة التصوف لا يعدلون بالذكر شيئا وعليه تعويلهم وفيه شغلهم بعد إقامة الفرائض واجتناب المحارم وبه يأمرون المريد والسالك لطريقهم ويأخذون عليه العهد بالمداومة عليه والملازمة له مع شرائط وآداب لهم في طريقهم والذكر لله أهمها وآكدها .

والذكر على أنواع كثيرة ولكل نوع منها فضل وثواب عظيم وفيه فوائد ومنافع جمة وله ثمرات وآثار شريفة ، ومن آداب الذكر : أن يكون الذاكر لله تعالى على أكمل الآداب وأحسن الهيئات ظاهرا وباطنا وأن يكون على طهارة ونظافة تامة وأن يكون في حال ذكره خاشعا لله معظما لجلاله مستقبل القبلة مطرقا ساكن الأطراف كأنه في الصلاة ، ثم إن المطلوب من العبد أن لا يزال ذاكر الله تعالى في جميع أحواله وعلى دوام أوقاته فإن أمكنه

الدوام على هذه الآداب التي ذكرناها من الطهارة والاستقبال وغيرهما في دوام أحواله كما هو شأن أرباب الخلوة والانقطاع إلى الله تعالى فعل وداوم ، وإن لم يمكنه الدوام على ذلك وهو الأكثر والأغلب فينبغي أن يجعل له وقتا معينا يجلس فيه للذكر متأدبا بهذه الآداب التي ذكرناها وبما في معناها مما لم نذكره ، ثم لا يزال العبد في بقية أوقاته ذاكراً لله قائما وقاعدا ومضطجعا من غير حد ولا تقييد ، كما قال الله تعالى ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ (النساء/ ١٠٣) وليحذر الغفلة عن الذكر لله تعالى في وقت من الأوقات فإن الغفلة عن ذكر الله كثيرة الضرر .

والذكر لله تعالى على أربع مراتب :

الأولى : ذكر اللسان فقط .

والثانية : ذكر القلب من اللسان تكلفا .

والثالثة : ذكر القلب طبعا وحضوره مع اللسان مع غير تكلف .

والرابعة : استيلاء المذكور على القلب واستغراقه به .

والمرتبة الأولى يعني ذكر اللسان مع غفلة القلب قليلة النفع ولكنه خير من ترك الذكر رأسا فينبغي لمن أخذ في الذكر بلسانه أن يتكلف إحضار قلبه مع اللسان حتى يصير ذاكرا بهما جميعا تكلفا في أول الأمر فإذا واظب على ذلك ذاق القلب لذة الذكر وتشرق عليه أنواره فعند ذلك يحضر بلا تكلف ولا مؤنة بل ربما صار إلى حالة لا يمكنه معها الصبر عن الذكر ولا الغفلة عنه لأن حضور القلب مع اللسان حال الذكر هو أهمها وآكدها ، فعليكم به فإن الذاكر لا يكاد يصل إلى شيء من فوائد الذكر وثمراته المقصودة إلا بالحضور ، انتهى نقلناه بطوله لجمعيته لمعاني وآداب الذكر .

قوله: (**وبارتقاب الحق بالإسرار في سائر الحالات والأفعال**) أي: ومن أسباب نيل ما ذكر أولاً بالمراقبة للحق تعالى المشار إليها في البيت المذكور ويحصل بالقلب والسر وهي مأخوذة ومفهومة من مقام الإحسان ، وقد حقق ذلك الإمام الغزالي في كتاب المراقبة والمحاسبة من «الإحياء» وذكر الأئمة وتلقينا ذلك عن شيخنا الإمام الحبيب عمر بن عبد

الرحمن بن القطب الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار باعلوي أن مما يجلب المراقبة قول الإنسان في الخلوة ومع الحضور : الله معي ، الله شاهدي ، الله حاضري ، الله ناظر إلي . وزاد شيخنا الحبيب الحامد التريمي : (الله يراني) إحدى عشر مرة أو أكثر على حسب الفراغ والحضور .

وقوله : (**في سائر الحالات والأفعال**) أي: أن المراقبة للحق تعالى تكون في سائر الأحوال التي تتغاير مع الإنسان وتختلف عليه والأفعال التي يعملها بالجوارح فإن عمل الجوارح المراقبة بسكونها وإطراق الرأس وغير ذلك مما ذكروه في آداب الذاكر والمراقب هو الذي ينال به السالك ما أشار إليه من الأحوال السنية التي ترقيه وتدنيه من حضرة الألطاف والمعارف ويأمن بها قطاع الطريق والمخاوف . ثم قال رضي الله عنه :

[في بيان أن الشيخ ركن في الوصول إلى الله وصفته]

فاطلبْ لِقَا الشيخ بِكلِّ حِيْلَهْ ... فهو المرادُ بابتغا الوَسِيلَهْ

من لم يكنْ شيخ هدى دليلَهْ ... فشيخُهُ الشيطانُ في الخيالِ

قوله : (**فاطلب لقا الشيخ بكل حيله ..**) إلى آخر البيت أي: أن طلب المشايخ المسلكين أرباب التأديب للمريدين الموصلين لهم إلى القرب من رب العالمين أمر لازم على مريد الفوز بالسعادة والقرب من الله تعالى ، والمعني بذلك مشايخ الصوفية الذين فرغوا عن إصلاح أنفسهم وتفرغوا لإرشاد غيرهم فهم الأصل ولا نجاح للإرادة إلا بهم وبحلول نظراتهم فمنهم من يربي مريديه بالرياضة والتأديب ، ومنهم من يلاحظ مريديه بالنظر ، فالنظر من عارف يفيد ما لا تفيده المجاهدة ، وقد ذكروا أن الشيخ عبد القادر الجيلاني نفع الله به نظر في عشية يوم إلى سبعين رجلا يبولون في أفخاذهم فأوصلهم إلى الله في تلك اللحظة ، ولهم في تدبير هذا دراية تامة فيمن يحتاج إلى زيادة تأديب ومجاهدة وفيمن يكفيه القليل من ذلك .

وأما سالك طريق الآخرة بلا شيخ مرشد (**فشيخه الشيطان في الخيال**) أي: أنه لا يزال يخيل له أحوالا وأمورا يظنها من الحق والصواب وهي من الضلال والخطأ فلا يزال

يتخبط كمن يمشي في الظلمة ويعرض نفسه للهلاك ، لأن الشيطان متكلف باعوجاج العبد المسلم وميله وزيغه ولا يقهره عنه إلا الإهتداء لسلوك طريقة عالم مرشد ناصح يهديه إلى ما فيه صلاحه وحسن عاقبته وتنوير بصيرته وزيادة معرفته ، قال سيدنا الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد باعلوي نفع الله به في التائية الكبرى :

ولا بـد مـن شـيخ تسـير بسـيره　　　إلى الله في نهـج الطريـق القويمـة[1]

ثم قال رضي الله عنه ونفعنا به وبعلومه :

وهـو إمـامٌ كامـلُ الطريقَـهْ　　　يعلـمُ سِرَّ الشرعِ والحقيقـهْ

يعـرفُ طبـعَ النـاسِ والخليقَـهْ　　　ومـا لِكُـلِّ طالـبٍ مـن بـالِ

قوله : (**وهو إمام كامل الطريقه**) أي: أنه يكون هذا الشيخ المسلك إماما كامل الطريقة ، أي: ممتلئا بمعرفة شروطها وآدابها كما مر أنه فرغ من تهذيب نفسه .

قوله: (**يعلم سر الشرع والحقيقه**) أي: وأن من شرطه أن يعلم أسرار الشريعة وغوامض أحكامها ، وعالم أيضاً في علوم المكاشفة ، قال الإمام الغزالي رضي الله عنه في بيان قوله: (**يعلم سر الشرع والحقيقه**) في القسم الأول .

وأما القسم الثاني وهو علم المعاملة فهو علم أحوال القلب أما ما يُحمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضى والزهد والتقوى والقناعة والشجاعة والسخاوة ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الأحوال والإحسان وحسن الظن وحسن المعاشرة والصدق والإخلاص ، فمعرفة حقائق هذه الأمور وحدودها وأسبابها التي تكتسب لها وثمرتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال منها حتى يعود فذلك كله من علم الآخرة ، هذا معنى قوله: (**يعلم سر الشرع**) .

---

(١) في ديوان الإمام الحداد :

ولابـد مـن شـيخ تسـير بسـيره　　　إلى الله مـن أهـل النفـوس الزكيـةِ

مـن العلمـاء العـارفين بـربهم　　　فـإن لم تجـد فالصـدق خـير مطيـةِ

وقوله : (والحقيقه) يشير بذلك إلى علم المكاشفة ، قال الإمام الغزالي رحمه الله : وأما القسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم ، فقد قال بعض العارفين : من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة ، وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله ، وقال آخر : من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم : بدعة أو كبر ، وقيل : من كان محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به .

ثم قال : وهو علم الصديقين والمقربين ، أعني به علم المكاشفة ، وهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة تنكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسمائها فيتوهم لها معان مجملة غير متضحة فتنفتح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله وصفاته التامات الباقيات وبأفعاله وبحكمته في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه الآخرة على الدنيا، والمعرفة بمعنى النبوة والنبي وبمعنى الوحي ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشياطين للإنسان وكيفية ظهور الملك للأنبياء وكيفية وصول الوحي إليهم والمعرفة بملكوت السموات ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب .

ومعنى قوله تعالى :﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴾ (الإسراء/ ١٤) ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ (العنكبوت/ ٦٤) ومعنى لقاء الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الأعلى ومقاربة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم بعضا كما يرى الكوكب الدري في جو السماء ، إلى غير ذلك مما يطول تفصيله ، إذ للناس في معاني هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات شتى ، انتهى من كتاب العلم من ((الإحياء)) .

قوله: (**يعرف طبع الناس والخليقه**) أي: أن هذا الشيخ المربي له فراسة في طبائع الناس الخواص منهم والعوام ويعامل كل إنسان بما يعلم طبعه وسجيته فيستعمل في حقهم طريقي التخفيف والتشديد .

وقوله : (**وما لكل طالب من بال**) أي: من حال يهتم به الشيخ في حقه ويختلف ذلك باختلاف الطالبين والمريدين ، وقد ذكر الشيخ عبد الله الحداد نفع الله به في ((النصائح)) جملة من أخلاق المشايخ أهل الدعوة والتربية ، وقال في آخره : وينبغي للعالم إذا جاءه من يطلب العلم أن ينظر إليه ، فإن كان فارغا متأهلا لفهم العلم فليأمره بقراءة الكتب ، وإن كان عاميا يقصد أن يتعلم ما لا بد منه من العلم فليلقنه ذلك تلقينا وليعلمه ويفهمه ويختصر له الأمر ولا يطول عليه بقراءة الكتب التي عساه لا يفهمها ولا يفرغ لها ولا يحتاج لأكثر ما فيها ، فإن حاجة العامة من العلم ليست شيئا كثيرا .

وقال الإمام الغزالي رحمه الله في كتاب العلم من ((الإحياء)) : الوظيفة السابعة أن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلي الأليق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فإن ذلك يفتر عزمه في الجلي ويشوش عليه قلبه ويوهم إليه البخل به عنه إذ يظن كل واحد أنه أهل لكل علم دقيق ، فما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه وتعالى في كمال عقله وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله ، انتهى . وبهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع وأرسخ في نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده ...إلى آخر ما قال ، ثم قال رضي الله عنه:

عن إذنِ شيخٍ كاملٍ مأمورُ ... لم يُلْهِهِ عن شُغْلِهِ الحضورُ

وعكسه ذو هيبة وقورُ ... يظهرُ عنه أشرفُ الخصالِ

قوله : (**عن إذن شيخ كامل مأمور**) أي: أن الشيخ المسلك يكون مأذونا له عن شيخ كامل مأمور بذلك من جانب الحق تعالى يعرفه بطريق الإلهام الذي هو للأولياء بمنزلة الوحي كما مر .

قوله: (**لم يلهه عن شغله الحضور**) أي: أن الحضور مع الخلق وأبناء غير الجنس لا يشغله عن الحضور مع الله تعالى بل ظاهره معهم وباطنه مع الله فهذا شأن السالكين على يد المشايخ المربيين العارفين .

قوله: (**وعكسه ذو هيبة وقور**) أي: أن بعض المشايخ يكون تسليكه والأخذ عنه بالنظر إليه لكونه ذا هيبة ووقار لا يتمكن المريد من سؤاله وطلبه لما يعتاده الصوفية من الإذن والتلقين والإلباس ، هذا ما ظهر من كلامه في هذا البيت والعلم عند الله .

قوله: (**يظهر عنه أشرف الخصال**) أي: أنه يظهر منه وعنه الأخلاق النبوية والآداب الصوفية بالعمل لا بالقول ، فكأنه يدعو إلى ما هو عليه من هذه الصفات بأعماله ، وذلك عندهم من الدعوة بالقول ، وقد أشار الإمام الغزالي إلى شرف هذا المقام في ((البداية)) بقوله لما ذكر ذلك : لأن الناس إلى المتابعة في الأعمال أميل إليها من المتابعة في الأقوال .

ثم قال رضي الله عنه :

قد ذاق جِدَّ السَّيْرِ في الطَّرِيْقِ ... حتى أَتَتْهُ جَذْبَةُ التَّوفيقِ

تَبِينُ بالتيسير والتعَوِيْقِ ... له مباني القَطْعِ والإيصالِ

قوله : (**قد ذاق جد السير في الطريق**) أي: أن هذا الشيخ المسلك قد ذاق مشارب القوم في سلوكه وعرف أنحاءهم ومقاصدهم فصلح للتسليك والتأديب .

قوله: (**حتى أتته جذبة التوفيق**) أي: أنه لما ذاق ما مر أتته جذبة التوفيق من جانب الحق التي هي خالص إرادته الحق لعبده ومحبته والقرب منه والأخذ عنه بالإلهام الرباني الإلهي .

قوله: (**تبين بالتيسير والتعويق**) أي: أن هذا الجذبة تبين بتيسير أعمالها لمن سبقت له العناية فيها وتبين أيضاً بالتعويق لمن صد عنها ولم يكن له نصيب منها ويحتمل من مفهوم البيت الآتي أن هذا الشيخ المسلك أن له النظر في المريدين فمن رأى وتفرس فيه مخايل الأهلية والقبول لما يلقيه إليه ويشترطه عليه يسر له ذلك وأعانه عليه ، ومن لم ير للأهلية فيه

صرفه عنه وعوقه لأنه كما مر ينظر في المصالح ويعامل كلا بما يليق به ويتأهل له ، وذلك بدليل قوله: (**له مباني القطع والإيصال**) . ثم قال رضي الله عنه :

يُرْشِدُ كُلَّ صادقٍ مُرْيدِ إلى طريقِ الفيضِ والمزيدِ

لـه بـأولى السَّيْرِ والتَّرحالِ بضبطه الأنفاسَ والتقييدِ

قوله : (**إلى طريق الفيض والمزيد**) أي: أن لهذا العارف الإيصالُ بإذن الله تعالى وإرادته إلى طريق الفيض والمزيد ، أي: فيض الأنوار ومزيد الأسرار بواسطة النبي المختار فهو يتلقى الأنوار و الأسرار من حضرته صلى الله عليه وسلم ثم يفيضها على المريدين فيسيرون بها إلى حضرة رب العالمين فإذا وصلوا إلى ذلك المقام كانوا من المسلكين المقربين فيتأهلون لأحوال ومقامات الشيوخ المربين ، هكذا جرت عادة الله في المشايخ والمريدين الصادقين نفعنا الله بهم ورزقنا الإيمان بعلومهم ومعارفهم ، ثم شرح ما ذكره في حق الشيخ المرشد بقوله : (**يرشد كل صادق مريد**) وقد ذكر الشيخ الحبيب عبدالله الحداد نفع الله به في كتابه ((رسالة المريد)) شروط الإرادة وآدابها ونتائجها فلينظر منها .

قوله: (**بضبطه الأنفاس والتقييد**) أي: أن هذا الشيخ المرشد يضبط أنفاس المريد وأوقاته بإلزامه الأذكار في جميع حالاته وترتيب أوراده ومعاملاته .

قوله: (**بأولى السير والترحال**) أي: أنه يضبط له ذلك بأولى السير ، أي: بأحق وجوه السلوك والسير إلى الله تعالى ، وقد مر أن ذلك يختلف باختلاف المريدين ومُسَلِّكيهم فمدد كل مريد على قدر توجه الشيخ إليه وحط نظره عليه وملاحظته في جميع أحواله .

ثم قال رضي الله عنه :

ومُنْقِصٍ وربما بالهِمَّهْ يحميهِ عَنِ إثمٍ وعن مُلِمَّهْ

فيرتدي بأشرفِ الخِصَالِ يُلْبِسُه ثوبَ تقىً وعِصْمَهْ

قوله : (**يحميه عن إثم وعن ملمه**) أي: أن الشيخ المرشد يحمي مريده بحاله ونظره عن كل إثم صغير وكبير وعن الإلمام به ، كما حكي عن الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي أنه أرسل بعض مريديه إلى البادية لغرض له فراودته امرأة في نفسها فلما هم بها

سمع الشيخ يهمهم فقام وقال : هذا صوت الشيخ ، فقالت له المرأة : إنها هذا صوت التيس في الغنم ، فهم بها ثانيا ، فإذا بشخص قد ضربه بعصا فقام وعزز نفسه عن ذلك الفعل ، فلما وصل إلى الشيخ قال له : بعض الناس ما ينتبه إلا بالضرب ، وروايات حفظ المشايخ لمريديهم مشهورة حتى إنه نفع الله به لما تحاور هو والشيخ أحمد أبوالجعد في قصتها المذكورة في مناقبه أنه قال الشيخ أحمد أبو الجعد : لا يكون الشيخ شيخاً حتى يمحو سيئات مريده من اللوح المحفوظ ، قال الشيخ سعيد : كيف غفل حتى كتبت .

قوله: (**ومنقص وربما بالهمه**) أي: أنه يحميه عن كل نقص ووصمه .

وقوله : (**وربما بالهمه يلبسه ثوب تقى وعصمه**) أي: أنه بهمته يلبس المريد ثوب التقى فلا يقارف ذنبا ولا يلم به . قوله: (**وعصمه**) أي: حفظا من ذلك إذا الحفظ للأولياء والعصمة للأنبياء وتسميتها في حق الأولياء مجازية .

قوله: (**فيرتدي بأشرف الخصال**) أي: أنه إذا كان إلباسه التقى والعصمة المكنى به في القرآن عن القيام بأوامره تعالى ونواهيه ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف/ ٢٦) كنى بأنه ارتدى بأشرف الخصال الحميدة المفصلة في كتب الحديث والصوفية وقد مر بعضها ، ومن حال الشيخ المربي أن يحفظ مريده عن الذنب والإلمام به وبذلك يكون مرتقيا لأشرف خصال الولاية وهي العصمة المشار إليها وراثة من نبيه صلى الله عليه وسلم .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

ويظهرُ المريدُ كلَّ خاطرِ	**مُسَلِّماً لحكمِهِ مُبَادِرِ**
لأمرهِ مُعَظِّماً ونَاظِرِ	**إليهِ بالفَضْلِ وبالإجلالِ**

قوله : (**ويظهر المريد كل خاطر**) يقع له ليميز له الخواطر الربانية والملكية والنفسية والشيطانية .

قوله: (**مسلما لحكمه مبادر**) أي: مسلما لحكم الشيخ فيما أمر به ودعاه إليه سواء ظهر له صوابه أم لا مقلدا له في ذلك لأنه لا يراعي في حقه إلا كلما يرقيه إلى المراتب العلية والأحوال والمقامات السنية (**مبادر**) أي: مسارع .

قوله: (**لأمره معظما وناظر إليه بالفضل وبالإجلال**) أي: أن المريد لا يحصل له التفويض والتحكم لأوامر الشيخ وإشاراته إلا إذا كان معظما له وناظرا إليه بعين التوقير والفضل والإجلال فإنه بذلك يكون حائزا لبركة الشيخ والتلقي لأنواره وأسراره. ثم قال رضي الله عنه:

يشــهَدُ أن الحــقَّ مــا يقضيهِ بحيــثُ يُــرضِي اللهَ مــا يُرْضِيْهِ

بكــل حــال فهــو مَعْــهُ فِيْــهِ كحالــةِ المَيْــتِ مــع الغَسَّــالِ

قوله : (**يشهد أن الحق ما يقضيه**) أي: أن المريد الصادق يشهد ما يلقيه عليه الشيخ ويلزمه به، أي: أنه الحق والصواب من لدن الحق تعالى بالإلهام له السابق معناه .

قوله : (**بحيث يرضى الله ما يرضيه**) أي: أنه يتبع مراضي الشيخ علما منه واعتقادا أن ما يرضيه يرضاه الله ويختاره .

قوله: (**بكل حال فهو معه فيه كحالة الميت مع الغسال**) أي: أن المريد يلقى قياده للشيخ فيكون حاله معه كالميت بين يدي مغسله يقلبه كيف شاء وأراد ليس له اختيار ولا فعل . ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

فَمَــنْ إلى الشــيخ هــداهُ رَبُّــهُ فَقَــدْ بَــدَا كمالُــهُ وقُرْبُــهُ

إن احتــوى عــلى وَلاهُ قَلْبُــهُ ثــم اقتــدى بســيرِهِ مُــوالي

قوله : (**فمن إلى الشيخ هداه ربه**) أي: من أراد الله الخير به جذبه وهداه إلى شيخ مرب يدلُّهُ على ما فيه رشده وصلاحه .

قوله: (**فقد بدا كماله وقربه**) أي: إذا كان المريد حاله ما ذكر في معنى البيت فقد بدا أي: ظهر كماله في سيره إلى الله تعالى وقربه منه ، لأن الشيخ يرقيه من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام حتى يبلغ غاية المرام من الكمال والقرب التام الذي يختص به أولياء الله العارفون به تعالى .

قوله: (**إن احتوى على ولاه قلبه**) أي: إن احتوى قلبه على ولاه ، أي: موالاته إذ القلب مغرس الهداية وهو كالملك يتحكم ويتصرف في الأعضاء والجوارح كيف شاء إن خيرا فخيرٌ وإن شرا فشر .

قوله: (**ثم اقتدى بسيره موالي**) أي: أنه لما اهتدى بهديه وسار بسيره اهتدى به في أنحائه ومقاصده ، كما قال الشيخ أبوبكر بن عبد الله العيدروس نفع الله به في بعض قصائده:

فالاهتـــداء ثـــم الاقتـــداء   والاصـــطفا حـــالٌ فـــوق حـــالِ

أي: أن الاهتداء والاقتداء للمريدين السالكين والاصطفاء للعارفين الواصلين مراتب يتلو بعضها بعضا . ثم قال نفع الله به وبعلومه :

إِن هَـــبَّ بالصـــدقِ إلى العلـــومِ   مِـــنْ نَوْمَـــةِ العـــاداتِ والرُّسُـــومِ
ثـــم اقتـــدى رَسْـــمَ طريـــقِ القَـــوْمِ   فقـــد دنـــا مـــن وُصْـــلَةِ الوصـــال

قوله : (**إن هب بالصدق إلى العلوم**) أي: إن استيقظ وأقبل بالصدق إلى العلوم التي هي شرط في تحقيق الأحوال والمقامات ثم عمل بمقتضاها .

قوله: (**من نومة العادات والرسوم**) أي: أن استيقاظ المريد السالك بإقباله على العلوم الحقية من نومة العادات والرسوم فإن العوائد عوائق عن طرق الحقائق ولمن تمكنت من نفسه العادات والرسوم التي هي ليست من وظائف العبادات فذلك شرط أيضاً في إقبال المريد على ربه وأخذه عن المشايخ طرق الهدى والصلاح واستيقاظه من هذه النومة والغفلة عن ما ذكر دليل على عناية الله به وإرادته له ما يريده به لأهل طاعته ومحبته .

قوله: (**ثم اقتفى رسم طريق القوم**) ثم اقتفى ، أي: اتبع رسوم طريق مقامات القوم الخاصة التي أولها التوبة وآخرها الإخلاص والصدق ، وهي مفصلة محررة في أمهات كتبهم كـ((العوارف)) و((الرسالة)) و((الإحياء)) وكلام مؤلفات سادتنا آل باعلوي فكالناظم نفع الله بهم .

قوله: (**فقد دنا من وصلة الوصال**) أي: أن هذا السالك إذا تتبع ما للقوم من الحقائق والرسوم وصل إلى أحوالهم الشريفة ومقاماتهم المنيفة التي هي عزيزة الوجود في غيرهم لأنها ما تتحصل إلا بالمجاهدات في سلوك طريقهم والصبر على ذلك في دوام الاوقات .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به وبعلومه :

الرشفة السابعة عشر :

[في بيان أحوال الأولياء ومقاماتهم]

رَشْفَةٌ مِنْ بَحْرِ مَقَامَاتِهِمْ العَلِيَّةْ وَ نَسْمَةٌ مِنْ عِطْرِ أَحْوَالِهِمْ الجَلِيَّةْ

قوله : (**رشفة من بحر مقاماتهم العلية**) قد مر معنى الرشفة ، والمقامات هي الأحوال الثابتة لهم وكنى عنها بالبحر لاتساع معانيها وانتشار أنوارها ، والعلية ، أي: الرفيعة لأنه يعز على غيرهم أن ينالها ويسري إليها إلا بالمجاهدة ونظر الشيوخ المسلكين .

قوله: (**ونسمة من عطر أحوالهم الجلية**) وقد مر أيضاً معنى النسمة ، والعطر نوع من الطيب ، وأحوالهم هي الأنوار الواردة على قلوبهم ، والجلية الظاهرة كنى عنها بالعطر لأنها تنمو وتنتشر إلى غيرهم فينتفع بها الخاص والعام . قال رضي الله عنه ونفع به :

إذا دعـــــاهُ واردُ الإرادَهْ   وســـلَّمَ الأمـــرَ لمـــنْ أرادَهْ

فصـــارَ في الإخـــلاصِ والعبـــادَهْ   وجانـــبَ الأحـــداثَ بـــاعتزالِ

قوله : (**إذا دعاه وارد الإراده**) أي: دعا المريد وارد الإرادة وهي الجذبة التي يتوجه بها إلى الإرادة التي هي آداب وأخلاق مشهورة عن الصوفية ومذكورة في كتبهم .

قوله : (**وسلم الأمر لمن أراده**) يعني أن هذا المأخوذ بالجذبة الربانية يسلم أمره إلى الشيخ وما أراده منه بما يرى فيه صلاح قلبه ونجاح أمره .

قوله: (**فصار في الإخلاص والعباده**) أي: صار في عبادته بجميع أنواعها مخلصا لله تعالى غير ملتفت إلى الخلق ولا إلى ما يجري من أقوالهم وأفعالهم من المدح والذم والضر والنفع ويشهد مع ذلك المنة لله تعالى في جميع ما أعطاه وتفضل به عليه مع معرفة عجزه وقصوره فيكون وارثا لنبيه صلى الله عليه وسلم في قوله: (لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) .

قوله: (**وجانب الأحداث باعتزال**) ثم إن هذا المريد لما سلك طريق الإرادة وأخلص في العبادة جانب الأحداث واعتزلها ، والأحداث عند القوم : كل ما لا يليق

بالمريد أن يباشره ومن ذلك الجلوس والمصاحبة لغير الجنس من المتعلقين بأسباب الدنيا المضيِّعين للأوقات في البطالات وما لا يعني . ثم قال رضي الله عنه :

فشاهدَ الألطافَ مِنْ لطيفِ بكلِّ شِرْبٍ باهرٍ مُنيفِ

وذاقَ معنى قُربِهِ الشريفِ في كلِّ نورٍ مِن سنا الجمالِ

قوله : (**فشاهد الألطاف من لطيف**) أي: أن المريد لما كان كامل التوجه إلى مولاه متأهلا لواردات عطاياه شاهد الألطاف الواردة عليه من لدن اللطيف من التوفيق والإعانة والهداية والدراية وسائر أسباب الولاية ، وذلك سر قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ (الشورى/ ٢٠) وقوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ (الإسراء/ ١٩) الآية ، وقوله تعالى ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (الكهف/ ٦٥) وقال صلى الله عليه وسلم : (من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم) .

قوله: (**بكل شرب باهر منيف**) أي: بكل ذوق من أذواق الصوفية ومشاربهم المختلفة باختلاف العطايا ومراتب المزايا فلكل قوم مشرب على حسب الطريق والمذهب ، والمراد بالشرب الدراية والذوق ، كما قال ابن بنت الميلق في قصيدة السلوك المار ذكرها .

وقوله : (**باهر منيف**) أي: أن ذلك الشراب والمنال والعطاء أمر يبهر العقول ويسلبها غير أن أهل الشان والرسوخ والتمكين يثبت الله أقدامهم فلا تزيغ قلوبهم .

قوله: (**وذاق معنى قربه الشريف**) أي: أن من أنعم الله عليه بهذا العطاء الفائق ووصل إلى مراتب تلك الحقائق خص بالذوق من قرب المولى تعالى الشريف لأنه عطاء خاص يوليه تعالى الخواص من عباده السالكين على وفق مراده .

قوله : (**في كل نور من سنى الجمال**) سنى ذلك العطاء الباهر لأنه مِن نور السلام القاهر أي : وإن ذلك الذوق والعطاء هو مجلى الأنوار القدسية المسربلة بنور جمال الحق أي : ظهوره في المكونات ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (النور/ ٣٥) أي : منورهما وقد مر مقال الإمام الغزالي لما شاهد هذا النور في الكون قال : ليس في الإمكان أبدع مما كان ومر

أيضاً بيان الشيخ ابن حجر في تأويل هذه المقالة أنه من حيث إن الإرادة خصصته والعلم شمله والقدرة أبرزته . ثم قال رضي الله عنه :

ثم اهتدى بالتوبةِ القُدْسيَّهْ   لِقَمْعِ كُلِّ شَهْوةٍ نفْسِيَّهْ
وقطعِ كُلِّ عادةٍ حِسيهْ   وحفظِ حكمِ وقتهِ والحالِ

قوله : (**ثم اهتدى بالتوبة القدسية**) أي: أن من أشرق في قلبه هذا النور وانشرح له صدره كان اهتداءه بالتوبة القدسية أي: المنزهة عن الريا والمرا قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ (محمد/ ١٧) .

قوله : (**لقمع كل شهوة نفسية**) أي: أن المهتدي بهذا النور إلى التوبة المذكورة يقوى على قمع شهواته النفسية ومخالفاته الهوائية فيصير عبداً محضاً لمولاه قامعاً لشهواته وهواه.

قوله : (**وقطع كل عادة حسية**) أي: أنه يعني بذلك قطع العوائد التي ليس من الدين ولا تليق بحال السالكين .

قوله : (**وحفظ حكم وقته والحال**) أي: أن المهتدي بذلك النور السني يعتني بحفظ أوقاته عن البطالات والترهات وكل ما لا يعني ، وقد مر في شرح قوله : (فذو النهي يخشى هجوم الموت) نقل عن الغزالي وإيراد آيات وأخبار في حفظ الوقت والحرص على العمل والاستعداد به للموت . ثم قال رضي الله عنه :

فذاقَ رَوحَ الحُبِّ مِن حبيبِ   ورسمِ معنى القُربِ مِن قريبِ
فصارَ أَوْلى مُجْتَبىً مُجيبِ   فيه استلذَّ سائرَ الأهوالِ

قوله : (**فذاق روح الحب من حبيب**) فذاق ، أي: المنيب إلى ربه السالك سبيل رضاه (رَوْحَ) - بفتح الراء - ما تلتذ به النفس ، أي: روح محبة الله والاستئناس بكل ما يرضاه .

وقوله (**رسم معنى القرب من قريب فصار أولى مجتبى مجيب فيه استلذ سائر الأهوال**) أي: لما ذاق روح الحب من الله تعالى اتصف بهذه الصفات المذكورة بعد هذا البيت إلى آخرها ، وقد أوضح الشيخ الغوث عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به في

((نصائحه)) معنى الحب لله وآثاره وما يترتب عليه فقال رضي الله عنه : وأما الحب في الله فهو من أشرف المقامات وأرفعها ، قال الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (البقرة/ ١٦٥) وقال تعالى ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (المائدة/ ٥٤) وقال عليه الصلاة والسلام : (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما..) الحديث ، وقال عليه الصلاة والسلام : (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني بحب الله) ومعنى الحب لله تعالى : ميل وتعلق وتأله يجده العبد في قلبه إلى ذلك الجناب الأقدس الرفيع مصحوبا بنهاية التقديس والتنزيه وغاية التعظيم والهيبة لله تعالى لا يخالطه شيء من خواطر التشبيه ولا يمازجه شيء من أوهام التكييف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، ونبهنا على هذا لأن بعض العامة الذين لا بصائر لهم إذا سمعوا بأحوال أهل الله وبأذواقهم في محبة الله قد تسبق إلى قلوبهم وأفهامهم وساوس وأوهام عظيمة الخطر شديدة الضرر ، ثم إن من صدق في محبة الله دعاه ذلك إلى إيثار الله على ما سواه وإلى التشمير لسلوك سبيل الله وقربه ورضاه وإلى الجد في طاعته وبذل الاستطاعة في خدمته وترك ما يشغل عن ذكره وحسن معاملته من كل شيء ، ومن أعظم ما يدل على محبة الله حسن الاتباع لرسوله صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (آل عمران/ ٣١) انتهى ، وهو نافع واف بالمراد .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به وبعلومه :

ثــم اســتوى في الــوَرَعِ المحكــومِ ... عــنْ كــلِّ معنــى شــبهةٍ ولَــومِ

بحفــظِ حــقِّ الوقــتِ والعلــومِ ... وصــونهِ القلــبَّ عــنِ اخــتلالِ

قوله : (**ثم استوى في الورع المحكوم**) أي: أن المحب لله المتصف بما مر يكون من شأنه وعمله أن يتصف بالأوصاف الحميدة التي ندب الشرع إلى العمل بها وعظم أمرها وذلك كالاتصاف بالورع الذي هو أساس الدين وعماد الأئمة المتقين ، وهو أن يتجنب المؤمن ولاسيما المريد السالك لطريق أهل الله أنواع الحرام والشبه حتى يترك ما لا بأس به

مخافة مما به بأس ، وقد بوب الأئمة في الورع أبوابا ونقلوا فيه ما ورد في فضله وجوبا وندبا من الآيات والأخبار والآثار ما فيه كفاية ومقنع فلينظر من مظانه ، وذكروا أنه ينقسم إلى ورع أصل التقوى وإلى ورع الصديقين .

قال سيدنا الشيخ الحبيب عبد الله الحداد نفع الله به في ((النصائح)) : واعلموا معاشر الإخوان أغنانا الله وإياكم بحلاله عن حرامه وبطاعته عن معصيته وبفضله عمن سواه أن الورع عن المحرمات والشبهات وطلب الحلال والأكل منه مع اجتناب الحرام اكتسابا وأكلا وغير ذلك كل ذلك من أهم المهمات في الدين ومن أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله رب العالمين قال الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾ (البقرة/ ١٦٨) وقال تعالى ﴿ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (المائدة/ ٨٨) وقال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾ (النساء/ ٢٩) الآية والتي بعدها .

وقال صلى الله عليه وسلم : (خير دينكم الورع) وقال عليه السلام : (يا أبا هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس) الحديث ، وقال ابن عمر رضي الله عنهما : (لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار لم يتقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز) انتهى .

قلت : ومن أراد التورع والتحري وإيثار الحلال فينبغي له أن يتصف بالقناعة من الدنيا وأن يرغب في التقلل منها وأن يجانب الإسراف والتوسع والميل إلى شهواتها ، والورع هو الواجب على المتقين فإذا لم يكن فلا أقل من الإنصاف والاعتراف وملازمة الانكسار والاستغفار .

قوله: (**عن كل معنى شبهة أو لوم**) أي: أنه يتعين على المسلم أن يجتنب ما فيه شبهة ظاهرة كأموال السلاطين والمخلطين الذين يعرفون بعدم التمييز بين الحلال والحرام (**أو لوم**) بفتح اللام : وهو كل ما يورث العتب والتنقيص على الإنسان في عدم تجنبه ما يحرم عند الله ومروءته وبضم اللام : خبث النفس ، والمتصف بذلك لا يميز بين الحسن والقبيح.

قوله : (**بحفظ حق الوقت والعلوم**) أي: أن التورع عن الشبهات والشهوات والحرام المحض لا يحصل ذلك إلا بحفظ حق الوقت وهو صرف العمر فيما خلق الإنسان لأجله من العلم والعمل ولا يقع ذلك إلا ممن اشتغل بالعلوم الشرعية وهي الإسلام والإيمان والإحسان .

قوله: (**وصونه القلب عن اختلال**) أي: أن الشرط والحكم في معرفة ذلك والعمل به هو صون القلب وحفظه عن كل ما يورث ذنبا أو ذما لأنه في إرسال الجوارح كالملك يصرفها كيف شاء فإن صانها الإنسان وحفظ أمرها بإتيان كل محمود يحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وإن لم يصنها أرسل الجوارح في كل مذموم ، وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) ولا يصلح إلا بتطهيره عن الرذائل وتزيينه وتنويره بالفضائل كما ذلك مذكور في محله من كتب الصوفية المأخوذة من الكتاب والسنة كالإحياء وغيره ، والاختلال هو وجود النقص في الشيء والخلل فيه . ثم قال رضي الله عنه:

فهاجه شوقٌ سَرى بلبِّهْ إلى لطيفِ لُطفهِ وحبِّهْ

فارتاحَ معنيِ سِرِّهِ في قربِهْ وذاق منه نِسمةَ الوصالِ

قوله : (**فهاجه شوق سرى بلبه**) أي: أن المريد السالك إذا حفظ قلبه وجوارحه عن ما مر واتصف بضد ذلك من المجاهدة المعروفة عندهم حصلت له الثمرة وهي هيجان الشوق المزعج الموجب له باتصاف المحبة له تعالى فيشتاق إلى قرب مولاه الذي هو المقصود الأعظم ، وقد مر من كلام الشيخ عبد الله بن علوي الحداد صفة الحب والقرب لأنه تعالى مقدس ومنزه عن قرب الأجسام فالمحبة والقرب في حقه شيء يجده الإنسان في سره وقلبه ويثمر له الصدق والإخلاص في معاملاته تعالى والشوق إليه وإلى النظر إلى وجهه الكريم في جنات النعيم بلا كيف ولا أين ، رزقنا الله ذلك بفضله وكرمه .

وقوله : (**سرى بلبه**) إما سرى بلبه أي: سرى فيه وخالطه ومازجه ، أو سرى به إلى محلات ومواضع القرب منه تعالى ، وقد فسر ذلك الحب والقرب بقوله : (**إلى لطيف لطفه**

وحبه) واللطيف كل رقيقة يتصل بها السر والقلب من محاسن الأخلاق ورفيع الأوصاف ، واللطف معناه أنه كالتوفيق: خلق قدرة الطاعة في العبد ، أي: وانشراحه وانفساحه بها حتى أنه يشتاق من اتصف بذلك إلى قرب مولاه.

قوله: (**فارتاح معنى سره في قربه**) أي: إن معنى سر الحب والقرب سرى إلى قلبه فارتاح به واستأنس لحصوله لأنه غاية ما يطلبه أهل العرفان الخواص حتى أن بعضهم إذا حصل له هذا المقام غاب عن الأنام ويغيب أيضاً بشهوده عن وجوده .

قوله: (**وذاق منه نسمة الوصال**) وذاق مما ذكر نسمة الوصال المبشرة بكل الآمال إذ الوصال مقصود كمل الرجال المتصفين بالمقامات العلية والأحوال . ثم قال رضي الله عنه:

ثم ارتقى في الزهدِ في معاني بها رمى كلَّ دَنيٍّ فاني

ثم استوى جواهرُ الأثمانِ لديه والتُّرْبُ بلا احتفالِ

قوله : (**ثم ارتقى في الزهد في معاني**) أي: أن هذا العارف الكامل لما بلغ مقام الشهود والفناء ارتقى بالزهد في كل ما سوى الله فلا التفات له إلا إليه تعالى والسعي في كل ما يرضيه ويحبه ، والمعاني : الأذواق التي يتصف بها أهل المعرفة بالله والزهد فيما سواه ، ولهذا قال : (**بها رمى كل دني فاني**) أي: بالمعاني المذكورة رمى ، أي: أعرض عن كل دني فاني وذلك من المقام الإبراهيمي فإنه صار يترقى من شهود إلى شهود حتى بلغ الوصول إلى معرفة المعبود ، فإنه وإن كان جعل ذلك في معرض الاحتجاج على قومه فهو شاهد ودليل لمقام الترقي ، وذلك ما حكاه تعالى عنه .

قوله : (**ثم استوى جواهر الأثمان لديه والتُّرب بلا احتفال**) أي: أن هذا العارف الواصل بالترقي إلى مقام الشهود والفناء أثمر له هذا الحال إلى رفض كل ما في الدنيا من جميل وزينة وحسن حتى أنه صار عنده الذهب والتراب سواء كما قال (**بلا احتفال**) أي: أنه لو وضع عنده التراب والذهب لم يميز هذا عن بالرغبة فيه والميل إليه ، وهذا مقام عزيز من مقامات كبار الصوفية العارفين لأنهم لما استغرق حب الله على قلوبهم وامتلأت به لم يبق فيها لغيره محل .

ثم قال رضي الله عنه :

فصار عطشاناً عظيمَ الشوقِ ... لنفحةِ الوصلِ قَويمِ الذوقِ

تزعجُهُ لواعجُ البروقِ ... لقصدِ كشفِ برقعِ الجمالِ

قوله : (**فصار عطشانا**) إلى آخر البيت ، قد مر صفة الشوق إلى الحب والقرب والوصول إليهما والتعلق بهما ، أي: وأن من زهد في الدنيا وطلب الارتقاء إلى المعالي واللطائف الغيبية الرحموتية يصير عطشانا إلى الزيادة عظيم التوقان إلى ذلك لا يُروى ولو شرب بحار الدنيا فشوقه هذا إلى نفحات الوصل الربية القربية .

وقوله : (**قويم الذوق**) أي: مستقيم الذوق ليس بالمفرط ولا الغالي فيه كما ورد (خير الأمور أوساطها) .

وقوله : (**تزعجه لوامع البروق**) أي: أن هذا السالك الذائب تزعجه ، أي: تهيج شوقه لوامع البروق والمراد بذلك الأحوال النورانية التي ترد عليه ثم تغيب عنه فينزعج عند فقدها ويشتاق إلى وجودها ، واللوامع واللوائح من صفات المريدين التي ترد عليهم الأحوال ثم تغيب عنهم .

قوله: (**لقصد كشف برقع الجمال**) أي: أن المريد يشتاق ويقصد ورود لوامع الأحوال ليشاهد الجمال ويحصل له الوصال وتلك المشاهدة والرؤية وغيرها في كلامهم المشيرة إلى ما مر من ذكر التحقق به مع التنزيه والتقديس له تعالى عندما يلاحظه أرباب القصور من صفات العشق التي تحمل بعضهم على التولع والتوله والبله بالمعشوقات الدنيوية ، فالحاصل لأولياء الله من ذلك معاني تخالف الأمور الحسية والأذواق الشهوانية .

ثم قال رضي الله عنه :

ثم اعتلى في فقرِهِ المصُونِ ... على الغبي عنْ كلِّ معنى كوني

ولم يُبَلْ بالوصلِ أو بالبونِ ... بل صارَ في الحبِّ بكلِّ حالِ

قوله : (**ثم اعتلى في فقره المصون**) أي: هذا المريد الذائق المشتاق اعتلى مقام الفقر الذي هو من أعلى مقامات الانبياء والأولياء ووصفه بالصيانة ، أي: أنه احترز به عن الفقر

الذي هو خلو اليد عن المال مع الضجر والتبرم وعدم الرضا ، إذ ورد أن الفقراء الصبر جلساء الله ، وميل السادة الصوفية أن الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر ، ويخالفون في ذلك المحدثين والفقهاء .

قوله: (**على الغبى عن كل معنى كوني**) أي: أن أحوال هؤلاء الأخصاء صانوا فقرهم وحاجتهم عن كل غبي وهو الذي لا يدرك فهمه الحقائق التي تكون لأهل الله تعالى فتصان أفعالهم وأقوالهم وأحوالهم عن من لم يفهمها ويذقها كما ورد : (حدثوا الناس بما يفهمون) وقد حقق ذلك الإمام الغزالي في كتاب العلم من ((الاحياء)) .

قوله: (**فلم يَبلْ بالوصل أو بالبون**) أي: أن طالب الشهود والوصل له تعالى لا يبالي بوصل غيره ولا البون عنه ، أي: البعد بل هو متمتع بشهود جمال الحق تعالى أو أنه يعبد الله ويتوجه إليه بأعمال البر ولا يريد أمرا من الأمور بل مجرد امتثال الأمر وإن بعد أو قرب .

قوله: (**بل صار في الحب بكل حال**) أي: أنه صار من حاله ومقامه في محبة الله راض بكل حال من الأحوال ويرى كل ما ورد عليه من جنابه تعالى حال ، من الحلو وهو ضد المر ، لأنه في شرع المحبة يقال : كل محبوب لدى الحبيب محبوب عند المحب .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

فغابَ في مولاه عنْ مُرادِهْ والغَرَقُ استولى على فؤادِهْ

فنسيَ المعلومَ مِن أورادِهْ وصارِ كلُّ الرَّسمِ في اضمحلالِ

قوله : (**فغاب في مولاه عن مراده**) أي: أن هذا العارفَ المتوجه بالهمة الصادقة والعزم القوي إلى مولاه تعالى غاب عن مراداته ومصالحه فضلاً عن غيره .

قوله: (**والغرق استولى على فؤاده**) أي: الاستغراق في الحب قد غلب واستولى على فؤاده أي: قلبه وسره فهو به كالواله ، والمجنون لا يعقل شيئا من الأمور التي هي غير مطلوبة له ولا محبوبة عنده معرض عن كل ما يشوش عليه هذا الاستغراق بل لا يحس بما يرد عليه ، وكان بعضهم قد لا يحس بالضرب ولا يلتفت إلى شيء من الأمور الصادة عن

مقصده والعارفون بالله يطلبون ويميلون إلى الاستغراق بالله والفناء به عن ما سواه ، وإلى ذلك يشير قول الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به حيث يقول :

يـا ليتنـي قـد غبـت عـن هـذا الـورى   ودعيـــت بالمســـتغرق المبهـــوتِ

مـــاذا عـــليَّ مـــن الأنـــام وقـــولهم   أن أُدع بــــالمحبوب أو المقـــــوتِ

قوله : (فنسي المعلوم من أوراده) أي: أنه لما غلب عليه الاستغراق والفناء نسي ، أي: غاب حتى عن المعلوم عنده من أوراده الدينية والأخروية فضلا عن الدنياوية .

قوله: (وصار كل الرسم في اضمحلال) أي: وصارت الرسوم عنده مضمحلة فانية ليس له خبر عن شيء ولا رغبة في شيء لما غلب عليه من الشهود الذي أفناه وغيبه حتى عن نفسه . ثم قال رضي الله عنه :

ثـــم فَنـــي بالصـــبرِ عـــنْ دَعـــواهُ   وفـــرَّ بـــالمحبوبِ عَـــن شَـــكواهُ

وقَـــرَّ تحـــتَ القهـــرِ في بلـــواهُ   حتـــى اســـتلذَّ الهجـــرَ كالإقبـــالِ

قوله : (**ثم فني بالصبر عن دعواه**) أي: ثم إن هذا المحب لما صدق الله في محبته فني بالصبر عن دعواه فلم يكن له دعوى ولا نظر إلى ما كان منه من الأعمال قلت أو كثرت لأنه يشهد أن لا حول ولا قوة له في فعلها .

قوله: (**وفر في المحبوب عن شكواه**) فر ، أي: هرب عن شكواه لتحمله لما يفعله المحبوب به لكونه صار من حاله أن كل ما يفعله به المحبوب محبوب وإن خالف النفس والهوى وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) فحينئذ يفنى الهوى والدعوى كما مر .

قوله: (**وقر تحت القهر في بلواه**) أي: أنه إذا ابتلي بشيء من أنواع البلاء قر ، أي: استكان للمقدور لأنه نزل به من جهة محبوبه فلم يتضجر ولم يتبرم به بل ربما التذَّ به كما قال رضي الله عنه (**حتى استلذ الهجر كالإقبال**) أي: أنه مع مراد محبوبه فيرى هجره له كإقباله عليه وذلك من شأن خلوص الوداد فيستكن تحت المراد .

ثم قال رضي الله عنه :

ففـاح عطـرُ الحـقِّ مِـن أعطافِـهْ وفـاضَ سـيلُ الوقـفِ مـن ألطافِـه

وشـكرُهُ اسـتولى عـلى أوصـافِه فبـاحَ بالغيـبِ وبـالنوالِ

قوله : (**ففاح عطر الحق من أوصافه**) أي: فلما حصلت لـه تلـك العطايا وفـاز بهـذه المزايا فباح أي: انتشر عطر الحق من أعطافه أي: جوانبه واستروح بـذلك الحاضرون لديه ويتأسون ويقتدون به أو إن ذلك كناية عن ما يطرقه من الأقذار من المحاب أو المضار من أعطافه أي: من أوصاله فتكون كلها ذاكرة شاكرة للمحبوب لما أراده من خير وشر ونفع وضر ولا يكون له اختيار ولا سكون إلا إلى ما قدره مولاه وقضاه .

قوله : (**وفاض سيل الوقف من ألطافه**) أي: أنه لما كان هذا العبد المحض واقف مع اختيار مولاه كانت نفسه مطمئنة راضية بمراده ففاضت عليه سيول الرحمة والمحبة حيث كان واقفاً على أعتاب محبوبه وذلك من الألطاف التي تيسر الأمور العبادية والعادية وتسهلها عليه وبلوغه إليها بلا مشقة ولا عنا فهو في الجميع محمول لتيسيرأسباب الوصول.

قوله : (**وشكره استولى على أوصافه**) أي: أن شكر هذا العبد السالك في طريق الحق استولى أي: غلب أوصاف الشاكر الناقصة فصار شكره كاملاً مرضياً لدى المعبود والعباد لوقوفه تحت الإرادة والمراد .

قوله : (**فباح بالغيب وبالنوال**) أي: أنه لما توجهت إليه ألطاف الحق وستر أوصافه بأوصافه باح بما كوشف له من مخبات الغيوب وبما أعطاه تعالى وتفضل به عليه من النعم التي لا تكيف ولا تعد ولا تحصى و النوال الفايض من بحار الجود والكرم .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

ثـم اطمـأنَّ في الّـرضى بـالبِرّ في كـلِّ أمـرٍ طيِّـبٍ أو مُـرِّ

وللـبلا اسـتحلى ومـسّ الضُّرِّ وحالُـهُ الشـكرُ بـلا احتيـالِ

قوله : (**ثم اطمأن في الرضى بالبر**) أي: ثـم اطمـأن ، أي: استقر ، إذ الطمأنينـة هـي سكون القلب بمرادات الرب ، ولذا وصفه بالرضـا الـذي هـو مـن أعـلى مقامـات اليقـين ، وقوله (**بالبر**) أي: الفعل المرضي .

وقوله : (**في كل أمر طيـب أو مُرّ**) أي: أنـه راض في الأمـور المتغـايرة مـن الطيبـات وهي التي تسكن إليها النفس وتستروح بها والتي تنفر عنها وتشق عليها ولطمأنينتهـا صـار حال هذا السالك كما قال (**وللبلا استحلى ومس الضر ...**) إلخ.

قولـه: (**وحالـه الشـكر**) أي: معرفتـه للـنعم مـن المـنعم شـكر ، كـما ذكـر ذلـك في «الأربعين الأصل» عن مناجاة موسى عليه السلام .

قوله: (**بلا احتيال**) أي: بلا استعمال حيلة في جلب الشكر . ثم قال رضي الله عنه :

[في بيان ما يلاقيه الولي من عطايا ربه]

فهـــام قلبـــاً في معـــاني الحـــبِّ ... وطـــاب لُبَّـــاً في ريـــاضِ القُـــرْبِ

وغـــابَ عـــن كـــلِّ عطـــا أو ســـلْبِ ... شُـــــغلا بـــــما عاينَـــــه بالبـــــالِ

قوله : (**فهام قلباً في معاني الحب**) وهي الـواردات الإلهيـة مـن الصـفاء وامـتلاء السرِّ بجلال الحق وجماله فيثمر له ذلك والقيام بالوفاء والسعي في مراضي المحبـوب مـن كـل مـا هو شين أهل الإيمان واليقين .

قوله: (**وطاب لبا في رياض القرب**) أي: ولما هام في معـاني الحـب وصـفات القـرب طاب بذلك لبه ، أي: سره وقلبه واستراح به واستغرق فيه مشتغلا بمـولاه عـن مـن سـواه فهو طيب النفس والروح بما أولاه من نعماءه وهـو كـل مـا كـان مـن أغذيـة الـروح كالـذكر والفكروالإقبال التام على الحضرة التي هي عندهم أقصى المرام والوصول إليهاغاية الإنعام.

قوله: (**فغاب عن كل عطا أو سلب**) أي: أن هذا المحب الواصل غايب عـن العطـا والسلب والمنع فهو فان في حضرة الجمع التي هي من صفات الأولياء إذ الفـرق عنـدهم أن يشهد العبد ما منه إلى مولاه والجمع الغيبة به عـن مـن سـواه ، وقـد مـر عـن سـيدي الشـيخ

الحبيب عبد الله بن علوي الحداد نفعنا الله به أنه قال : إن الأولياء العارفين يميلون إلى حالة الجمع والله ينقلهم عنها لطفا بهم لئلا تفنى أجسامهم وتضمحل عظامهم.

قوله: (**شغلا بما عاينه بالبال**) أي: أن هذا العارف الفاني بربه مشغول مستغرق قلبه ولبه بما عاينه وكوشف به من عالم الملكوت فهو غائب عن الخلق كائن فيهم بجسمه ومباين لهم بقلبه . ثم قال رضي الله عنه :

فانطمستْ تحتَ شُعاعِ القدس أحوالُهُ في غَيبِ طيبِ الأَنسِ

فغابَ عنْ كلِّ وجودٍ حِسِّي وصارَ في وَصلٍ على اتصالِ

قوله : (**فانطمست تحت شعاع القدس أحواله في غيب طيب الأنس**) أي: أن العارف المتمكن لبلوغه إلى المقامات والأحوال التي مر تفصيلها انطمست ، أي: فنيت وغابت أحواله لما شاهد أنوار الجلال القدسية وأسرار الجمال الأنسية في غيب طيب الأنس، إذ الأنس مقام ليس فوقه مقام فمن بلغ من العارفين إليه دامت مسراته وطابت أوقاته وخفت عليه أعباء التكاليف ولم يلتفت إلى أحد من المعاريف لاستغراقه بالأنس بربه فهو آمن لصفاء شربه في سره ، وليراجع ما في الأنس من الروح والريحان والهناء من كتاب المحبة والأنس والرضا من ((الإحياء)) .

قوله: (**فغاب عن كل وجود حسي**) أي: أنه غاب بطيب الأنس والحلول في رياض القدس عن جميع المحسوسات الحسية والخيالية لاستغراقه بالشهود الحاصل له في عالم الملكوت وهو عالم الغيب فيرى فيه من العجائب والغرائب ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

قوله: (**وصار في وصل على اتصال**) أي: فصار في نعته وصفته وحاله منعما عليه بالوصل والاتصال الذي هو غاية المقامات والأحوال والواصل إلى الله تعالى ليس عنده خبر ولا التفات إلى الغير من عين أو أثر وهذه مقامات أثبتها في كتابي المسمى ((فيض الأسرار)) شرح سلسلة سيدنا وشيخنا الإمام المحقق المتفنن في علوم الأسرار الحبيب عمر بن عبد الرحمن ابن القطب الشيخ الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار باعلوي نفع الله بهم ،

فقلت فيه : وهذا نـزر يسير ننقله من أقاويلهم التي تشير إلى التحقق بهذه المقامات والتعلـق بها أو الشوق إليها أو الإيمان بها ففي كل ذلك خير وصلاح وبه يحصل للصادق الوصـول والنجاح ، قال سري السقطي : خمس من أخلاق المقربين : الرضا عن الله فيما تحب النفس وتكره ، والحب له بالتحبب إليه ، والحياء من الله ، والأنس به ، والوحشة عمن ما سواه .

وقال الإمام القشيري : ويحكى عن أبي جعفر الحداد قال : رآني أبو تـراب النخشبي وأنا في البادية جالس على بركة ماء ولي ستة عشر يوما لم آكل ولم أشرب ، فقال لي : ما جلوسك ههنا ؟ فقلت : أنا بين العلم واليقين أنتظر ما يغلب فأكون معه ، يعني إن غلب العلم شربت وإن غلب اليقين مررت انتهى . وقال المحاسبي : من صحح باطنه بالمحاسبة وبالمراقبة والإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة .

وقال القرشي : يسير العمل مع الرعاية أنجح . وقال ابن عطاء الله: العلم الأكبر الهيبة والحياء فإذا ذهبت الهيبة والحياء لم يبق فيه خير . قال بعضهم : من ادعى محبة الله من غير تورع عن محارمه فهو كذاب ، ومن ادعى محبة الجنة من غير إنفاق ملكه فهو كذاب ، ومن ادعى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير حب الفقر فهو كذاب .

وقال أبو عبد الله القرشي : حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت ولا يبقى لك منك شيء . وسئل بعضهم : الشوق أعلى أم المحبة ؟ فقال : المحبة أعلى لأن الشوق يتولد منها فلا يشتاق إلا من غلب عليه الحب ، فالحب أصل والشوق فرع . وقالت رابعة : كل مطيع مستأنس ، وأنشدت :

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي   وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانس   وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

انتهى . وقال رضي الله عنه ونفع به وبعلومه :

ثم سُقِي في الحبِّ معنى النفعِ   وعادَ في شأنِ البقا والجمْعِ

في خِلْعةِ التمكينِ بعدَ الخَلْعِ   مِن قبلها لسائرِ الأحوالِ

قوله : (**ثم سقي في الحب معنى النفع**) أي: هذا السالك لما انتفع بما بلغه من الحال والمقام سقي أي: شرب من شراب المحبة التي هي غاية مطالب المجتهدين السالكين في طريق القوم الصوفية .

قوله: (**وعاد في شأن البقاء والجمع**) أي: أنه لما ارتوى من شراب المحبة اتصف بمقامين هما أعلى المقامات وهو مقام البقاء الذي هو غاية الاستقامة التامة ومقام الجمع المعبر عنه بالفناء ، وقد مرت الإشارة إلى معنى ذلك وإلى ما يثمره .

قوله: (**في خلعة التمكين بعد الخلع**) أي: هذا العارف الكامل بلغ مقام التمكين وهو إرشاد المريدين وإيصال السالكين إلى مراداتهم وترقيهم في الأطوار المسربلة بأشعة الأنوار والأحوال الذوقية والمنازل الصوفية فهم الألباء الحكماء والأئمة العظماء نفعنا الله بهم . وقوله (بعد الخلع) أي: أنهم اتصفوا بالفضائل الكمالية بعد خلع الرذائل الدنية.

قوله: (**من قبلها لسائر الأحوال**) أي: من قبل اتصافهم بالكمال أعرضوا عن سائر الأحوال الدنياوية والنفسانية وتخلوا عنها ثم اتصفوا بأضدادها وهي مشروحة في كتبهم .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

وغـــابَ في أسرارِهـــا المنـــيرَهْ	**غَيبـــةَ أخـــذٍ جَهـــرةً بغـــيرَهْ**
ذاقَ بهـــا معرفـــةَ في حِـــيرَهْ	**يـــذوقُ فيهـــا شُرْبَ كـــلِّ حـــالي**

قوله : (**وغاب في أسراره المنيره**) أي: وغاب ذلك العارف من الغيبة - بفتح الغين- وهي عند أهل الحقيقة : غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق بل من أحوال نفسه بما يرد عليه من الحق إذا عظم الوارد فاستولى عليه سلطان الحقيقة فهو حاضر بالحق غائب عن نفسه وعن الخلق قاله المناوي في ((توقيفه)) في أسراره المنيرة أي: الظاهرة التي كانت له شعار وخالص الحب له دثار وأشعتها تلوح من سره إلى ظاهره غير أنه يحرص على كتمها وإخفائها كما ذلك شأن العارفين بالله تعالى .

وقوله : (**غيبة أخذ جهرة بغيره**) أي: أنه أخذ، أي: جذب جذبة ، أي: مجاهرة بغيرة من الحق عليه من أن يكون قلبه مع الأحداث من زهرة الدنيا وما فيها غار الله عليه وجذبه

إلى جنابه والوقوف ببابه ، هذا إن كان مراد الناظم رضي الله عنه وإلا فمعناه موكول إلى مراده وليس من عشي أن أتعرض لفك هذه المعاني العزيزة ولكن كان ذلك بحسب الموافقة لبعض أولاده المنتسبين إليه رجاء دعائهم والتعرض لخدمته بحسب الحال ، فليعذرني من وقف عليه من ذوي المعرفة بكلام أهل الأحوال ، وقد قيل : المعنى في بطن الشاعر ، لاسيما والناظم هو البحر الزاخر .

وقوله : (**ذاق بها معرفة في حيره**) أي: ذاق بها ذكر من الجذبة الربانية معرفة ربه وحَيَّرَهُ في معرفة دلاله وجلاله وجماله وكماله فإنه لا يدرك كنه ذاته ولا حقيقة صفاته.

قوله: (**يذوق فيها كل شرب حالي**) أي: أنه يذوق بهذه المعرفة التي جل أن توصف وعزت أن تعرف كل شرب حال من الأحوال التي تديم له التوجه وتورث له التوله .

ثم قال رضي الله عنه :

فهامَ في سُكرِ معاني الذِّكْرِ وعامَ في بحرِ حلاوى الفكْرِ
وحارَ قلباً عندَ كشفِ السَّتْرِ أو صارَ غيباً في سنى الجَمالِ

قوله : (**فهام في سكر معاني الذكر**) أي: أن الذكر الدائم أورث لهذا العارف الهيام والسكر في معاني الأذكار المتنوعة من التقديس والتنزيه والاستغراق في شهود الكمال .

قوله: (**وعام في بحر حلاوى الفكر**) عام هذا العارف ، أي: سبح في بحر الفكر الموصوف بالحلاوة لأن صاحبه إذا توجه إلى الفكر في آلاء الله ونعمه وصنعه في خلق السموات وما وراءها استغرق ذلك سره فلم يلتفت إلى شيء سواه ، ولذا ورد (أن فكر ساعة أفضل من عبادة سنة) ومن أراد شرح ذلك وبيان تفاصيله فعليه بالنظر في كتاب التفكر والاعتبار من ((الإحياء)) .

قوله: (**وحار قلبا عند كشف الستر**) أي: أنه إذا أدام فكره في عجائب الملك من نفسه وغيره وارتقى من ذلك إلى شهود عوالم الغيب وكشف له عجائب سرها وما فيها ويسمى ذلك بعالم الملكوت فعند ذلك يبهت ويتحير ويغيب عن إحساسه بكل ما في عالم

الملك ويراه صغيرا حقيرا كما قال نفع الله به : (**وصار غيبا من سنى الجمال**) أي: من نور الحق في تلك العوالم إذ ما أظهرها في صورة الجمال إلا نوره تعالى . ثم قال رضي الله عنه :

ثـــم اجتنـــى معـــارفَ التوحيـــدِ ... مِـــن ثمـــراتِ الجِـــدِّ والتجريـــدِ

فـــأفردَ الحـــقَّ بـــلا تقييـــدِ ... وحقَّـــقَ الحـــقَّ بـــلا مثـــالِ

قوله : (**ثم اجتنى معارف التوحيد**) أي: أن هذا الواصل إذا بلغ غايات التوحيد والتفريد يجتني من معارف الحق ما يبلغه علمه ويصله إليه فهمه إذ معارف الحق لا تتناهى ولا يمكن استقصاؤها لا في الدنيا ولا في الآخرة كما مر .

قوله: (**من ثمرات الجد والتجريد**) أي: واجتناء تلك المعارف حاصل من ثمرات الجد ، أي : الاجتهاد قال الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ (العنكبوت/ ٦٩) ومع تجريد التوحيد بمعنى شهود الفضل منه تعالى في خلق الطاعة في عبده وإعانته عليها فهو كالآلة والحق يصرفه كيف يشاء فإرادته الطاعة من عبده وإقداره عليها يسمى بالتوفيق واللطف .

قوله : (**فأفرد الحق**) أي: أنه أفرد الحق سبحانه وتعالى بالألوهية على الإطلاق وهو المراد من قوله : (**بلا تقييد**) .

قوله: (**وحقق الحق بلا مثال**) أي : وتحقق أن الحق تعالى ليس له مثال في ذاته ولا في صفاته ولا شريك له في شيء منها بل هو المنفرد بالكمال في جميعها غني عن العالمين .

ثم قال رضي الله عنه :

فشـــاهدَ الأغيـــارَ كالمعـــدومِ ... ولـــيسَ إلا عـــزةَ القيـــومِ

ولم يـــزلْ بـــالحقِّ في علـــومِ ... في كـــلِّ تفصـــيلٍ بـــلا انْفصـــالِ

قوله : (**فشاهد الأغيار كالمعدوم**) أي: أن هذا العارف شاهد كل ما سوى الحق سبحانه وتعالى معدوما ولولا قيامه به تعالى لما ظهر ولما وجد ، هذا موجد كائن بين الخلق بجسمه بائن عنهم بقلبه .

قوله: (**وليس إلا عزة القيوم**) أي: أنه لا يبقى مع هذا العارف شهود الغير بل لا يشهد إلا عزة الحق القيوم ، أي: القائم بالأشياء وبمظاهرها أو من ألحقه به في العزة كما في آية ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المنافقون/٨) فمن اعتز بغيره تعالى ذل ومن انتسب إلى غيره قل .

قوله: (**ولم يزل بالحق في علوم في كل تفصيل بلا انفصال**) أي: أنه لم يزل قيامه بالحق في علوم المعارف والأسرار في كل تفصيل وإجمال بلا اتصال ولا انفصال مقدس من أوصاف الغلو كالاتحاد والحلول . ثم قال رضي الله عنه :

فتَارَةً يُبْهِرُه جلالُهْ ... وربما تقهرُهُ أفعالُهْ

وتارَةً يبهجُهُ جَمالُهْ ... في كلِّ ما يأتيه مِن سؤالِ

قوله : (**فتارة يبهره جلاله**) أي: أن هذا العارف يتقلب في أنوار الحق تعالى من حال إلى حال فتارة يبهره جلال الحق تعالى فيصير حيراناً باهتاً .

قوله: (**وربما تقهره أفعاله**) أي: وربما تقهره أفعال الحق من ضرب الذل أو الضر عليه وسائر المتاعب والمضار هذا في الظاهر ، وأما في الباطن فغلبة الخوف عليه حتى يكاد يفنى من شدته إذا تجلى عليه بصفة الجلال وهو القهر .

قوله: (**وتارة يبهجه جماله**) أي: وتارة يبهج هذا العارف جمال الحق ، أي: يفرحه ويسره ويغلب عليه الرجاء والبشرى بالأمن واللطف والحفظ وسائر الأحوال الملائمة لضعف العبد وقصوره .

قوله: (**في كل ما يأتيه من نوال**) أي: أنه يبتهج بكل ما يأتيه ويناله من النوال وهو العطاء الحسي والمعنوي الدنيوي والأخروي فهذا العبد مستريح آنس في أحواله وأوقاته وكل بحسب ما قسم له في الأزل والله ذو الفضل العظيم .

ثم قال رضي الله عنه :

الرشفة الثامنة عشر والأخيرة :
[خاتمةٌ في صفات المريد الصادق]

رَشْفَةٌ مَنْ مِسْكِ خِتَامِهِمْ وَ نَسْمَةٌ مِنْ طِيْبِ إِكْرَامِهِمْ

قوله : (**رشفة من مسك ختامهم**) أي: من عرف معارفهم وأوصاف لطائفهم .

قوله: (**ونسمة من طيب إكرامهم**) أي: نسمة من روائح طيب إكرامهم ، والإكرام قال المناوي : هو أي: إيصال الشيء الكريم ، أي: النفيس إلى المكرَم .

قال رضي الله عنه ونفع به:

خاتمـــةٌ ذو الهمـــةِ الدِّينيـــهْ لا يـــرتضي بحالـــةٍ دنيـــهْ

مَـــن يطلـــبُ المكـــارمَ الســـنيهْ يســـهرُ في تحصـــيلها الليـــالي

قوله : (**خاتمة ذو الهمة الدينيه**) الختام والخاتمة : آخر الشيء ، وأما الهمة الدينية هي التي تنبعث وتهتم لمعالي الأمور الدينية الخاصة بأهل الإيمان والإسلام والإحسان ، وقد تتعلق بما يحفظ المروءة والعرض والمال والنفس ، وإلى ذلك يشير قوله عليه الصلاة والسلام: (إن الله تعالى يحب مكارم الأخلاق ويكره سفسافها) .

قولـه: (**لا يـرتضي بحالـة دنيـه**) لا يـرتضي لنفسه بحالـة مـن الأحـوال الدنيـة ، أي: الساقطة التي تقنع بها أراذل الناس وأسقاطهم .

قوله: (**بل يطلب المكارم السنية**) بل إن صاحب الهمة العلية يشتاق ويطلب المكـارم ، أي: المنافع التي يكرم بهـا الإنسـان مـن العلـم والعمـل والإخـلاص فيهما ويبـذل المجهـود في تحصيل المقصود من كل نفع لازم أو متعدي .

قوله: (**يسهر في تحصيلها الليالي**) أي: أن المعـاني لشيء مـن الأمـور العلويـة النافعـة في الدنيا والآخرة ، يسهر في مطالبه الليالي من مـذاكرة علـم وتـلاوة وذكـر وصـلاة وفكـر ، قـال الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد باعلوي نفع الله بـه في ((نصـائحه)) بعـد أن أورد جملـة من الآيات والأخبار في فضل قيام الليل: واعلم أن قيام الليل مـن أثقـل الأشـياء عـلى الـنفس

ولا سيما بعد النوم ، وإنما يصير خفيفا بالاعتياد والمداومة والصبر على المشقة والمجاهدة في أول الأمر ثم بعد ذلك ينفتح باب الأنس بالله وحلاوة المناجاة له ولذة الخلوة به عز وجل وعند ذلك لا يشبع الإنسان من القيام فضلا عن أن يستثقله أو يكسل عنه كما وقع ذلك للصالحين من عباد الله تعالى ، حتى قال قائلهم : إن كان أهل الجنة في مثل ما نحن فيه بالليل إنهم لفي عيش طيب .

وقال آخر : منذ أربعين سنة ما غمني إلا طلوع الفجر ، وقال آخر : أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم . وقال آخر : لولا قيام الليل وملاقاة الإخوان في الله ما أحببت البقاء في الدنيا . وأخبارهم في ذلك كثيرة مشهورة ، وقد صلى خلائق منهم الفجر بوضوء العشاء رضي الله عنهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ (الأنعام/ ٩٠) انتهى ، إلى آخر ما ذكره . ثم قال رضي الله عنه :

ويقطعُ التسويفَ والتواني ... في قصدِهِ القُرْبَ مِنَ الرحمنِ

ويَرتقي بالبرِّ والإحسانِ ... إلى اعتلا كلِّ مقامٍ عالي

قوله : (**ويقطع التسويف والتواني**) أي: أن صاحب الهمة العلية يقطع كل ما يعوقه عن إقباله وتوجهه ولا يسوف في الأعمال الصالحة ، أي: يؤخرها ، قال المناوي : التسويف: هو المطل والتأخير ، وأصله أن يقول لمن وعده بالوفاء : سوف أفعل مرة بعد أخرى ، والتواني قريب من معنى التسويف انتهى . وقد أطال الشيخ الحبيب عبد الله الحداد في ((نصائحه)) في ذم طول الأمل والتسويف في العمل وتأخيره فلينظر منه .

قوله: (**في قصده القرب من الرحمن**) أي: أن هذا السالك المجد في طلبه يقطع التسويف في قصده القرب ، أي: في كل ما يتقرب به إلى الله تعالى مما يتعلق بأعمال الجوارح وغيرها من سائر القربات التي مر ذكرها .

قوله: (**ويرتقي بالبر والإحسان**) أي: يترقى في درجات الدين بالبر الذي تفسيره أنه التقوى والإحسان ، أي: في الأعمال والأقوال ، وفي الحديث : (إن الله كتب الإحسان على كل شيء) وفي الحديث الآخر: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

قوله: (**إلى اعتلا كل مقام عالي**) أي: أن هذا الترقي هو طلب العلو في المقامات العالية التي هي مسماة بالمنجيات ، وقد شرحها الإمام الغزالي رحمه الله في الربع الأخير من ((الإحياء)) وهي كالنية والإخلاص والصبر والشكر والخوف والرجاء والأنس والرضى والمحبة وذكر الموت وما بعده . ثم قال رضي الله عنه ونفع به وبعلومه :

ولا يــــزالُ مخبتِــــاً لربِّـــهِ مســـتغفِراً مـــن رَيبِـــهِ وذنبِـــهِ

معـــوِّلاً عـــلى حيـــاةِ قلبِـــهِ بـــذكرِهِ مـــولاه بابتهـــالِ

قوله : (**ولا يزال مخبتا لربه**) أي: ولا يزال ذو الهمة المجذوب في سلوكه مخبتا ، أي: خاضع القلب متواضعا حاضرا مع ربه .

قوله: (**مستغفرا من ريبه وذنبه**) أي: ومستغفرا وتائبا من ريبه ، أي: شكه في الأحوال التي تخالف أحوال أهل اليقين ومستغفرا أيضاً من ذنبه ومخالفته لربه بارتكاب الذنب صغيرا أو كبيرا فتجب التوبة منه وهي الندم والاستغفار والعزم على أن لا يعود إلى الذنب فإن تعلق الذنب بحق الغير وجب استحلاله إن بلغه وإلا فيدعو ويستغفر له ، وكذلك يتوب ويستغفر من تقصيره في أداء العبادات وإن تحرى أداءها على الكمال لأنها لا تخلو عن نقص ، قال تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ (الأنعام/ ٩١) .

قوله: (**معولا على حياة قلبه**) أي: ولا يزال هذا التائب من الذنوب معولا في التوبة والرجوع إلى الله تعالى لأجل صلاح قلبه وتنويره بالتوبة ويكون ذلك سببا في صلاح الأعمال وقبولها .

قوله: (**بذكره مولاه بابتهال**) أي: أنه لا يزال ذاكراً لله تعالى مبتهلا داعيا بقبول توبته وأعماله . ثم قال رضي الله عنه:

مجتهـــداً بالصـــدقِ في إقبالِـــهْ وقصـــدِ وجـــهِ الحـــقِّ في أعمالِـــهْ

وحفـــظِ عـــينِ قلبـــهِ وبالِـــهْ مِـــنْ ظلمـــةِ الأوهـــامِ والخيـــالِ

قوله : (**مجتهدا بالصدق في إقباله**) أي: وأنه لصلاح قلبه وصدق توبته لا يزال مجتهدا بالصدق مع الله في إقباله عليه وتوجهه إليه فإن الصدق من أعلى مقامات الأولياء.

قوله: (**وقصد وجه الحق في أعماله**) أي: أنه يقصد بأعماله وجه الله تعالى غير ملتفت إلى غيره من دنيا أو جاه أو غير ذلك من الأغراض النفسية الدنياوية .

قوله: (**وحفظ عين قلبه وباله من ظلمة الأوهام والخيال**) أي: أن هذا الحريص على حفظ إيمانه لا يزال مجتهدا في حفظ عين قلبه وباله عن مفسدات الأعمال وعن الأوهام والشكوك والوساوس الشيطانية وغير ذلك من الخيالات التي لا طائل تحتها ولا جدوى لها في الدين ولا في طلب رضى رب العالمين فهو معرض بالكلية عن غير وجهة الحق .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

يَغْرِسُ بالتوحيدِ معنى الدِّينِ ... في قلبِهِ بغايةِ التمكينِ

ليمتلي بالنورِ واليقينِ ... ويكتسي مِن أحسنِ الأحوالِ

قوله : (**يغرس بالتوحيد معنى الدين**) أي: أن الحريص على رضا ربه والمقبل على آخرته يغرس بالتوحيد ، أي: إفراد الحق في أفعاله وأقواله ، كما مر معنى الدين وهو ما مر مما يجمعه الإيمان والإسلام والإحسان فيورثه ذلك التمكن في دينه والصحة في يقينه .

قوله: (**في قلبه بغاية التمكين**) أي: أن غرس ما ذكر يكون في القلب بغاية أي: أعلى مراتب التمكين وهو كما قال المناوي عند أهل اللغة : الرسوخ والاستقرار على الاستقامة وما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين لأنه يترقى من حال إلى حال وينتقل من وصف إلى وصف فإذا وصل واتصل فقد حصل التمكين انتهى .

قوله : (**ليمتلي بالنور واليقين**) أي: أن من اتصف بهذه الصفات الكريمة جزاؤه أن يمتلي بالنور في قلبه ويمتليء أيضاً باليقين وهو ينقسم إلى علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين كما مر .

قوله : (**ويكتسي من أحسن الأحوال**) ويكتسي المتصف بذلك من أحسن أحوال أهل الإيمان ، أي: يلبس ويتحلّى بأحسنها لأنه لما تخلى عن الرذائل حلاه مولاه بهذه الفضائل وصار عبداً لله محضا قائما بحق الربوبية معترفا لمولاه بالعبودية .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به وبعلومه :

وليخشَ مِن فرطِ الهوى والشهوَهْ ... ومِن تمادي غفلةٍ وقسوَهْ

ذهابَ معنى الدِّينِ والفتوَّهْ ... مِن حبهِ المالَ بموتِ البالِ

قوله : (**وليخش من فرط الهوى والشهوه**) أي: وليخش أي: يخاف المريد من فرط وهو الإفراط في الهوى وهو الميل إلى الشهوات النفسانية ، والشهوة : نزوع النفس إلى محبوب لا يتمالك عنه أو إلى ما يريده ، وهي في الدنيا ضربان : صادقة وكاذبة ، فالصادقة : ما يختل البدن بدونه كشهوة الطعام للجوع ، والكاذبة : ما لا يختل بدونه انتهى ، ذكره المناوي في ((توقيفه)) .

قوله: (**ومن تمادي غفلة وقسوه**) ويخشى أيضاً الحريص على حفظ دينه وقلبه من تمادي الغفلة في الدنيا والاستغراق في أسباب تحصيلها وتدبيرها فتمر عليه الأوقات والساعات وهو غافل بذلك غير ذاكر للآخرة فيأتيه الموت وهو غير مستعد له فيخاف عليه والعياذ بالله من سوء الخاتمة كما مر ، وليخش أيضاً من القسوة وهي غلظ القلب وعدم لينه وقبوله الموعظة والتذكير فذلك أيضاً من أعظم الموانع من نيل النجاة والفوز .

قوله: (**ذهاب معنى الدين والفتوه**) أي: فإن الغفلة والقسوة يذهب بهما معنى الدين وحقيقته ويذهب معهما الفتوة أيضاً ، وهي أن الفتوة في اللغة : السخاء والكرم ، وفي عرف أهل الحقيقة : أن يوثر الخلق على نفسه بالدنيا والآخرة انتهى ، ذكره المناوي .

قوله: (**من حبه المال بموت البال**) أي: أن حب المال يورث ما ذكر من الغفلة والقسوة فيموت بذلك القلب ، وكذلك بالإفراط في الشهوة ويورث أيضاً ذهاب معنى الدين والفتوة ، وإنما تغلب هذه الصفات الرذيلة على الحريص في طلب الدنيا وما يتعلق بها إلا موت البال وهو القلب . ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

فليفتقدْ أحوالَهُ في نفسِهِ ... والفرْقَ بين يومِهِ وأمسِهِ

وليغتنمْ قبلَ حلولِ رمسِهِ ... بلوغَ ما ينجيه في المآلِ

قوله : (**فليفتقد أحواله في نفسه**) أي: فليفتقد ، أي: يراعي أحواله المتغايرة في نفسه من الخير والشر والنفع والضر والصلاح والطلاح فيعمل ويتبع لأحسنها ويمتنع عن سيئها.

قوله: (**والفرق بين يومه وأمسه**) أي: ويتفقد الفرق بين يومه الذي هو فيه وأمسه الماضي فإن كان يومه أحسن من أمسه فهو فائز ، وإن كان أخس من أمسه فهو خاسر ، فإن عاد إلى الاستعتاب والرجوع إلى التوبة وإصلاح العمل رُجي له الغفران وإن تمادى في غيه ونسي رمسه ويوم فقره وفاقته خيف عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله والخلود في النيران أو طول المقامة فيها .

قوله: (**وليغتنم قبل حلول رمسه**) أي: وليغتنم الحريص على ما مر قبل حلول رمسه ، أي: قبل أن يحل به الموت ويمسي رهين كسبه في رمسه ، أي: قبره ويسمى بالحدب ، وهو أول منزل من منازل الآخرة فيكون إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

قوله: (**بلوغ ما ينجيه في المآل**) أي: وليجتهد ويغتنم أيضاً الحريص على سعادته في الآخرة في بلوغ ، أي: فعل ما ينجيه في المآل ، أي: العاقبة في الدار. ثم قال رضي الله عنه :

فــإنَّ حـــالَ القلـــبِ والضـــميرِ ... يُعـــرفُ عنـــدَ الـــذِّكْرِ والتـــذكيرِ

فهـــو إذا لم يخـــشَ مِـــن تحـــذيرِ ... ولم يكـــنْ بالـــذِّكْرِ ذا اعـــتلالِ

قوله : (**فإن حال القلب والضمير**) أي: صفة القلب أو معنى يرد عليه والضمير ما ينطوي عليه القلب .

قوله: (**يعرف عند الذكر والتذكير**) أي: يعلم ما ينطوي عليه عند ورود الذكر عليه ، أي: استحضاره ما يتذكر به والتذكير الحاصل من العزلة فإن كان مستنيرا ظهرت على صاحبه آثار البشائر والميل إلى قول من يستفيد به ثوابا وأجرا في الآخرة، وإن كان غير ذلك فهو كما قال الناظم رضي الله عنه في قوله: (**فهو إذا لم يخش من تحذير**) أي: لم يظهر عليه آثار الخوف والخشية عند التحذير والإنذار .

قوله: (**ولم يكن بالذِّكر ذا اعتلال**) أي: ولم يكن بالذكر والتذكير متأثرا ولا متذكرا فهو ذو اعتلال ، أي: معتل بالغفلة والقسوة ، وهما مرضان مخوفان يخاف على المتصف بهما سلب الإيمان نعوذ بالله من ذلك . ثم قال رضي الله عنه :

لأنَّ وصفَ صاحبِ الإيمانِ خشوعُهُ بالذِّكرِ والقُرْآنِ
ونفعُهُ بالوعظِ والبيانِ وخوفُهُ مِن بَطْشِ ذي الجلالِ

قوله : (**لأن وصف صاحب الإيمان**) أي: أن وصف صاحب الإيمان يخالف وصف المار ذكره وهو القاسي الغافل .

قوله: (**خشوعه بالذكر والقرآن**) أي: أن صاحب الإيمان يخشع عند سماعه الذكر والتذكير وتلاوة القرآن أو اشتغاله بها ، والخشوع له تعريفات عند العلماء ، فتارة يقال : إنه حضور القلب وسكون الجوارح ، وتارة يقال : إنه الانقياد للحق ودوام الخوف في القلب .

قوله: (**ونفعه بالوعظ والبيان**) أي: أن القلب المتصف بما ذكر ينتفع بالوعظ والبيان والوعظ : الزجر المقترن بالتخويف والترغيب .

قوله: (**وخوفه من بطش ذي الجلال**) أي: أن ذا الإيمان لا يزال خائفا من بطش الله تعالى وقهره وانتقامه وإن استقام وسلك سبيل النجاة والسعادة فإنه لا يزال خائفا كذلك وينبغي لمن غلب خوفه أن يكون مع الخوف راجيا بحيث يعتدل خوفه ورجاؤه وأن لا يرجح أحدهما على الآخر إلا إن خاف الإياس والقنوط فينبغي تغليب الرجاء أو الوقوع بالرجاء في شيء من المحرمات فينبغي له تغليب الخوف . ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

وحَقُّ ذي الإخلاصِ والسعادَهْ في سائرِ الطاعاتِ والعبادَهْ
أن يجِدَ الإيمانَ في زيادَهْ في كلِّ ما أرادَ مِن أعمالِ

قوله : (**وحق ذي الإخلاص والسعاده**) أي: أن العبد المخلص لله تعالى في أعماله الموسوم بذلك بصفة السعادة ، أي: أن إخلاصه كائن في سائر ، أي: جميع عباداته كما قال : (**في سائر الطاعات والعباده**) أن يجد الإيمان في زيادة ، إذ المقرر عند علماء السنة لاسيما الشافعية الأشعرية أن الإيمان يزيد وينقص ، وفي كتاب ((صحيح البخاري)) باب زيادة

الإيمان ونقصه ، ثم استدل على ذلك بالآيات والأخبار الدالة على ذلك ، فزيادة الإيمان بالطاعات بجميع أنواعها ونقصه بالمعاصي كذلك .

قوله: (**في كل ما أراد من أعمال**) أي: أن الزيادة والنقص تشمل كل ما يريده الإنسان ويعمله ، هذا معتقد أهل السنة سيما الشافعية ، وعند الماتريدية من الحنفية أنه لا يزيد ولا ينقص . ثم قال رضي الله عنه :

وأن يكونَ طَيِّبَ الجَنَانِ مجتنباً للإثمِ والعصيانِ

وطاهرَ الأوصافِ واللسانِ مجانباً للفُحْشِ في الأقوالِ

قوله : (**وأن يكون طيب الجنان**) أي: أن صاحب الإيمان يكون طيب الجَنان، أي: القلب صافي السر عن الخبائث والرذائل وعن الأغشاش والأحقاد التي ينقص بها الإيمان ويكتسب بها القسوة والران .

قوله: (**مجتنبا للإثم والعصيان**) أي: متباعدا عنهما ، والإثم والعصيان ارتكاب المناهي الشرعية والإثم سببه العصيان إلا إذا وفق مرتكبه للتوبة رجي له الغفران .

وقوله (**وطاهر الأوصاف واللسان**) أي: أن المؤمن المتصف بما ذكر يكون طاهر الأوصاف من الأخلاق المذمومة وطاهر الأوصاف عما يذم منها كالغيبة والكذب والنميمة والشتم وغير ذلك من آفات اللسان ، وقد بلغها الإمام الغزالي في كتاب آفات اللسان من «الإحياء» إلى عشرين آفة .

قوله: (**مجانبا للفحش في الأقوال**) أي: وأن يكون المؤمن مجانبا ، أي: تاركا للفحش في الأقوال ، أي: والأفعال وغيرهما من النيات والمقاصد ، قال المناوي : الفحش ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم ، ذكره ابن الكمال، وقال الحراني : الفحش كل ما يكرهه الطبع من رذائل الأعمال الظاهرة كما ينكره العقل ويستخبثه الشرع فيتفق في حكمه أسباب الله الثلاثة من الشرع والعقل والطبع وبذلك يفحش الفعل ، وقال الراغب : الفحش والفحشاء ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال ، وفي المصباح : كل شيء جاوز الحد فهو فاحش ، ومنه غبن فاحش إذا جاوز الزيادة بما لا يعتاد مثله ، انتهى .

ثم قال رضي الله عنه ونفع به :

فكــلِّ عبــدٍ لم يصــنْهُ دِينُــهْ ولم يَــزِدْ بطاعــةٍ يقينُــهْ

فقلبــه اســتولى عليــه رَينُــهْ مِــن قلــة الــدّين بــلا إشــكالِ

قوله : (**فكل عبد لم يصنه دينه**) عن ما مر من ارتكاب الفواحش والخزايا والمعاصي وكذا (**لم يزد بطاعة يقينه**) أي: انه إذا لم يزد بالطاعة إيمانه ويقينه ، كما مر أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

قوله: (**فقلبه استولى عليه رينه**) أي: فذلك العبد قد استولى على قلبه الران وطبع عليه بطابع المخالفات بما ينافي الإيمان ، وذلك علامة الشقاوة والعياذ بالله ، قال تعالى ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (المطففين/ ١٤) وفي الحديث : (إذا أذنب العبد الذنب نكت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب منها صقل قلبه وإلا لم يزل يعلوه الصدأ والران حتى يطبع عليه) هذا معنى الحديث .

قوله: (**من قلة الدين بلا إشكال**) أي: إيمان من ذكر وإسلامه قليل ضعيف وسببه غلبة الجهل بمعرفة الله تعالى وبما وعد به من الثواب على الطاعة في دار الجزاء والثواب وبما أوعد عليه على المعصية من النار والعقاب . ثم قال رضي الله عنه :

وليجتهــدْ في ســائرِ الأوقــاتِ قبــلَ هجــومِ المــوتِ والفــواتِ

وليغتــنمْ فوائــدَ الطاعــاتِ وليســتقمْ في قبلــةِ الإقبــالِ

قوله : (**وليجتهد في سائر الأوقات**) أي: العبد المؤمن القوي في إيمانه لا يزال مجتهدا في سائر أوقاته من ساعات شهوره وسنينه ، وأتى الناظم بصيغة الأمر في قوله: (**وليجتهد**) حرصا على إرشاد المؤمنين والترغيب لهم فيما ينفعهم عند ربهم وفي آخرتهم إذ المؤمن الكامل يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه كما مر في الحديث .

قوله: (**قبل هجوم الموت والفوات**) أي: أن هذا الاجتهاد في الطاعات يكون محله قبل هجوم الموت ، وذلك استعداد له فإنه إذا هجم لا يمكن تأخيره والإمهال لأجل العمل

، قال تعالى ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الأعراف/ ٣٤) فإذا توانى العبد عن العمل وأتاه الموت ندم حيث لا ينفعه الندم .

قوله: (**وليغتنم فوائد الطاعات**) أي: أن المؤمن الحريص على ثواب دار الآخرة ونعيمها ورضى الله تعالى فيها يغتنم فوائد الطاعات وهو ما ذكرناه وغيرَه كالعز والقبول والجاه عند الله وعند عباده .

قوله: (**وليستقم في قبلة الإقبال**) كنى في هذا عن التوجه التام بالاستقامة التي هي شأن العارفين وأرباب السلامة والفوز والكرامة وجعلها قبلة للإقبال الذي هو سبب بلوغ الإرتقاء إلى المقامات والأحوال . ثم قال رضي الله عنه ونفع به وبعلومه :

وليكن الحقُّ افتتاحَ فِكْرِهْ　　　وختْمِهِ فيما بَدا من ذِكْرِهْ

أو ما خفي مِن جهرِهِ وسِرِّهْ　　　في سائرِ الأقوالِ والأفعالِ

قوله : (**وليكن الحق افتتاح فكره**) أي: وليكن ما يفتتح فيه التفكر والتذكر بما يتعلق بالحق من صفات جلاله وجماله وشهود مواهبه ونعمه على سائر العباد في جميع الأقطار وعند فكره في جميع ما يثمر له زيادة المحبة والتعظيم لجلال الله سبحانه وتعالى .

قوله : (**وختمه في ما بدا من ذكره**) أي: وليكن الفكر والذكر خاتمة أذكاره إذ الذكر واسطة وسبب موصل إلى الفكر .

قوله: (**أو ما خفي من جهره وسره**) أي: ويكون الفكر أيضاً في كل أمر يكون في جهره وفي سره أيضاً فإنه يدبر بالفكر أحوال أوقاته ووظائف طاعاته ويستعين بذلك في كل ما يبعث وينشط عليه مثل ذكر الموت وما بعده وأنه لا يدري متى يهجم عليه فبذلك يستعد له ويحترز من الغفلة وقد ورد في ذكر الموت وفائدته آيات وأخبار مذكورة في محالها ومشهورة عند أهلها .

قوله: (**في سائر الأقوال والأفعال**) وتكون هذه الطريقه حقيقة هذا العبد في الذكر والفكر في سائر أحواله وأفعاله وتنقلاته وتقلباته .

ثم قال رضي الله عنه :

معتمِـــــدَاً في همِّـــــهِ عليـــــهِ وطالبـــاً للخـــيرِ مِـــن يديـــهِ

ونــــاظراً مراقبـــاً إليـــهِ كأنَّـــهُ يَـــراه في الإجـــلالِ

قوله : (**معتمدا في همه عليه**) أي: أن هذا العبد المؤمن الموحِّد معتمِد في مهماته على الله تعالى لا يلتفت إلى سواه ولا يرجو غيره وذلك كمال الإيمان وتمام الاحسان .

قوله: (**وطالباً للخير من يديه**) أي: ثم إنه ينزل حاجاته ومطالبه على مولاه عالماً أنه لا يقدر على نفعه وضره سواه فهو سبحانه وتعالى لا يضيع لمثل هذا عملا ولا يخيب له أملا بل من فضله ورحمته به يديم له النعم ويفيض عليه محاسن الجود والكرم .

قوله: (**وناظرا مراقبا إليه**) أي: أنه لكمال إيمانه لا يزال في جميع أحواله وأوقاته ناظرا إلى مولاه لا يلتفت إلى سواه كما مر ومراقبا في أحواله وأقواله وأفعاله لله تعالى فلا ينطق إلا بخير ولا يفعل إلا حسنا وفي جميع أحواله مراعيا لما يرضيه تعالى ولا يزال راتعا في مقام الإحسان فانيا بوجود المكون عن الأكوان .

قوله: (**كأنه يراه في الإجلال**) أي: أن هذا المؤمن لا يزال مراقبا لربه تعالى في أنفاسه ولحظاته كأنه يراه وهو مقام الإحسان المذكور في الحديث ، ودونه من يلاحظ في أحواله أن الله تعالى يراه كما في الحديث : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) فيكون من له هذا الحال مستحضرا جلال الحق وعظمته وقهره وهو مقام الخوف . ثم قال رضي الله عنه :

مُســـــافراً بفكـــرِهِ في كونِــــهِ يــرى ظهـــورَ الحـــقِّ في بطونِـــهِ

وحكمـــــةَ الإبـــداعِ في فُنونِـــهِ ومـــا عليـــه مِـــن سَـنى الجَـمالِ

قوله : (**مسافرا بفكره في كونه**) أي: أنه لا يزال مسافرا بفكره في الأكوان العلوية والسفلية ليستدل بها على عظمة خالقها ومنشئها ، وقد مر حديث (تفكر ساعة أفضل من عبادة سنة) .

قولـه: (**يـرى ظهـور الحـق في بطونـه**) أي: أنـه يـرى ظهـور الحـق تعـالى في بطـون موجوداته ، أي: خفايا أسراره فيتدبر ويذكر ويشهد الجلال والجمال فيها فإنها لنسبتها إلى خالقها تكون جميلة حسنة عند ذوي الأبصار والبصائر ، ألحقنا الله بهم وأدخلنا في حزبهم .

قوله: (**وحكمة الإبداع في فنونه**) أي: ويرى الحكمة والإبداع ، أي: الشيء البديع بمعنى الحسن في فنونه ، أي: العالم فلا يرى شيئا منه إلا حسنا ، ومرَّ عن الإمام الغزالي أنه قال : ليس في الإمكان أبدع مما كان ، ومرَّ تأويل كلامه هذا عن الشيخ ابن حجر في ((التحفة)) ، وأنه قال : ذلك من حيث إن العلم شمله والإرادة خصصته والقدرة أبرزته فلا يرى شيئا إلا وفيه ادكار وعبرة ، وفي ((حياة الحيوان)) للإمام الدميري : أن بعضهم رأى الخنفساء فعرض له خاطر أن هذه لما خلقها الله ؟ لما رأى حقارة منظرها فاعتل بعلة أعيت الأطباء فشكى على بعض الصالحين فقال له : هل اعترضت على الله في شيء من مخلوقاته ؟ ، فذكر ما خطر له في الخنفساء ، فقال له : اجعلها على العلة فجعلها كذلك فشفي ، فإنه سبحانه وتعالى له في كل شيء حكمة ولخلقه عبرة .

قوله: (**وما عليه من سنى الجمال**) أي: نور الجمال ، أي: الحسن فهو بذلك منظور إليه بعين الاستحسان والإجلال ، ثم قال رضي الله عنه:

يَرى لَهُ في كلِّ شيءٍ آيَهْ — تَهدي إلى التوحيدِ والهدايَهْ

تبدُو لأهلِ الفهْمِ قبلَ الغايَهْ — وبعدَها في سابقٍ وتالي

قوله : (**يرى له في كل شيء آيه**) أن هذا المتفكر في آلاء الله ونعمه يرى له تعالى في كل شيء آية ، كما قيل :

أيا عجبا كيف يُعصى الإله — أمْ كيف يجحده الجاحدُ ؟

وفي كل شيء له آية — تدل على أنه الواحدُ

بل تكون في الشيء الواحد آيات متعددة ، وأعجب الآيات خلق الإنسان ثم سائر الحيوانات في البر والبحر والتكفل بأرزاقها وحدود أعمالها وآجالها .

قوله: (**تهدي إلى التوحيد والهدايه**) أي: أن كل شيء من مخلوقاته تعالى جل أو قل مهدي ، أي: مرشد إلى توحيد الحق والهداية ، أي: الاهتداء إلى معرفته المثمرة للمحبة والعمل بكل ما يرضيه .

قوله: (**تبدو لأهل الفهم قبل الغايه**) أي: أن هذه الآلاء والنعم وعجائب المخلوقات تبدو، أي: تظهر لأهل الفهم قبل الغاية ، أي: تبدو لهم صفتها وفوائدها وما تنطوي عليه من أسرارها قبل غايتها ثم تظهر غايتها وهي أن الغاية إنما خلقها ليتفكر من ينيب وليتذكر أولو الألباب فيبعثهم ذلك على التوحيد والتعظيم لخالقها في عباداتهم ومعاملاتهم حتى يرغبوا إليه ويعرفوه ويعبدوه بالإجلال والتعظيم والإخلاص ومراتبهم ثلاث كما مثل ذلك الناظم رضي الله عنه في ((شرح العقيدة)) أو غيرها من كتبه أن السالك والموحد والعارف له ثلاث مراتب فيقول في صلاته مثلا : أصلي لله ثم أصلي بالله ثم صلى الله لي كما مر .

قوله: (**وبعدها في سابق وتالي**) أي: وتبدو هذه الغاية لمن ذكر في سابق من أحواله ومعاملاته وتالي للسابق ، أي: في آخره فيرى أنه مهتد بالنور الذي شرح الله به صدره في السابق واللاحق . ثم قال رضي الله عنه :

فليلتجِ العبدُ إلى غفَّارِ يَطْلُبُهُ بأبلغِ افتقارِ

ملازماً بأعظمِ انكسارِ معترِفاً بالعجزِ والإقلالِ

قوله : (**فليلتج العبد إلى غفار**) أي: أن العبد الفقير الحقير يلتجي في مهماته وغفر ذنوبه وستر عيوبه إلى رب حليم غفار ستار يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات .

قوله: (**يطلبه بأبلغ افتقار**) أي: أن العبد الذي هذه صفته ونعته يطلب مولاه وسيده بالافتقار البالغ وبالضعف والمسكنة فعسى يقبله سيده ويسد فاقته وافتقاره ويجبر ضعفه وانكساره .

قوله: (**ملازما بأعظم انكسار**) أي: ملازما باب المولى الكريم بالانكسار العظيم عسى أن يرحمه بفضله ويجبره بعدم المؤاخذة بعدله .

قوله: (**معترفا بالعجز والإقلال**) أي: أن هذا العبد السالك الطالب لرضى مولاه تعالى يعترف بالعجز عن كونه يقدر أو يجلب لنفسه نفعا أو يدفع عنها ضرا يشهد في نفسه القصور ويعترف بأنه عبد مربوب قليل ذليل ، وهذا مقصود الحق سبحانه وتعالى من عبده فيوالي عليه نعمته الظاهرة والباطنة الدينية والأخروية . ثم قال رضي الله عنه :

فإنَّه إنْ دامَ في الأذكارِ ولازمَ الإمعانَ بالأفكارِ
فسوفَ يأتي الفتحُ بالأنوارِ والمنحِ بالأسرارِ والمنالِ

قوله : (**فإنه إن دام في الأذكار**) ذكر في هذا البيت السبب والمسبب ، فقوله: (**إن دام في الأذكار**) أي: داوم عليها آناء الليل والنهار .

قوله: (**ولازم الإمعان بالأفكار**) لازم الإمعان ، أي: التأمل في معاني الأذكار ليحوز فضلها فإنه لا يحصل ثوابها والجزاء عليها إلا إذا فهم الذاكر معناها ، ومعانيها مشروحة في محالها وعلى طالب الفائدة والثواب عليها أن يتتبع مظان البيان والشرح لها ويحرص على ذلك .

قوله: (**فسوف يأتي الفتح بالأنوار**) أي: أن هذا الذاكر إذا لازم بهذا الشرط حصل له الفتح بالأنوار ، أي: أنوار الكشف والتجلي فتزيد معرفته بربه وتخلص معاملته له .

قوله: (**والمنح بالأسرار والمنال**) أي: يحصل لمن ذكر المنح ، أي: العطاء بالأسرار : جمع سر وهو تنوير الباطن بكل حسن وجميل من الخصال الحميدة المذكورة في كتب القوم .

وقوله : (والمنال) أي: العطاء . قال المناوي : والمنال مقابلة الشيء بآخر وهو نظيره انتهى . ثم قال رضي الله عنه :

فلم تَزلْ مِن نفحاتِ الجُودِ ووابلُ الإلطافِ في الوجودِ
هواطلٌ جلَّتْ عنِ الحدودِ وتُبْلِغُ الآمالَ ذا الآمالِ

قوله : (**فلم تزل من نفحات الجود ...**) إلخ فيه تكميل وتتميم لما ذكره نفع الله به من مقام الرجاء الذي هو دار في كل زمان ومكان لا يختص بشخص ولا محل ولا أوان بل لم تزل نفحات الجود والكرم تتوالى على من أراد الله له الوصول إليه والوقوف ببابه

والانتساب إلى جنابه ، والوابل هو المطر والهاطل الغزير الدائم كناية عن العطايا والنفحات والمنن التي تتنزل على من أراد الله لـه الامتنان والتفضل بها وهي تجل ، أي : تعظم عن الحدود جمع حد وهو المقدار وتبلغ الآمال ، أي: ما يؤمله ويرجوه العبد من ربه ذلك الآمال، أي: الطالبين لا سيما إن كانوا عاملين بطاعته تعالى فإنه تعالى يقول في كتابه العزيز أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا . ثم قال رضي الله عنه :

والحمـــدُ لله عـــلى الكـــمالِ　　لرشـــفاتِ المشرَبِ الإفضـــالي

ونســـمات القُـــربِ والإيصـــالِ　　حمـــداً يـــوافي الفضـــلَ بـــالكمالِ

قوله : (**والحمد لله على الكمال**) في هذا البيت الشكر على ما وفق له الناظم رضي الله عنه ويسره له وأعانه عليه من إكمال هذه المنظومة الرائقة الجامعة لفنون من العلوم الشرعية طريقة وحقيقة وشريعة فإنها عظيمة النفع جليلة الوقع في التأثر والتأثير لا سيما لذوي الأذواق والعلم والفهم والمعرفة ، وكان هذا الشرح غير وافٍ بالمقصود من بيان معانيها لغزارتها لأن كل بيت منها أقله أن يحتاج في شرحه إلى كراس ولو شرحها الناظم رضي الله عنه لأتى بالعجب العجاب ، وهذه عجالة بحسب ما ظهر للفقير على قدر علمه ومبلغ فهمه ، فليعذرني الواقف عليه .

وقوله : (**لرشفات المشرب الإفضالي**) فيه إشارة إلى أن هذه الرشفات كان انتخاب معانيها وانتظام مبانيها دالة على أنها واردة من شراب المتفضل بما وهب به عليه من ذلك الشراب المكنى به عن العلم اللدني والمعرفة الغيبية ، وفيه إشارة إلى ما أُعطي من الأحوال والمقامات التي نالها واختص بها وأبرز منها ومن إجمالها وتفصيلها ما ينتفع به الغير من المتأهلين لذلك ، وإلا فهو على ما قال شيخه ومعاصره الشيخ عبد الله بن علوي الحداد : إن مثالنا ومثال ما جئنا به في هذا الوقت القاصر مثال مركب مليباري فيه من جميع البضائع العزيزة فجاء إلى بندر ضعيف الحركات فأخرج لهم من دنيء القماش ، وهكذا عادة الله في عباده وخواصه يموت أحدهم ولا تظهر له خصوصية ولا يفشي من العلم إلا ما هو على

قدر فهم المتلقين والسامعين كما مر الحديث : (حدثوا الناس بما يفهمون أتريدون أن يكذب الله ورسوله) .

وقوله : (**ونسمات القرب والإيصال**) أي: أن هذه الرشفات من الشراب المفسر بما مر والنسمات المبينة لما مر أيضاً ووصف بأنها رشفات ونسمات القرب من الله تعالى والوصول إليه لأنها متصفة شرح ذلك مما اقتصر عليه الناظم رضي الله عنه لإفادة السالكين وإيناس المحبين وشرح أحوال المقربين فجزاه الله خيرا من يرشد خير عارف منير .

قوله: (**يوافي الفضل بالكمال**) أي: يكون هذا الحمد حمدا يوافي ، أي: يلاقي الفضل، أي: المزيد الكامل بالنسبة للحامد لا للمحمود.

ثم قال رضي الله عنه:

ثم الصلاةُ والسلامُ الأبدي ... على النبي الهاشمي محمدِ

وآلِه وصحبِهِ ومَن هُدي ... بهديِهِ إلى مقامٍ عالي

قوله : (**ثم الصلاة** ...) إلخ ختم منظومته نفع الله به بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم للترغيب الوارد بالابتداء بها والختم في كل أمر ذي بال وبالوسط أيضاً في الدعاء تيمنا وتبركا بها في كل شيء ، لأنه صلى الله عليه وسلم الواسطة العظمى والباب الذي خل إلى المطالب العليه إلا منه كما قال الشيخ البكري : ما أرسل الرحمن أو يرسل...إلخ .

قوله : (**وآله وصحبه**) واستعمل السنة أيضاً بالصلاة على الآل الذين هم مؤمنوا بني هاشم وبنوا المطلب ، وقيل : كل مؤمن ، وذلك في مقام الدعاء ، وأصحابه من اجتمع به صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم مؤمنا ومات على ذلك وعلى (**ومن هدي بهديه**) صلى الله عليه وسلم (**إلى مقام عالي**) ، أي: اهتدى بنور الاتباع له والاقتفاء لآثاره فاتباعه صلى الله عليه وسلم والاستقامة على شرعه ودينه هو الكمال الذي لا يضاهيه كمال ولو لم يكن وارد في ذلك إلا قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران/ ٣١) وفي الآية الأخرى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ

مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ (النساء/ ١١٥) وقوله تعالى ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (طه/ ١٢٣) رزقنا الله كمال الاتباع لرسوله صلى الله عليه وسلم ولدينه اعتقادا وقولا وعملا وختم لنا بذلك .

وقد تم إملاء هذا الشرح فإن وافق الصواب فمن الله أو خالف ذلك فمن النقص المودوع في جبلة الإنسان وفطرته .

اللهم اجعلنا يا كريم ممن هديته وسترته وأيدته بنصرك وعونك وجعلته من سعداء الدارين الذين لقوك وأنت راض عنهم وافعل ذلك بأصولنا وفروعنا وأهلينا وأحبابنا ومن أحاطت به شفقة قلوبنا والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات .

وكان ذلك بتاريخ يوم الثلاثاء لعشرين خلت من شهر رجب الأصب من سنة ١٢٥٩هـ تسع وخمسين ومائتين وألف .

قال ذلك : جامعه الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن أحمد بن عبد الله باسودان عفا الله عنهم.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً[1] .

---

(١) في آخر الأصل الأول : وكان الفراغ من كتابة هذا الشرح يوم الاثنين ١٠ ظفر الخير سنة ١٣٧٨ موافق ٢٥ أغسطس سنة ١٩٥٨ بقلم الفقير إلى ربه القدير عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد بن قاضي باكثير غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين برحمته وفضله آمين.

وفي آخر الأصل الثاني : وكان الفراغ من نساخة هذا الشرح عشية يوم السبت وخمس خلت من شهر الحجة الحرام من ١٢٦٠ ستين ومئتين وألف على يد أفقر العباد إلى ربه المنان أبي بكر بن عبدالله باسودان عامله الله باللطف والغفران ووالديه وكافة الأحبة والإخوان وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

فهرس مطالع الأنوار شرح الرشفات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة